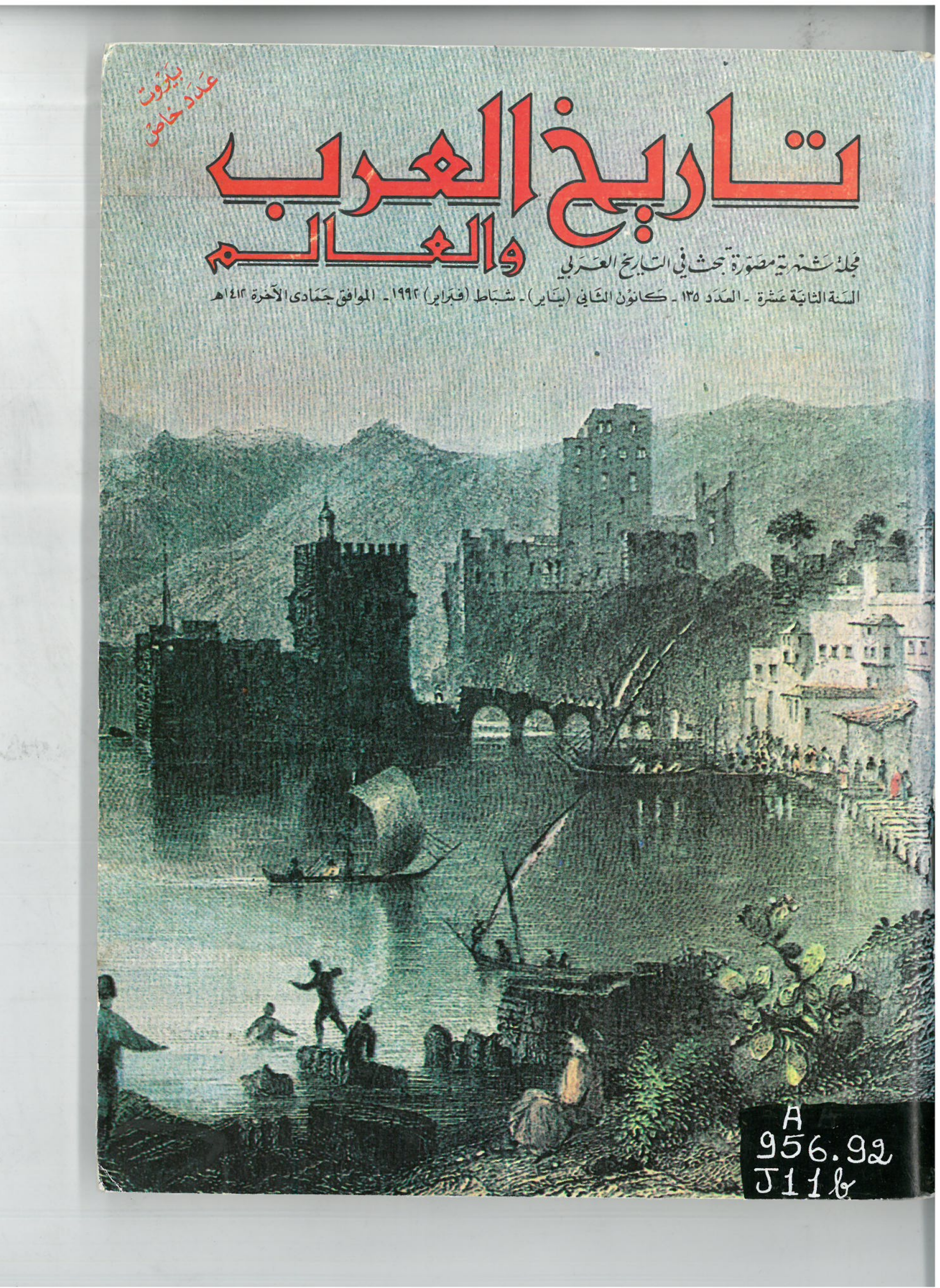

بيروت
عدد خاص
تاريخ العرب والعالم
مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي
السنة الثانية عشرة - العدد ١٣٥ - كانون الثاني (يناير) - شباط (فبراير) ١٩٩٢ - الموافق جمادى الآخرة ١٤١٢هـ

تاريخ العرب والعالم

تصدر عن دار النشر العربية للتوثيق والأبحاث كل شهرين.

● السنة الثانية عشرة — العدد ١٣٥ — كانون الثاني/شباط — ١٩٩٢ — جمادى الآخرة ١٤١٢هـ.

رئيس التحرير: فاروق البربير
المستشار: د. أنيس صايغ
المدير المسؤول: محمد مشموشي
قسم التوثيق والأبحاث: شذا عدرة
قسم التوزيع والاشتراكات: علي عبد الساتر

الاشتراكات
بما فيها أجور البريد الجوي

● للأفراد في لبنان .... $ ٥٠
● للأفراد في الوطن العربي والخارج .... $ ٧٥
● للمؤسسات والدوائر الحكومية في لبنان .... $ ١٠٠
● للمؤسسات والدوائر الحكومية في الوطن العربي والخارج .... $ ١٥٠

● ترسل الأعداد للمشتركين بواسطة البريد المضمون
● تدفع قيمة الاشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية

ص. ب: ٥٩٠٥ — بيروت لبنان ● بناية أبو هليل شقة ١١
شارع السادات — تلفون ٨٠٠٧٨٣
● التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات
الإنتاج: مطبعة المتوسط ش. م. م.

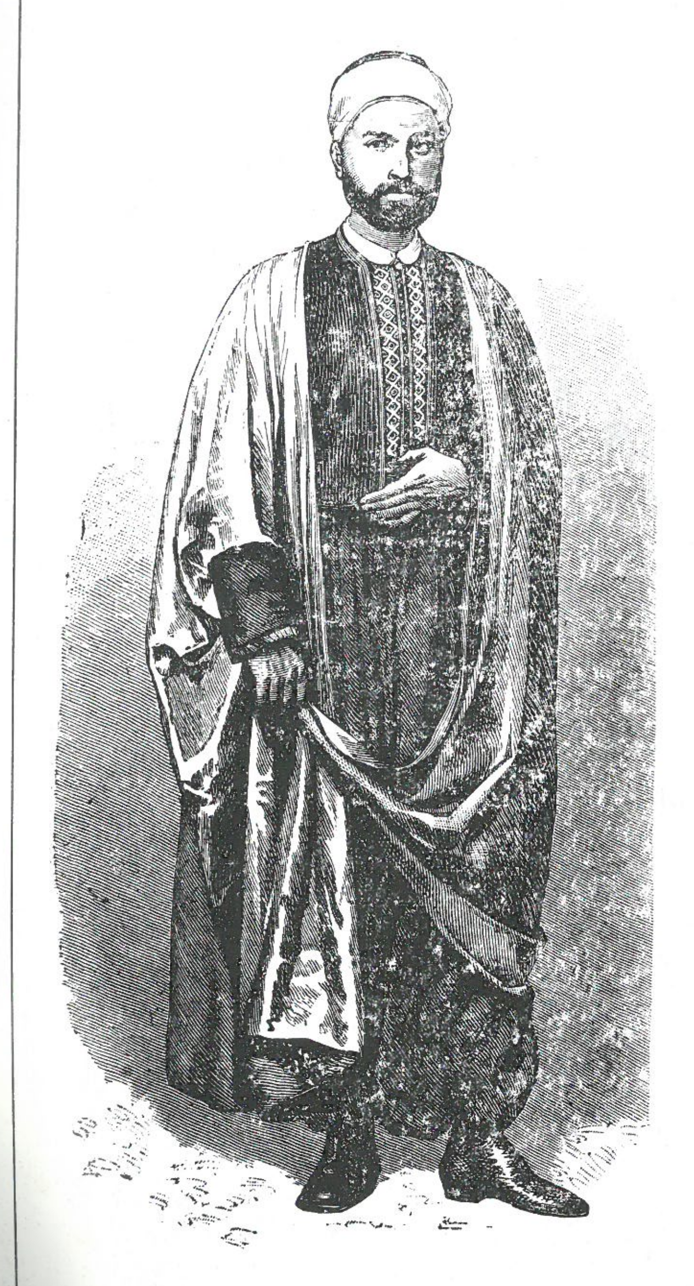
HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR

PERIODICAL ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADAT ST: ABOU HILEIL BLG
P. O. B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

VOL 16, NO 135, JAN - FEB 1992
ANNUAL SUBSCRIPTION
$ 150 (INCLUDING $ 25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»

تاجر بيروتي منذ مائة عام



صورة تاجر بيروتي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

والزي العربي الذي يبدو صاحب الصورة فيه كان زي معظم وجوه البيروتيين يوم تأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وكان البعض قد بدأوا يرتدون الثوب الفرنجي.

في هذا العدد

الموضوع		الصفحة
سنواصل المسيرة	فاروق البربير	١
بيروت الانموذج الذي صمد	الرئيس الدكتور سليم الحص	٢
جمعية المقاصد جزء لا يتجزأ من تاريخ بيروت	الأستاذ تمام سلام	٥
بيروت ليست كسائر المدن	د. انيس صايغ	٨
المراة البيروتية: تاريخ ومواقف	د. زاهية قدورة	١٠
افكار حول الاقتصاد السياسي لمشروع اعمار الوسط التجاري لبيروت	الفضل شلق	٢٢
المفاتيح الانتخابية في بيروت!	د. حسن صعب	٣١
من بيتي إلى الجامعة	د. نقولا زيادة	٣٦
الجامعة الاميركية منارة للأمل ودعامة للمستقبل	د. رضوان مولوي	٤٦
تريف بيروت... هل افسد عروبتها وعالميتها؟	د. عصام نعمان	٥٤
بيروت تحت الحصار والاحتلال الاسرائيلي	تقديم: د. احمد ابو مطر	٥٦
بيروت من خلال رحلة عبد الغني النابلسي	د. ميشال جحا	٦٤
مرفأ بيروت والأسواق التجارية في العهد العثماني	د. حسان حلاق	٧٢
ضواحي بيروت القديمة هي احياء بيروت اليوم	شفيق طبارة	٨٤
اضواء على جمعية البر والاحسان البيروتية	اعداد: ا. علي حلاق	٩٠
بيروت صور وذكريات	تقديم: عدي فخري	٩٤
الامام الأوزاعي عالم مدينة بيروت	محمد حسين الملاح	١٠٥
أول تعطيل إداري للصحافة البيروتية عام ١٨٧١	«من الأرشيف»	١٠٨
الصفحة الأخيرة: فرحتان	معن بشور	١١٤




□ بيروت عام ١٨٦٤ للفنان «بارلت».

● الأبحاث والمقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب، تراعي في الألقاب الصفات العلمية فقط.

● المراسلات: توجه إلى رئيس التحرير، «مجلة تاريخ العرب والعالم» شارع السادات، بناية أبو هليل، ص. ب (٥٩٠٥)، بيروت.

● المواد الواردة إلى المجلة لا ترد إذا لم تنشر.

● المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة

سنواصل المسيرة

فاروق البربير

بهذا العدد تبدأ مجلة «تاريخ العرب والعالم» سنتها الثانية عشرة بعد توقف قسري فرضته الأحداث السياسية والعسكرية في لبنان والخليج العربي وما تبعها من تدهور في الأوضاع الاقتصادية. لقد حاولنا بكل صدق، وعلى الرغم من تلك الأوضاع الضاغطة أن نستمر في الصدور، إذ أننا نؤمن بأن هذا حق القارىء والمشترك علينا. ولكن المجلات الثقافية المستقلة، لا يزال أمامها اجتياز الكثير من العقبات لتتمكن من تأدية رسالتها الثقافية على الوجه الأكمل.

ليس من شك بأن الثقافة العربية تجتاز الآن منعطفاً تاريخياً وحضارياً قاسياً. فهناك تحديات داخلية يجب دراستها وإيجاد الحلول السريعة لوقف هذا الجمود الذي يسيطر على حياتنا الثقافية ويمنع الثقافة العربية من اداء رسالتها. وهناك في الوقت نفسه، تحد ثقافي غربي، تتعرض له يومياً، ويشمل جميع جوانب الحياة العربية، هدفه الحاق الهزيمة بالانسان العربي وإضعاف كيانه الثقافي الذي تقوم عليه الذات العربية.

نحن بالطبع لا ندعو إلى رفض الحضارة الغربية ومنجزاتها الكبيرة والتي أصبحت شئنا أم أبينا، جزءاً لا يتجزأ من واقعنا ومن تفكيرنا ولكننا ندعو إلى التمييز بين «العطاء» الثقافي الغربي وبين تراثنا وثقافتنا العربية المميزة التي يجب أن نحافظ عليها. لقد قدم العرب في الماضي الكثير للحضارة الغربية من علم وفن وثقافة واعترف الجميع بهذا الاسهام الحضاري الذي ساهم باغناء الحضارة الغربية.. ولكن هذه المساهمة العربية جاءت عندما كان العرب في أوج قوتهم وعنفوانهم، فلم يفرضوا ثقافتهم أو تراثهم.

المهم أن نميز دائماً بين ما يجب أخذه من ثقافة الغرب من إيجابيات ورفض ما هو مبرمج من الخارج لكونه يساهم بربطنا فكرياً ومادياً بالتحولات العالمية الكبرى التي بدأت تتبلور ملامحها وأهدافها رويداً رويداً خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وحرب الخليج المدمرة.

إن مهمة الثقافة العربية اليوم هي في مقاومة التحدي المدعم بالثقل السياسي والاقتصادي والتقني من جهة، وبناء الشخصية العربية الأصيلة من جهة أخرى المرتبطة عضوياً ومصلحياً بطموحات المواطن العربي.

* * *

إننا نعود اليوم إلى قرائنا ومشتركينا وأصدقائنا بعد هذا التوقف القسري بعدد خاص عن «بيروت»، هذه المدينة الوفية، المناضلة التي كانت دائماً ضمير المواطن العربي والمتنفس الطبيعي والعفوي عن احلامه. تقديراً منا لمدينة بيروت، نقدم هذا العدد الخاص شاكرين بصورة خاصة جميع الذين اقتنعوا بضرورة اعادة اصدار هذه المجلة، وبالتالي دعّموها مما أفسح في المجال لاعادة اصدار هذه الاداة الثقافية العربية.

اننا نعاهد الجميع بأننا على العهد باقون وان ثقتنا بالانسان العربي، لا حدود لها. ومن هذه الثقة سنستمد قوتنا لنواصل المسيرة، وكلنا أمل بأننا من خلال هذه الأداة الثقافية، سنساهم في انارة الطريق نحو غد عربي أفضل.

●

بيروت... الأنموذج الذي صمد

الرئيس الدكتور سليم الحص



عندما نتحدث عن بيروت إنما نقصد في واقع الأمر أنموذجاً متميزاً في إطلالة العالم العربي على حوض البحر الأبيض المتوسط ومن ثم على الدنيا أجمع. إنه أنموذج الحريات الفردية والعامة، والانفتاح، والتفاعل بين تيارات الفكر المختلفة وتجليات تفاعل الثقافات المتعددة في حيّز من الأرض محدود ضيّق.

هكذا إكتسبت بيروت طابع الدور، الوظيفة، وطغت صفة الوظيفة هذه، في إمتداد نطاقها، على صفتها عاصمة لبلد صغير من بلدان المنطقة. لا بل هكذا نمت الوظيفة لتغدو في حجم البلد بأسره، وباتت صورة الوظيفة التي لازمت العاصمة تتعاظم إلى حجم الوظيفة للبلد بكامله.

ومع نمو هذه الوظيفة أفقياً، جغرافياً، لتخيّم على لبنان كله، لم تلبث أن أخذت تنمو عمودياً، تضرب جذورها في العمق البنيوي للمجتمع اللبناني والاقتصاد الوطني اللبناني والثقافة الوطنية اللبنانية، حتى بات لبنان يُعرف بها وهي تُعرف به، لا بل حتى غدت في مستوى مبرر الوجود للمجتمع اللبناني المتميّز، وكذلك للاقتصاد اللبناني المتميّز، في قلب الوطن العربي الأرحب.

حاولت يوماً إستشراف هذا الواقع من المطلّ الاقتصادي الذي كان ميدان إختصاصي قبل أن تغمرني شواغل العمل السياسي الذي دُعيت إلى الخدمة فيه في لحظة فراغ حلّت بساحته. فوجدتني أكتب في إحدى المنشورات المتخصصة، فيما كان لبنان في مهبّ إعصار جامح وسط المحنة الوطنية الماحقة، لأتحدث عن «بيروت التي كانت كل لبنان». فقلت:

كان يقال إن لبنان كله بيروت، إن بيروت هي كل لبنان.

كان يقال ذلك ليس على سبيل الغزل بلؤلؤة البحر المتوسط وإنما على سبيل التنديد بلبنان.

عندما كان أحدنا يتغنى بإنفتاح لبنان وحرياته، بمستوى معيشته وثقافته، بنشاطه التجاري والمالي والمصرفي، بمعدل نموّه الاقتصادي، بموقعه على ملتقى طرق الشرق والغرب بحراً وجواً، بجمال طبيعته وصخب حياته.. عندما كان أحدنا يتحدث بلسان يلهج بالثناء، عن لبنان مركزاً للخدمات في المشرق العربي، عن مصارفه وجامعاته ومستشفياته ومدارسه، عن شبكة مواصلاته، عن طرقه ومرفئه ومطاره، عن صحافته وأدبه وفنه.. عندما كان أحدنا يفعل ذلك لم يكن يقصد لبنان وإنما كان يقصد عاصمته.

وما الفرق؟

كان لبنان كله بيروت... كانت بيروت كل لبنان.

كل ما كان يقال عن لبنان كان يتركز في بيروت ويتمحور حولها. بيروت تلك، التي كان حجمها من حجم لبنان، كانت لها حدود جغرافية أوسع من حدودها البلدية.. وكانت كنيتها عند البعض بيروت الكبرى.

وحتى المساحات المحيطة ببيروت الكبرى كانت تعرف بها. فالتلال الخضراء الجميلة التي تحيط بها هي مشارف بيروت، وأعالي تلك التلال هي جبالها.

بيروت تلك كانت في ذلك الوقت ضعف لبنان بقدر ما كانت هي كل لبنان وقوته. فهي لم تترك لسائر لبنان شيئاً مما كان لها، أو كادت، فيها الازدهار والرخاء والرواج، وفي الجنوب والبقاع وعكار تخلّف وفاقة وحرمان. فيها الثروة والنعمة والألق وفي قرى الجبال كدّ وكدح ولقمة عيش مغموسة بعرق الجبين. فيها الثقافة والعلم والأدب والفن، وفي الريف البعيد قحط، وإذا ما حباه الله من أهل تلك الحقول يوماً نوابغ، وقد فعل بسخاء، ابتلعتهم تلك المدينة النهمة. التي تنضح بالحياة والحيوية.

وحتى الفقر والحرمان والجهل لم يتركوا بيروت، في كبريائها، لسائر لبنان فضل الاستئثار بها. فكان حزام البؤس حول العاصمة يتحدى المناطق بما لها وما عليها وأكثر.

كانت بيروت تتباهى بجاه لبنان كله، برفعة لبنان كله، بنماء لبنان كله، فوجد الاقتصاديون في ذلك ضعف لبنان. رأوا في تميز بيروت ما يشبه الورم في الجسم اللبناني السقيم. فلا غرو إن قالوا إن إنماء لبنان يعني إنماء المناطق، يعني إنماء الزراعة في الريف النائي والصناعة بعيداً عن المدن، يعني تطوير البنى الأساسية في زوايا لبنان الأربع وتحديث مرافق الخدمات العامة وتعزيز حضور إدارات الدولة فيها.

كانت بيروت كل ذلك، فأين غدت اليوم؟

الأزمة المجنونة التي إجتاحت لبنان طحنت بيروت.

سنوات الأزمة التي عبرت بطيئة ثقيلة طويلة كانت تأكل من بيروت كلما أكلت من لبنان. كانت تقتات من عافية بيروت ورونقها وحتى من جسمها فيما كانت تستنزف دم لبنان. ولا عجب، أو ليست بيروت كل لبنان؟ أو ليس لبنان كله بيروت؟ كنا نخشى، ولا نخفي خشيتنا، من أن يكون هدف المؤامرة أن يصغر لبنان لتكبر بيروت.. أي أن يُفتّت لبنان، فتُبتر أطرافه وتقضم جوانبه فلا يبقى من الوطن المصاب إلا بيروت الكبرى، وربما مشارفها، فإذا ببيروت ذاتها تتقلص وتصغر وتنكمش.

وبعد هدوء، بعدما وصلت سفينة لبنان إلى شاطىء الطائف، وجدتني أتحدث عن صمود لبنان واحداً موحداً، صمود لبنان الانفتاح والحريات والحياة الثقافية النابضة المتجددة وبيروت عاصمته، عروس العواصم العربية، وحصن القيم التي ينهض عليها الوطن اللبناني. وقلت في إقتصاده:

لعلّ خصوصية لبنان الأبرز في إجتذاب النشاط التثميري ستكون لمدة طويلة حقيقة أن الاقتصاد اللبناني، بما يتّسم به من حرية فردية، أظهر قدرة مذهلة على تخطي أقسى التجارب وأعنف الضغوط عبر سنوات الأزمة.

فلقد خرج نظام المبادرة الفردية من تحت الركام سليماً. وهذا لا بد في اعتقادنا من أن يكون ذا أثر كبير في سعي لبنان لإحياء ثقة العالم، لا بل لتعزيز هذه الثقة، في طاقة إقتصاده الوطني على المقاومة والتكيّف. فليس من تأكيد لطاقات لبنان الواعدة أقوى من الشهادة التي قدمتها تجارب الأزمة، وهي أن اقتصاداً يستطيع مقاومة عاصفة بهذه القوة لقادر على التصدي لأية تحديات في المستقبل.

وأقول في بُعد لبنان العربي بعد الطائف: أن منطلق الطائف قد يكون له وقع على مسار التطورات في العالم العربي لا يقل أهمية عما له من تأثير على سياق الأحداث في لبنان. فمعادلة الطائف أولاً وأخيراً، ولو أن أبوّتها اللبنانية واضحة لا شبهة عليها، هي مولود عربي بمعنى معيّن: فالولادة تمت على أيد عربية (أيدي اللجنة الثلاثية وسوريا)، في غرفة عمليات عربية (الطائف في المملكة العربية السعودية)، وكانت الرعاية الفائقة عند الولادة من الفريق العربي إياه.

إضافة إلى كل ذلك، فإن منحى الطائف يمكن أن يحتفر موقعاً لنفسه في مسار التطورات العربية المقبلة من حيث أنه أوجد منطلقاً ناجحاً لمعالجة القضايا العربية.

فإذا كانت سنّة الحياة أن النجاح يولّد النجاح، فإن تاريخ العرب الحديث حافل بالخيبات المتولدة عن خيبات وخيبات، وذلك إلى أن سجل العرب نجاحاً باهراً في رعايتهم البارعة لعملية الطائف. أما التأييد العالمي الذي لقيه هذا الانجاز العربي فيتجلّى في الاعتراف والدعم المعبّر عنهما في شكل واسع على شتى المستويات الدولية.

هذا النجاح مرشح لأن يخلّف دمغة على الوضع السياسي العربي: فهو قدر يفرض نفسه أنموذجاً يتبناه العرب في معالجة قضاياهم مستقبلاً. فإذا تمّ ذلك فإن منطلق الطائف سوف ينزل في التاريخ على أنه المنطلق المعرب لمعالجة القضية اللبنانية، الذي عاد فأضحى هو المنطلق المُلبنن لمواجهة القضايا العربية.

وهذا يحدو إلى طرح سؤال مهم آخر: إذا كان إطار الطائف مولوداً عربياً، أليس من الطبيعي أن يكون له تأثير على جوهر الحلول التي قد تطرح للقضايا العربية مستقبلاً؟ والسؤال الرديف الذي يجب طرحه هو: كيف يمكن لثوابت النموذج اللبناني الذي رعاه العرب التأثير على تفكيرهم حيال مستقبلهم؟ ثمة مبادىء أساسية مثل الديمقراطية، الحريات، المشاركة، الضوابط المؤسسية والقانونية، دخلت في نسيج الأنموذج اللبناني. فإلى أي مدى يمكن أن تؤثر هذه العناوين على مسار التطورات والإصلاحات مستقبلاً في شتى أرجاء العالم العربي؟

هل يكون أنموذج الحل اللبناني يا ترى هو الرائد في حركة التطور المتدرّج في العالم العربي؟

وبالتالي، هل تغدو بيروت عاصمة التطور الإصلاحي في العالم العربي؟

●



جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية
جزء لا يتجزأ من تاريخ بيروت

الأستاذ تمام سلام

رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية

إن الحديث عن بيروت قد يتطلب مجلدات وأبحاث عميقة وواسعة. فهذه المدينة العربية العريقة لها طبيعة خاصة جغرافياً وتاريخياً، وموقعها المميز على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، أمّن لها دوراً متقدماً وطموحاً عبر السنين.

لقد قامت في بيروت حركة تجارية واقتصادية بالنسبة لموقعها الاستراتيجي وانعكس ذلك ازدهاراً ونمواً في كافة الاتجاهات، وبالذات منها العلمية والثقافية. فبيروت كانت «بوابة الشرق» في عهد الفراعنة، «وأم الشرائع» في عهد الامبراطورية الرومانية، ومركزاً فقهياً كبيراً في أيام الامام الأوزاعي.

وفي منتصف القرن الماضي بدأت بيروت تأخذ منحى مدني واسع له أبعاده الوطنية والاقليمية، وحدثان بارزان طبعا مدينة بيروت طابعاً خاصاً ومميزاً.

الأول كان تأسيس «الكلية الانجيلية السورية» التي عرفت فيما بعد «بالجامعة الأميركية في بيروت».

والثاني كان في تداعي نفر من أبناء بيروت لتأسيس «جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية».

سأسعى في استعراضي القصير والمقتضب عن بيروت أن أركز على «جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية» لأنها تشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ بيروت، لزمن يزيد عن القرن، ولأن بيروت تفاعلت وتأثرت بكثير من تكوينها الاجتماعي بنشاطات وأعمال المقاصد.

قد لا يجد الباحث عن التركيبة الاجتماعية لأهل بيروت بيتاً أو عائلة في المدينة تخلو من علاقة بطريقة أو بأخرى مع المقاصد. هذا فضلاً عن أن هناك أجيالاً وأعداداً كبيرة من المواطنين المسلمين البيروتيين تعلموا ودرسوا وتخرجوا من مدارس وكليات ومعاهد المقاصد في بيروت.

والمقاصد تمكنت منذ نشأتها من احتضان واعتماد توجهات اجتماعية رعائية في مجال الخدمة العامة تتكامل مع احتياجات ومتطلبات نمو وتطور وتقدم مجتمعها الاسلامي في بيروت.

وكان القائمون على إدارة شؤونها من المؤسسين، وعلى رأسهم ذلك الشاب المميز والقدير «الشيـخ عبد القادر القباني» ومن تبعهم في المسؤولية من رجال أفاضل، كانوا بعيدي النظر ومستقبلي الرؤيا في أنهم أدركوا من أول الطريق أهمية العلم ونشره بين المواطنين لمواجهة التحديات العصرية التي كانت تطرق أبواب كل المجتمعات الحيّة في العالم.

والشيـخ عبد القادر القباني بالاضافة إلى كونه الرئيس الأول لهذه الجمعية الكريمة، ولكونه صاحب صحيفة من أوائل الصحف التي انتشرت في البلاد وهي جريدة «ثمرات الفنون»، كان من روّاد النهضة العربية والإسلامية.

لقد انتبه المسلمون بحسهم الذكي ومنذ الوهلة الأولى إلى اهتمام اخوانهم المسيحيين بتأليف جمعيات طائفية يعود نفعها على الطوائف المسيحية دون غيرها، وأن ذلك سيخلق تفاوتاً بين الطوائف يضرّ بجسم الوطن ككل، وإن مثل هذا التفاوت لن يساعد في توحيد الوطن ككل بل سيخلق تناقضاً حاداً سيرتد فيما بعد ليهدم الوطن برمته.

لذلك، نادى مؤسسوا المقاصد بلزوم جعل هذه الجمعيات الطائفية عمومية، كما تمنوا أن تكون بادرتهم هم بالذات، بادرة عمومية يعم خيرها أبناء جميـع الطوائف. ولكنهم اضطروا للبدء بأبناء الطائفة الاسلامية، حين شعروا بتخلفها عن الركب، وأن كل الطوائف الأخرى قد سبقتها، وأن الدول الأجنبية تحتضن هذه الطوائف وترعاها، وليس من أحد يهتم بأحوال المسلمين.

وبدأت مسيرة المقاصد برفع شعارها على لسان رئيسها الأول إذ يقول: «إن سمحتم لي بتحسين التربية، ألزمت نفسي لكم بإصلاح أحوال العالم بأسره».

ومن أجل أن يضمن المقاصديون رسوخ التعليم والثقافة في المجتمـع أيقنوا من أول الطريق أن الأهمية تكمن في تعليم المرأة التي عليها أن تسهر على تعليم الأبناء. وكان القول الشهير لأحد المؤسسين وهو المرحوم حسن بيهم في هـذا الموضوع هو التالي: «فإن لا أمة بلا رجال، ولا رجال بلا عائلة، ولا عائلة بلا مرب، وهذا المربي هو الأم التي إن لم تكن متعلمة وهي صبية، لا يمكنها أن تربي أولادها وبالتالي لا تهذب الأمة».

وافتتـح المقاصديون نشاطهم التربوي بإنشاء أول مدرسة للمقاصد وكانت مخصصة للبنات.

ففي تلك الفترة كانت حركة الدعوة لتحرير المرأة على أشدها، وشكلت جزءاً أساسياً في كتابات ومؤلفات وخطب أدباء ومفكري ذلك العهد. فعلى صعيد محلي وفي بيروت بالذات، ساهم بطرس البستاني مساهمة فعّالة في الدعوة لتثقيف المرأة بما أخذ يكتبه من مقالات في الصحف، وبما ألقاه من خطب في مناسبات مختلفة، وبما كتبه أيضاً بصورة خاصة في جريدة «ثمرات الفنون» الاسلامية.

وفي تلك الفترة أيضاً وبعد أن تطورت وسائل المواصلات وبدأ يفد الأسواق البيروتية ما ينشر من كتابات العلماء أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدو ورشيد رضا وهم رواد الفكر الاسلامي في نهضته الحديثة، تفتحت أذهان المسلمين على آفاق جديدة تسعى كلها لانهاض المجتمـع الاسلامي عبر تثقيفه وتعليمه وتحريره وخاصة المرأة المسلمة.

ومن ظروف التطوير والتغيير الذي كانت تشهده بيروت والمحيط الأوسع في لبنان والعالم العربي على مستوى التجدد الفكري والتحرر السياسي، كانت هذه الدفعة من رجالات المقاصد تتمتـع بحيوية واثقة وبإيمان عارم وبعد نظر شامل وبقدرة على اتخاذ القرار الجريء، وبوطنية صافية لخير الوطن ككل. لقد كانوا! قادة تاريخيين فجعلوا المقاصد صرحاً يعيش مئات السنين.

وإذا كانت بيروت قد تمكنت عبر السنين وإلى يومنا هذا من النمو والتطور باتجاه رحب وكبير لتلعب دوراً رائداً ليس فقط كعاصمة للبنان بل أيضاً في كل المنطقة كلؤلؤة تجذب إليها الكثيرين من رجال الفكر والفن والعلم والمال والاقتصاد، فإن المقاصد تمكنت أيضاً وعبر رجال مخلصين من الآباء والأجداد من مواكبة كل ذلك بذهنية منفتحة وبإرادة صلبة وبقرار جريء أمن لها موقعاً مميزاً ومتقدماً في تمثيل بيروت تراثاً وحاضراً في كل المناسبات وعلى مستوى راق يعتز ويفاخر به أبناء هذه المدينة الأصيلة، ويسمـح للمقاصد أن تستحق موقعها وقيمتها بين أهلها وفي وسط مجتمعها وذلك في تحمل مسؤولية ما يعود بالنفع على بيروت وكذلك في الذود والدفاع عن ما يلحق بها من ضرر وأذى.

وإذا كان لنا ما نُرضي أنفسنا به، فهو أننا تمكنا عبر كل الظروف القاسية التي عاشها لبنان في أثناء محنة الستة عشرة سنة الماضية، من احتضان الانسان المواطن البيروتي ورعايته وتقديم يد العون له في أحلك الأوقات. نعم احتضناه وهو طفل يحبو، واحتضناه وهـو يافـع يناطح السحـاب بعنفوانـه، ورعيناه وهـو مريض أو مصاب، وسهرنا عليه وعلى عائلته وهو يعيش في أعتى ظروف الحرب.

علمناه العلم والهداية، وربيناه التربية الاسلامية الوطنية الحقة، وزرعنا في صدره الايمان، وحميناه من هجمة العابثين والأشرار، وحلنا دونه ودون الانغماس في منزلقات الحرب ومغرياتها وما فيها من وصولية وانتهازية. وحصّناه بالأخلاق، وسلحناه بسلاح العلم والمعرفة، كما أمنا له سبيل العيش الكريم واللائق وجعلنا منه المواطن الصالح.

نعم هذه هي المهمة المقدسة التي نتطلع دائماً إلى السهر لتحقيقها لنتمكن من الحفاظ على بيروت وعلى رونقها ونقاوتها، منارة مشعة تسطـع أنوارها في كل الاتجاهات وفي مختلف الظروف والأحوال ويسترشد بها كل طالب علم أو فكر أو هواية.

بيروت ستبقى هاجسنا وستبقى أرضها الطيبة حقلاً خصباً تتعمق فيها جذورنا وتتأصل.

●



بيروت ليست كسائر المدن..

د. أنيس صايغ

مستشار مجلة «تاريخ العرب والعالم».

تعددت أصناف الغزل بالمدن في الأدبيات العربية وتنوّعت، ففيها عبارات الحنين، ولواعج الشوق، وفيها أنين الحزن ونواح المراثي، وفيها البكائيات وأغنيات الندب وشعر الوقوف على الأطلال والتحسر على البلد الضائع والوطن السليب. من الشعر الجاهلي إلى ما قيل في بغداد هولاكو، إلى ما قيل في خسارة الأندلس، إلى «أدب العودة» لفلسطين، (عن طريق لا يمر بمدريد!). شعر ونثر.. حزن وغضب.. ودموع وغصّات.. عزف على ربابة ارتخت أوتارها من رتابة الايقاع.

بيروت وحدها، بين المدن والبقاع، جاء البكاء عليها شجياً والحنين إليها ندياً، والغزل بها طرباً، لأن عشاقها إنما نعوها على رجاء القيامة. فكانت بيروت فريدة في هبوطها مثلما كانت فريدة في شموخها. وكان التعلق بها والانجذاب إليها في البعد عنها يتجاوز اللجوء إليها والاحتماء بها في أيام عزّها.

ليست بيروت كسائر المدن، وليس لها ما للمدن الكبرى من مكوّنات وصفات تضمن لها الشهرة والخلود: لا في الحجم والمساحة، ولا في كثافة السكان وتعداد الآهلين، ولا حتى في جمال الطبيعة أو هندسة البناء أو زحمة الآثار والمشاهد، ولا روعة الأسواق وفخامة الشوارع وتناسق المباني. بل إنها ــ والحق يقال ــ أقرب ما تكون إلى عكس تلك الصفات ونقيضها، ولعلها اقرب ما تكون إلى مثال المدينة الفوضى والتناقضات واللخبطة وغياب التخطيط واضطراب البرامج وضياع الانسجام. إنها أصغر من حيّ في مدينة معاصرة، إنها مجرد نقطة صغيرة على خارطة العالم الزمانية والمكانية.

لكنها مدينة وفية، بادلها محبوها الوفاء بالوفاء. أعطتهم الراحة (الحرية، الثقافة، سهولة العيش، الأمان، الكتاب والمطبعة والجريدة والمجلة، والمنبر، الحزب والنقابة، المقهى، البحر والجبل، الحيوية التي تمتد أربعاً وعشرين ساعة كل أربع وعشرين ساعة)، وأعطت كل واحد مبتغاه حسب ذوقه ومتطلباته وتطلعاته. وسمحت لكل واحد أن يحيا حياته كما يريد هو لا كما يريد الآخرون، سواء كان الآخرون سلطة أو مجتمعاً أو أسرة أو جيراناً. أعطت بيروت أهلها، من أبناء أصليين ومن وافدين مستوطنين، كل ما تعطيه مدينة لأهلها وأكثر.

وأعطاها أهلها ما تستحق، بعد أن نزلت بها المحن، وأعمل السيف نحراً في رقاب بشرها وحجرها، فهدمت، وتبعثرت، وسلبت منها مسحة الأمن وحرية التصرّف وبريق الحياة وتُركت أطلالاً وغرباناً وبوماً وقذارة.

صحيح أن الكثيرين من أحبائها غادروها. بعضهم نزح اضطراراً، لأسباب سياسية أو أمنية أو معيشية، ونزح بعضهم دلعاً وجشعاً وجبناً وطمعاً. هرب بعضهم قرفاً من «الصمود» وصمد بعضهم قرفاً من الهرب. ولكنهم كلهم ظلوا على حبهم لها، يبوحون بهذا الحب في كل لحظة، ويتشوقون إلى العودة إذا سمحت ظروفهم، ظروفهم المشروعة أو غير المشروعة. فإذا كانت مياه النيل تجعل من يشربها مرة يريد أن يشربها أكثر من مرة، فإن بيروت (بمياهها الآسنة والمالحة والشحيحة) تجعل من يشربها مرة يتوق إلى أن يشربها في كل مرة، وأن يشربها حتى الثمالة.

إنها المدينة التي تسيطر على الناس، ولا يسيطر عليها أحد. لكنها لا تتحكم بالناس، وتسمح لكل إنسان أن يتحكم بها. مدينة غريبة فريدة، يسيء ناس إليها ولا تسيء إلى أحد.

هذه خلفية التراث الأدبي الضخم الذي تكوّم حول بيروت، شعراً ونثراً، قصة ورواية ومقالة وفكرة وجدانية، في السنوات الخمس عشرة أو الست عشرة الأخيرة، بأقلام عربية (والقليل منها أجنبي) من كل بلد عربي. ومن كل لون وذوق وانتماء. تلتقي المذاهب كلها في الاقتراب الفني مثلما التقت كلها في التفيؤ في ظلها.

إنها إضافة قيّمة لأدبيات الغزل بالمدينة الضائعة أو السليبة أو المندثرة. لكن الإضافة الجديدة، على غير ما كانت عليه الأدبيات السابقة، ملؤها الفرح وعنوانها التفاؤل، لونها براق ونغمها مطرب، قوس قزح وريش طاووس. إنه أدب الحياة الباقية، لا أدب الموت السحيق. أدب مستقبل ستشرق شمسه عن قريب لا أدب كيان تحطم وتحنط. حتى القسوة في أدبيات بيروت ١٩٧٥ ــ ١٩٩١ قسوة لطيفة، إنها قسوة العاشق المتألم والمهاجر المكره والمبعد قسراً، وليست قسوة الشماتة والسخرية واللوم.

قيل في بيروت الكثير، وسيقال فيها الكثير، لكن أبلغ من هذا الكلام المقال هو إرادة قوية وعزم أكيد على أن تعود بيروت إلى بيروتيتها الفذة، بحريتها وعطائها وكتابها ومطبعتها وضيافتها وقلبها المفتوح، وفوضاها و «عجقتها» وضجيجها، أي أن تعود إلينا بيروت التي عرفنا وأحببنا. قيام بيروت الحقيقة من تحت الركام والأوحال هو القصيدة الأجمل والخاطرة الأبلغ في هذا الكتاب الضخم من أشواق المحبين وأغاني الولهانين. ●



المرأة البيروتية تاريخ ومواقف

د. زاهية قدورة

كانت بيروت بلدة وادعة مميزة، بتجارتها مع الشرق والغرب، وبموقعها الستراتيجي، ثم أصبحت مركزاً لمؤسسات تعليمية أهلية وأجنبية، وكانت ورشة عمل مثمرة، ومصيفاً للاخوة العرب، ومنتجعاً يتجاذبه السياح من كل مكان!

ولبيروت ذكريات لا تزال ملتصقة في الذهن والقلب، تتمثل في الناس والاخوان الذين طبعوها بطابعهم، ولقد ترك أهلنا بصماتهم ورحلوا، فتبدلت أحوالها، بسبب التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

كانت بيروت عبارة عن بيت كبير، تعيش فيه أسرة كبيرة متجاورة متحابة، صادقة وفية، تعيش مع أناسها يتشاركون الأفراح والأتراح، يفرحون معاً ويحزنون معاً، يتآخى الجار مع جاره، بصرف النظر عن طائفته، أو مذهبه عملاً بالقول «جارك القريب ولا أخاك البعيد».

وقد كانت بيروت ساحة للغفران والتسامح وداراً رحبه للتعايش بين كل أبنائها، كانت بيتاً كبيراً استوعب بيوتاً كثيرة، لها مواصفاتها وخصوصيتها، طرابيشها حمراء «اللون» كقرميد بيوتها يجذبك من البعيد البعيد، شبابيكها زرقاء، حدائقها خضراء، تتنشق فيها روائح العطر والرياحين، فهي ربيع مثمر وزهر وياسمين.

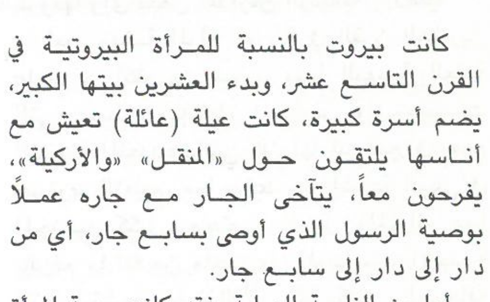
بيروت، لقد رحلت عنك الأجيال تلو الأجيال وبقيت صامدة ووفية. إنك مدينة المحطات الكبيرة الصعبة. محطات النضال والنصر، محطات المعاناة والألم، محطات شهدت قساوة الآخرين، وتحملت ضربات الحاقدين، وهجر المحبين؛

بيروت بقيت صامدة رافضة الذل والهوان، شاهدة للتاريخ، لأنك مدينة الحاضر والمستقبل، مدينة الحياة والعطاء الذي لا ينضب، وستظلين مدينة الجهاد والنضال من أجل وحدتك الوطنية، ومن أجل عروبتك وأصالتك برفض الطائفية والمذهبية، وفي مقارعة العدو وعملائه، ودفع الدماء راضية مرضية، لقد ترك أهلنا بصماتهم ورحلوا، وها نحن هنا نحيي ذكراك وذكراهم.

إنك يا بيروت نموذج حضاري في سجل التاريخ، ولك علينا الكثير من الحقوق والواجبات، ونحن على العهد باقون لأنك دفعت ثمناً غالياً من أجل الوطن. إنك مدينة العطاء ونعمل من أجلك، فنحن أبناؤك وأحفادك، أوليس الانسان ابن بيئته.



□ الدكتورة زاهية قدورة في اول مؤتمر للجامعيات العرب بدعوة من اتحاد الجامعيات اللبنانيات.



كانت بيروت بالنسبة للمرأة البيروتية في القرن التاسع عشر، وبدء العشرين بيتها الكبير، يضم أسرة كبيرة، كانت عيلة (عائلة) تعيش مع أناسها يلتقون حول «المنقل» «والأركيلة»، يفرحون معاً، يتآخى الجار مع جاره عملاً بوصية الرسول الذي أوصى بسابع جار، أي من دار إلى دار إلى سابع جار.

أما من الناحية العملية، فقد كانت مهمة المرأة البيروتية «ست بيت» و «ست مجتمع» ولم تحظ بالقدر المطلوب من التعليم إلا ما ندر. كان البعض يتعلمن عند الشيخة أو في الكتاتيب، أما المحظوظات منهن فكن يذهبن إلى بعض المدارس العثمانية أو الأهلية أو الأجنبية. وكن قلائل ومعظمهن لا يواصلن تعليمهن فيها، والبعض الآخر يتعلمن في منازلهن القرآن الكريم وأصول الدين واللغة العربية.

هذا من الناحية الاجتماعية، أما من الناحية التعليمية، فلا بدّ من القاء نظرة خاطفة على هذا الميدان بالذات في القرنين التاسع عشر والعشرين عندما كانت بيروت بلدة وادعة مميزة بتجارتها مع الشرق والغرب، وبموقعها الستراتيجي، فتطلعت إليها الدول الغربية التي فتحت أمامها الطريق على مستوى واسع قبل النصف الأول من القرن التاسع عشر، أي منذ دمج عملية اقتصاد بيروت في السوق الرأسمالية الدولية باتفاقية ١٨٣٨، بين انكلترا والباب العالي، ثم توالت اتفاقيات لاحقة من دول أوروبية أخرى رسخت الانفتاح الاقتصادي فيما بينها، مما أدى إلى زعزعة اقتصاد بيروت[1]، فزاد عدد الأجانب فيها وأنشئت مؤسسات وبيوتات تجارية واقتصادية وأجنبية، ثم كانت أحداث ١٨٤٠ و١٨٦٠، التي فسحت المجال أمام

التدخل الدولي عبر مؤسساته التعليمية والتبشيرية بالاضافة الى مؤسساته الاقتصادية التي وجدت من قبل، وكانت أميركية، وفرنسية، وروسية، وإيطالية، بدءاً بالمستوى الابتدائي وانتهاءً بالجامعة، وكان ذلك بدء الغزو الفكري والثقافي. هذا ولم تخل بيروت في ذلك الحين من مؤسسات أهلية من طائفة معينة، مدعومة من الجهات الأجنبية التي ارتبطت بها لا بل، كانت وليدة تلك المؤسسات التي جاءت بهدف التبشير، وتغريب العقلية العربية والاسلامية وتنميطها، وبالتالي تهدف إلى خلق وتعميق الهوة الطائفية والانفصالية بين أهل البلاد، وتشويه نظام القيم الاجتماعية والخلقية، وإيجاد كادرات مستقبلية تنفذ مشاريعها وسياستها الاستعمارية المتعددة النشاطات والوجود مما يخلق الغربة بين المواطنين.

بدأت معظم هذه المؤسسات في الجبل ثم انتقلت إلى بيروت لأنها كانت حريصة على أن تكون بعيدة عن الرقابة الرسمية الحكومية والأهلية، ولأنهم ظنوا أن مهمتهم أسهل في تلك المناطق مما قد تكون في بيروت.

وبالاضافة إلى المؤسسات التعليمية الأجنبية، وجد في بيروت كثير من المؤسسات التعليمية العثمانية والأهلية البيروتية الاسلامية، وكان للنظام العثماني الأساسي الصادر عام ١٨٧٦ والذي جعل التعليم الابتدائي اجبارياً على كل فرد من أفراد العثمانيين أثره في بيروت والولايات العثمانية.

لاحظ المسلمون انفراد البعثات الاجنبية في الساحة اللبنانية، ومكانة المدارس المسيحية، فخافوا على تغريب عقول أولادهم وغزو أفكارهم، فاستنهض ذلك همة بعض الرجال المسلمين الذين تداعوا إلى تأسيس مدارس خاصة للبنات؛ تضاهي المدارس الأجنبية فقال عبد القادر قباني: «... إن مدارس البنات في بيروت أغلبها للبروتستانت وفيها كثير من بنات المسلمين لعدم وجود مدرسة لهن.. لهذا يجب على أهل الغيرة الاسلامية أن يصرفوا الهمم لانشاء مدرسة لبناتهم..»[٢]

وهكذا تعاونت الهمم الشبابية في بيروت على تأليف جمعية «إسلامية خيرية» بعد أن اجتمع في بيت عبد القادر قباني خمسة وعشرون شاباً ونظموا أمورهم وتبرع[٣] كل منهم «بما ألهمه الله». فتأسست المقاصد الخيرية وكانت مجانية وقد لقيت دعماً من أهل بيروت. بدأت المسيرة بفتح مدرستين للاناث ومدرسة للذكور، وأخذت مدارس الجمعية تتكاثر منذ العام ١٢٩٦هـ ١٨٧٦ م وكان من أهدافها تعزيز اللغة العربية وتطعيم الثقافة العربية عن طريق الترجمة والتأليف[٤] مع المحافظة على الأصالة والتراث، وهي كانت ولا تزال تلتزم خطاً وطنياً لبنانياً وقومياً وحدوياً عربياً وهذا ما يميز خريجيها عن غيرهم في مجتمعنا.

ويجدر القول بالنسبة للتعليم والتعلم، أن مدارس الاناث كانت أسبق في الظهور من مدارس الذكور في مؤسسة المقاصد، وان عدد الاناث كان يفوق عدداً من عدد الذكور من أبناء الأغنياء، وإن الفقراء منهم كان يدفع بهم ذووهم إلى مشاركتهم أعباء الحياة، أما الأغنياء فكانت تسود عندهم الذهنية في أن طلب العلم لم يكن سوى وسيلة للارتزاق، مع العلم أن الاعتبارات الاجتماعية لم تكن تسمح للفتاة المسلمة بالدخول إلى مدارس الارساليات والقيام بعمل مأجور، فكانت فرصتها أن تنتسب إلى مدارس المقاصد الاسلامية التي كانت تراعي ظروفها وإلى بعض المدارس الرسمية والأهلية[٥].

تعود نهضة المرأة العربية في القرن العشرين عامة إلى أكثر من سبب، منها النهضة العامة التي حصلت بإنشاء المدارس والمؤسسات التربوية المتعددة والتي كان لها أثر كبير في رفع مستوى التعليم، مما ساعد على اشاعة الوعي في المجتمع ككل، مجتمع الرجل والمرأة، هذا بالرغم ما لنا من مآخذ على المؤسسات الأجنبية التي انتشرت حينذاك[٦] كما كانت الصحافة التي بدأت تشق طريقها إلى الرأي العام عاملاً من عوامل التنوير. ولا نغفل عن الدور الذي قام به رجال الاصلاح وأنصاره بمصر خاصة نذكر منهم: رفاعة الطهطاوي الذي طالب بتعليم البنات وأصدر كتابه «المرشد الرصين في تعليم البنات والبنين»، وقاسم أمين (١٨٦٣ ــ ١٩٠٨) الذي كان أبرز من نادى بتحرير المرأة، ومن النساء ملك حفني ناصف، وكذلك في بلاد الشام فارس



□ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يستقبل السيدة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي العربي العام وتبدو في الصورة السيدة شفيقة دياب، السيدة عادلة الجزائرلي، رئيسة الاتحاد النسائي السوري والسيدة انيسة نجار.

الشدياق وجرجي باز، ومحمد جميل بيهم. وعلينا أن نكون موضوعيين ونعترف أن حزب الاتحاد والترقي الذي كان في الحكم في الدولة العثمانية شجع ودعم تحرير المرأة وتحررها، وكان كل هذا عاملاً في انطلاقة المرأة العربية، ولا ننسى دور الرائدة العثمانية خالدة أديب(*) التي كانت وزيرة معارف في الدولة العثمانية وعهد إليها بإصلاح المدارس في سوريا ولبنان.

والبادرة الحضارية التي أظهرتها الدولة العثمانية عام ١٨٩٣، في إعطاء اجازة عمل لطبيبة أجنبية، وكانت إحدى المراسلات الأميركيات[٧]، مما أدهش السفير الأميركي وسجلها بمذكراته حينذاك.

كان إقبال المرأة على التعليم في بلاد الشام قد بدأ من خلال قلة من الرائدات اللواتي تتخصص في مؤسسات تعليمية خارج بيروت ــ أو لبنان إذا صح التعبير ــ وكان معظمهن من أميركا، إلى أن كانت ابتهاج قدورة أول فتاة بيروتية تدخل مدرسة البنات الأميركية، بدءاً من الصف الأول الابتدائي إلى أن نالت شهادتها النهائية عام ١٩٠٩، بتفوق، فكانت خطيبة حفلة التخرج حيث ألقت خطاباً بموضوع «دور المرأة في الهيئة الاجتماعية» وقال في ذلك الدكتور رئيف أبو اللمع الأديب والسياسي المعروف الذي حضر حفلة التخرج بعد أن سمع كلمتها، «إن في ذلك افتتاحها لمعركة السير بخطى ثابتة نحو التجديد المتزن بحياة المرأة»[٨]، ومما ساعد ابتهاج على اتخاذ هذه الخطوة بيئتها الخاصة التي كان رجالها من رواد الحركة العلمية في مجالات الطب والصيدلة.

كانت ابتهاج مثالاً رصيناً للفتاة المسلمة، فقد حافظت على أصالتها وتقاليدها وقيمها العربية الإسلامية مع مواكبة كل جيد جديد؛ فأصبحت مثالاً يحتذى للأسر البيروتية التي أخذت تطرق باب مدرسة الأميركان قائلة: «هون تعلمت ابتهاج؟ بدنا نحط بناتنا».

ومن الرائدات البيروتيات في التعليم المهني، السيدة سهيلا سعادة التي تخرجت من انكلترا و عملت لحسابها الخاص وكانت ناجحة جداً. وفي هذا التاريخ تقريباً تخرجت السيدة يسر فاخوري قدورة قابلة قانونية أيضاً، من المعهد الافرنسي في بيروت. وتخرجت في العام ذاته ١٩٢٦ نهيل «حبوب دجاني» ومنيرة بربير من كلية بيروت الأميركية بشهادة «صفومور» ومن بعدهما أديبة قدورة قزعون واحسان محمصاني.

ونشير إلى أن الحركة النسائية التعليمية ظلت قائمة على نطاق ضيق في التعليم الجامعي، عمادها أفراد قلائل في فترات متقطعة، تفصل بين أفواج المتخرجات، ويعود ذلك إلى عدم تشجيع الدولة اللبنانية على إرسال بعثات متخصصة، كما كانت أقساط الجامعات الموجودة في لبنان باهظة، مما حصر الدخول إليها بالنخبة وعلى الأخص بنات الأسر الميسورة. وكذلك من الأسباب عدم إيجاد الوظائف الملائمة لهن، لأسباب تتعلق بالمجتمع وبعقلية أهل البلاد حينذاك.

وخلال هذه الفترة وبعدها تخرج عدد لا بأس به من الفتيات البيروتيات من المدارس الخاصة والرسمية، الثانوية ككلية المقاصد وغيرها.

وقد لعبن دوراً ملحوظاً في مجال التربية والتعليم والعمل الاجتماعي منهن سلوى نويري، زاهية دوغان، من معهد التربية بالقاهرة، يسر نقاش، عزيزة طبارة، هند حشاش، عائشة قرنفل، زهر بيضون، فاطمة قرنفل، هيفاء غندور، فاطمة نصار، كلثم طبارة، نعمت جارودي، وداد عانوتي، حامدة الشيخ هبري، أمينة حلمي فروخ، صفية جبر وإن كانت أصغرهن سناً وهي لا تزال في ريعان الهمة والنشاط.

لقد انطلقت حركة التعليم الجامعي عام ١٩٣١، وما بعد، ففي عام ١٩٣١ تخرجت الجامعة الأميركية في بيروت، وفي العام نفسه تخرجت د. سنيه حبوب نقاش طبيبة متخصصة بالأمراض النسائية وطب الأطفال من جامعات أميركا.

وبعد فترة من الزمن أخذ يزداد عدد الجامعيات بصورة تجعلنا لا نستطيع حصرهن لعدم وجود احصائيات دقيقة، فتخرج مثلاً من الجامعة الأميركية أنيسة روضة ثم ثلاث فتيات بيروتيات تخرجن معاً تقريباً في درجة ب. ع وهي: زاهية قدورة، أنيسة دبوس، هيبة مخزومي (الترك) ثم تخرجت زاهية قدورة من جامعة فؤاد الأول بدرجة دكتوراه بالتاريخ الاسلامي عام ١٩٥١ واكرام صغير (حفار) حقوق من فرنسا. ثم توالت اعداد لا بأس بها من حملة الليسانس في الحقوق ب. ع/م. ع واحسان دمشقية، من الجامعة اليسوعية، والأكاديمية اللبنانية، وإنعام صغير ليسانس فلسفة من جامعة (فؤاد الأول) — القاهرة، د. حياة غندور طب من الجامعة الأميركية ببيروت، أنيسة دبوس، ونجاح فاعور م. ع من الجامعة الأميركية في بيروت وأمينة فاعور (منيمنة) ب. ع من كلية بيروت الأميركية B. U. C. الخ.

تغير الوضع في الخمسينات عندما نشأت الجامعة اللبنانية عام ١٩٥١ ثم جامعة بيروت العربية عام ١٩٦٠، وقد استقطبت أفواجاً كبيرة من الطلبة من البلاد العربية الشقيقة، بالاضافة إلى الطلبة اللبنانيين كونها تمثل جامعة عريقة وأساتذة كبار لهم سمعة علمية في العالم العربي وفي الغرب أيضاً، بينما كانت الجامعة اللبنانية تخطو خطواتها الأولى، التي استكملت فيما بعد وأصبح لديها بحاثة وعلماء نفخر بهم ونعتز.

إن المرأة المتعلمة حولت جهودها منذ البدء إلى العمل الاجتماعي، لأن الرجل في بلادنا كان ولا يزال لا يثق بإيصال المرأة إلى موقع القرار، بل لا يطمئن إليها في تعاطي المهن الحرة، فالمجتمع اللبناني لا يزال يفضل المحامي على المحامية، والطبيب على الطبيبة والسياسي على السياسية، والوزير على الوزيرة، ولا يتعهد إليها بمصالحه وأعماله، فعلى المرأة أن تظهر قدرة غير



□ السيدة هدى الشعراوي رئيسة الاتحاد النسائي المصري في افتتاح السوق الخيرية لبنات مشغل الاتحاد في القاهرة عام ١٩٤٦.

عادية من الكفاءة، لتظفر باعتراف المجتمع. فالمرأة البيروتية التي عرفت بوفرة نشاطها حوّلت هذا النشاط إلى الحقل أو الميدان الاجتماعي الخيري العام، والموهوبات منهن إلى المجال الأدبي منذ قرن تقريباً. وكان لهن القدح المعلّى في الميادين الاجتماعية خاصة، فعلينا أن نذكر الرعيل الأول بكر فخر واعتزاز وتقدير، ونحمل له شعور الاكبار والمحبة، فهو الذي شق الطريق امام الأجيال اللاحقة، وكان من جميل الصدف أن الرائدات البيروتيات الأوائل كنّ عوداً قليلاً من سيدات الطبقة العليا كرسن حياتهن للعمل العام ودربن أجيالاً مباركة لا تزال تتابع الرسالة.

المجال الأدبي

وإذا ذكر المجال الأدبي تُذكر أول ما تُذكر الرائدات البيروتيات اللواتي عملن في مجالات اخرى أيضاً: عنبرة سلام (الخالدي)، سلوى محمصاني (مومنة)، ابتهاج قدورة. ولم يكن هذا كافياً بطبيعة الحال لايجاد تيار أو مدرسة أدبية. فابتهاج قدورة، التي كرست حياتها للعمل الاجتماعي والخيري ولدفع مستوى المرأة، وجاهدت طويلاً إلى أن نالت المرأة حقوقها السياسية منذ عام ١٩٣٦، وكانت سيدة المنابر في المناسبات الكبيرة، وكان لها خطب عديدة في

المناسبات الحكومية الرسمية كأعياد الاستقلال وأعياد الجلاء، والأعياد الاسلامية، وأعياد الميلاد، وكانت كلماتها تثير اعجاب الأدباء والسياسيين وسفراء السلك الدبلوماسي العربي. وكذلك كانت الأديبة السيدة عنبرة سلام الخالدي أديبة مميزة بالسليقة، وكانت زميلة وصديقة حميمة لابتهاج، وقد عملا معاً زمناً طويلاً إلى أن تزوجت عنبرة من الأستاذ الفلسطيني الكبير أحمد سامح الخالدي وانتقلت إلى القدس قبل الثلاثينات، واستمر نشاطها الأدبي والفكري بعد الزواج.

الميدان الاجتماعي

قلنا أن نخبة من السيدات اشتركن في اقتحام العمل الاجتماعي الخيري، تخفيفاً لمعاناة الفقراء والبؤساء والمحتاجين، وتنشئة للأطفال والمعوزين وهن ابتهاج قدورة، عنبرة سلام، عادلة بيهم، أمينة حمزة، فانشأن ملاجىء للاهتمام بالأطفال نتيجة لويلات الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك بناء على طلب عزمي بك الوالي العثماني، فتم احتضان الصغار ضحايا الحرب وتعليمهم الحرف والعلوم، وقد بلغ من هديهن عليهم انتقال عدوى التيفوس لابتهاج قدورة والذي كاد يودي بحياتها[9]. وكذلك أنشأن جمعية يقظة الفتاة العربية عام ١٩١٤، وتقول د. حنيفة الخطيب في كتابها «تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان، وارتباطها بالعالم العربي ١٨٠٠ — ١٩٧٥» في ابتهاج قدورة أنها أسست أول جمعية نسائية إسلامية في لبنان ١٩١٤، والقضية الأساسية لهذه الجمعية كانت «إيقاظ المرأة وإيقاظ الوعي العام والرأي العام، والعمل على نشر لواء العروبة في بلادنا»[10]. وكذلك أسست السيدات اللواتي سبق ذكرهن — أول ناد ثقافي نسائي أطلق عليه «نادي جمعية الأمور الخيرية للفتيات المسلمات» أقيمت فيه حفلات شهرية حضرها كبار الشخصيات من الرجال والنساء، حاضرت النساء من وراء الحجاب — وأنشأن في النادي مكتبة عامة للمطالعة، كما تعلمت الفتيات الموسيقى والرسم والتصوير، ومثلت على مسرحه مسرحيات قيمة، ويقال إن تأسيس هذا النادي كان بدعم من عزمي بك عام ١٩١٧.

ومن الأعمال الجليلة التي قامت بها بعض السيدات البيروتيات، العمل الدؤوب في دار الأيتام الاسلامية التي تأسست عام ١٩٢٢ من نخبة من رجال بيروت وتأسست في الوقت نفسه لجنة نسائية عهد بعمادتها للسيدة ابتهاج قدورة من عام ١٩٢٢ — ١٩٥٢ بالتعاون مع ليلى بيهم من بينهم شفيقة سلام، لمياء بيهم، نعمت جارودي، فاطمة داعوق، شفيقة العويني، حياة بيهم وعدد كبير من سيدات بيروت. وكانت نشاطات اللجنة متعددة، تربوية، مهنية، خيرية، تثقيفية[11] وتأسست فيما بعد هيئة نسائية في دار الأيتام عرفت بمبرة محمد رمضان، تبرّع بها المحسن الكبير السيد محمد رمضان، ضمن دار الأيتام الاسلامية، وترأس اللجنة هذه زوجته السيدة نجوى نويري رمضان[12]، وفي عام ١٩٤٤ انبثقت عن دار الأيتام الاسلامية جمعية العناية بالطفل والأم عينت رئيسة لها نعمت قرنفل ورئيسة فخرية ابتهاج قدورة، وتعاقبت على رئاستها شفيقة دياب وحسانة داعوق وفي العام ١٩٣٦، تحولت لجنة رعاية الطفل التي كانت تابعة للاتحاد النسائي اللبناني العربي برئاسة ابتهاج قدورة إلى جمعية رعاية الطفل برئاسة السيدة زاهية سلمان بيروتية بالاقامة. وقد تأسست في العام ١٩٥١ لجنة بالاتحاد النسائي اللبناني عرفت بلجنة انعاش القرية، وفي عام ١٩٥٣ تحولت هذه اللجنة إلى هيئة مستقلة برئاسة سيدة بيروتية انيسة روضة (نجار)، وجعلت المركز الرئيسي بيروت، وفروع اخرى في قرى متعددة.

ومن النشاطات التي اشتركت فيها المرأة البيروتية أيضاً تأسيس جمعية النهضة النسائية على أثر ثورة «الاستقلال اللبناني» ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ استنكاراً لاعتقال رجال الحكومة حينذاك، كان هدفها في البدء المشاركة في المحاضرات والتحركات، ثم تحولت إلى جمعية ثقافية واجتماعية، ومن هؤلاء السيدات: ابتهاج قدورة، نازك العابد بيهم، روز شحفة، فايزة الصلح، زلفة شمعون، عقيلة سليم تقلا، قشوع،

فريج، لور تابت، افلين بسترس، شفيقة دياب، نجلاء نقوري، حنينة طرشا، عفيفة مجدلاني، جانيت تادروس، سلمى غزاوي، ليلى بدري، جمال كرم حرفوش، سلمى تقي الدين، شفيقة سلام، وغيرهن.

وفي العام ١٩٤٥ أسست بعض السيدات البيروتيات رابطة الجمعيات النسائية الخيرية لاحياء بيروت، برئاسة ابتهاج قدورة، وكان الاجتماع الأول في منزل عائشة قرنفل وهن: ابتهاج قدورة، سلوى نويري، عائشة قرنفل، زهرة بيضون، فاطمة القصار، وداد عانوتي، فاطمة قرنفل، يسر نقاش، حامدة الشيخ (الهبري) نعمت ملك، زاهية سلمان (من خارج بيروت). وهذه الرابطة تألفت ولا تزال من عشر جمعيات لكل حي جمعية، هدفها رفع مستوى المرأة الثقافي والاجتماعي والصحي، وتأمين مهنة تكسب بها عيشها بطرق شريفة. ثم أسست الرابطة مدرسة للأطفال، فقرر أعضاء الرابطة تسجيل المدرسة باسم مدرسة ابتهاج قدورة، لكنها اعتذرت وأصرّت واقترحت اطلاق اسم «بهجة الأطفال» عليها وفعلوا ذلك تيمناً باسمها، واعترافاً بجهودها بالنسبة للرابطة منذ تأسيسها ١٩٤٥، حتى سنة وفاتها ١٩٦٧[13]، ولا تزال الرابطة مستمرة بنجاح.

ومن الجمعيات التي ساهمت بها المرأة البيروتية كثيرة نذكر منها مثلاً: الاتحاد النسائي اللبناني العربي، والمجلس النسائي اللبناني، كما شاركت في المؤتمرات العربية العديدة، وعملت من أجل القضية الفلسطينية، وأقامت مؤتمرات خاصة بهذه القضية، وسنذكر باختصار المواقف والقضايا المتعددة بهذا الخصوص.

المواقف

اقتحمت المرأة البيروتية العمل الوطني واتخذت مواقف شجاعة منذ العام ١٩١٤ عندما تأسست جمعية «يقظة الفتاة العربية» من سيدات فاضلات بدافع من هدف ثقافي. على أن هذه الجمعية اتخذت مواقف وطنية ودعت إلى التخلص من الحكم العثماني وكل حكم أجنبي[14].



□ السيدة عنبرة سلام الخالدي

وعندما أثارت معاناة الحرب العالمية الأولى نفوس النساء البيروتيات من الطبقة الشعبية خاصة خرجن بمظاهرات صاخبة في الشوارع مطالبة بالخبز والغذاء[15]. ومن المواقف الشجاعة أيضاً لا بد من أن أذكر موقفاً استحوذ إعجاب الرجال قبل النساء، وقد سمعته أنا شخصياً من السيدة ابتهاج قدورة وصديقاتها بالإضافة إلى مراجع أخرى موثوقة، وهو عندما زار جمال باشا ملاجىء أطفال ضحايا الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ألقت إبتهاج أمامه كلمة ترحيبية، شارحة أوضاع الملجأ والأطفال باللغة العربية فأثار ذلك عاصفة، وطلب جمال باشا من أحد مرافقيه أن يوجه إليها بعض الأسئلة: هل أنت من رعايا الدولة العثمانية؟ قالت: نعم، هل تعرفين اللغة التركية؟ قالت: كلا، هل تجيدين لغات أخرى؟ قالت: نعم، الإنكليزية والفرنسية. قال لها: لماذا إذن لا تتكلمين التركية وأنت من رعايا ومواطني الدولة العثمانية؟ استأذنت ابتهاج سعادة الباشا بتهذيب وهدوء بسؤال تطرحه، فأذن لها بذلك فقالت: سعادتك مسلم، فلماذا لا تعرف لغة قرآنك ودينك؟ مرت لحظات رهيبة برفيقاتها وبأعيان الطائفة الإسلامية لهذا الإحراج وبخاصة رئيس العمدة الوجيه أحمد مختار بيهم. ولكن الباشا ضحك أمام جراة ابتهاج وربت على كتفها إعجاباً بجرأتها وبسرعة بديهتها، وموضوعيتها ثم قال: لقد أفحمتني وأرجو أن نلتقي في العام المقبل وأن أكون أنا قد

تعلمت اللغة العربية كمسلم، وتكونين أنت تعلمت اللغة التركية العثمانية.

ومن المواقف الشجاعة التي كانت على أساس دولي ذلك الموقف الذي أثار دهشة وإعجاب بعض الكتاب والسياسيين، الأجانب منهم الكاتب «هنري م. هوارد»[١٦] (Howard) صاحب لجنة «كينغ ـ كراين» التي استقبلت لجنة من السيدات المسلمات ١٩١٩ برئاسة ابتهاج قدورة، واستمعت إلى ما جاء في المذكرة تحت عنوان «تمنيات المرأة العربية» والتي تضمنت المطالبة ببرنامج دمشق، هذا بالرغم من التدابير التي إتخذتها الحكومة الفرنسية دون وصول الوطنيين والأحرار إلى اللجنة. ومما أدهش اللجنة وعي المرأة المسلمة للأمور السياسية والوطنية فقد طالبت ببرنامج دمشق الذي يتضمن «طلب الاستقلال العام لسوريا بحدودها الطبيعية ورفض كل حماية ووصاية، ومنع المهاجرة الصهيونية وعدم تجزئة سورية، وتأليف حكومة ديمقراطية حرة برئاسة سمو الأمير فيصل. وتنظيم قانون أساسي تراعى فيه حقوق الأقليات، والإحتجاج على المادة ٢٢ من جمعية الأمم القائلة بإدارة الولايات المتحدة المحررة للإنتداب، وأنه إذا كان لا بد من إصرار مؤتمر الصلح على انتداب دولة إلى سورية. وبناءاً على تصريحات الرئيس ويف المتضمنة، أن الدولة المنتدبة تكون لنفع الشعب لا لنفسها، ترى اللجنة أن تطلب هذه المساعدة من أميركا البعيدة عن المطامع الاستثمارية في سوريا وبشروط معينة على أن لا تمس هذه المساعدة الاستقلال السياسي بل تكون عبارة عن مساعدة فنية عملية لمدة عشرين سنة فقط، وإذا رفضت أميركا أن تقوم بهذه المساعدة فلتقم إنكلترا بنفس الشرط...»[١٧]

ويضيف «هوارد» الذي أعجب بطلاقة لسان ابتهاج بالإنكليزية وجرأتها. أن المذكرة طالبت أيضا إضافة إلى ما طالب به برنامج دمشق بحق سوريا في فرص التنمية لتحتل مكانها بين أمم العالم.

ويعلق أيضاً بأن تلك المذكرة تمثل لحظات حاسمة «قد ترفع بالمرأة إلى الوراء أو إلى الأمام». حيث أنها المرة الأولى التي تطرح فيه العادات والتقاليد الشرقية التي تحول بينها وبين مشاركتها في الشؤون العامة، على أمل تحقيق الحرية والاستقلال. إتخذت المرأة اللبنانية موقفاً واعياً في المجال الاقتصادي من حيث تشجيع الصناعة في لبنان وتنشيط اليد العاملة، وشاركت في الأعوام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٧ و ١٩٢٨، مع وفد من اللبنانيات[١٨]، بالسفر إلى دمشق بصفة رسمية وقد طالب الوفد بدعم الصناعة الوطنية ـ في معارض صناعية ـ وطالب باستبدال أسماء المعامل العربية بأسماء المعامل الأجنبية[١٩] على حاشية المصنوعات الوطنية، كما طالبت المرأة البيروتية اللبنانية المواطنين بدعم المنتوجات الوطنية باستعمالها في لباسهم والاستغناء عن البضائع الأجنبية، وكان في طليعة الوفد الذي سافر إلى دمشق والذي تابع موضوعات سيدات بيروتيات سبق وذكرنا أسمائهن في مجالات ومواقف سابقة ونضيف إلى تلك الأسماء نجلاء كفوري، من سكان بيروت.

ومن المواقف الوطنية الرائعة عندما وجهت السيدة خانم الحسامي قدورة زوجة الصيدلي مصطفى قدورة، ووالدة الصيدلي أديب قدورة، دعوة إلى بعض رجالات البلاد وأعيانها وقادتها الروحيين والمدنيين من كل الطوائف عام ١٩٤٣، للإجتماع في منزلها بشارع المكحول برأس بيروت، حيث خرجوا بمسيرة شعبية حاشدة اشترك فيها النساء والرجال، وتوجهوا جميعاً إلى المطران والشيخ، إلى الجامع وإلى الكنيسة[٢٠] وتبادلوا الخطب الداعية للإخاء والوفاق والتعاون والعمل معاً في سبيل الله والوطن، ثم اتجهوا بعد ذلك رافعين الأعلام اللبنانية إلى السراي الصغيرة التي كانت قائمة في ساحة البرج، وقابلوا رئيس الوزارة وهم ينشدون الأناشيد الوطنية، وكان في مقدمة المسيرة المطران بولس الخوري، والكاتب أديب الفرزلي والقاضي رفيق البراج وغيرهم. وكان لهذه المسيرة أثر كبير بين المواطنين.

أما حقوق المرأة السياسية فقد ناضلت المرأة البيروتية واللبنانية عامة من أجل الحصول على هذه الحقوق[٢١]، ويقال ان المرأة اللبنانية كانت أول من نال الحقوق السياسية عام ١٩٥٣ إنما

هي كانت ولا تزال تقريبا آخر من مارس العمل في موقع القرار في العالم العربي، اللّهم إلاّ في بعض الوظائف في الإدارات وفي وزارة الخارجية والجامعة اللبنانية[٢٢]، هذا مع أن نضالها استمر من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٥٢.

ومن المواقف ما حدث عام ١٩٤٣، عام الاستقلال عندما تكونت هيئة نسائية تضم معظم الجمعيات العاملة في لبنان باسم الاتحاد النسائي اللبناني العربي برئاسة ابتهاج قدورة، على أن الوئام الذي انتهى بانتهاء نيل الاستقلال انقلب إلى خلاف في النزاعات والتيارات السياسية داخل الحركة النسائية، فتسللت الأفكار والاتجاهات المتضاربة إلى هذه المؤسسة، كغيرها من المؤسسات إلى أن انتهى الموضوع ١٩٤٦، بالتفرقة في الصف النسائي، فانشق عن الاتحاد النسائي اللبناني العربي عدد من الجمعيات عرفت باسم التضامن النسائي برئاسة السيدة لور ثابت ثم توحدت الهيئات كلها باسم المجلس النسائي اللبناني، وانضم إلى الاتحاد النسائي العربي العام الذي توالت رئاسته السيدة هدى شعراوي، ابتهاج قدورة، عادلة بيهم جزائري.

يبدو أن عام ١٩٤٣ كان تحذيراً بالأحداث والمواقف منها أيضاً عندما دعت السيدة لور بشارة الخوري زوجة رئيس الجمهورية اللبنانية حينذاك نخبة من السيدات لإنشاء «جمعية الصليب الأحمر اللبناني» وبحثت مع السيدات الموضوع، واقترحت ابتهاج قدورة، وكانت صديقة حميمة للسيدة لور أن تضاف كلمة، وإشارة الهلال إلى إشارة الصليب الأحمر، فاعتذرت حرم الرئيس وسائر السيدات الموجودات لأسباب كما قيل تتعلق بنظام «جمعية الصليب الأحمر الدولي»، واعتذرت ابتهاج قدورة وانسحبت بلياقة وأدب، فانتخبت فيما بعد المركيزة فريج شقيقة عقيلة رئيس الجمهورية رئيسة مع هيئة إدارية، وفي ٩ تموز ١٩٤٥ اعترف بالجمعية رسمياً.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فالمواقف لا تعد ولا تحصى، فقد كانت بيروت ولا تزال عاصمة الأحداث العربية المصيرية، وقد قامت المرأة البيروتية خاصة واللبنانية عامة بدور بارز،



□ السيدة منيرة البربير

فمنذ ٢٦ أيار ١٩٣٧ وجهت رئيسة الاتحاد النسائي العربي برقية احتجاج واستنكار إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين باسم السيدات العربيات في سوريا ولبنان المجتمعات عندها. وكذلك اقترحن من بيروت على الزعيمة المصرية هدى شعراوي باسم السيدات العربيات ومنهن الفلسطينيات بصورة خاصة، بعقد مؤتمرين لبحث قضية فلسطين، الأول كان عام ١٩٣٨، والثاني عام ١٩٤٤، وحضر هذا المؤتمر سيدات من الأقطار العربية ومن بيروت شفيقة سلام، افلين بسترس، حياة بيهم، شفيقة دياب، أنيسة روضة، وحضرته أنا شخصياً وكنت حنيئذ طالبة في جامعة فؤاد الأول وتخلفت السيدة ابتهاج قدورة بسبب المرض[٢٣].

ولا يسعني في هذا المجال: إلا أن أذكر نضال سيدتين بيروتيتين فلسطينيتين بالزواج، وديعة قدورة خرطبيل التي قامت بدور كبير منذ أن تزوجت في فلسطين بالثلاثينات وشاركت مشاركة فعلية مع المجاهدين إلى أن هاجرت أو نزحت إلى بيروت فواصلت نضالها ولا تزال حتى الآن في لبنان، ويعمل معها اليوم من البيروتيات عنبرة كبي، رندة قريطم، سعاد العيتاني، دينا حبال، أمل شهاب، جيهان مكي، جمال مزبودي، يعملن بالاهتمام في مدرسة إسعاد الطفولة، ومشغل، ومعرض التراث العربي الخيري، وكذلك نذكر سيدة بيروتية أخرى فلسطينية بالزواج انتصار طبش أبو خضرا التي عملت ولا تزال من أجل القضية الفلسطينية، ويتعاظم على ذلك كله الشهيدات المناضلات الفدائيات.

أما بالنسبة لحقوق المرأة السياسية، لقد ناضلت المرأة اللبنانية في طليعتهن البيروتية، نضالاً طويلاً امتد من عام ١٩٣٦ ــ ١٩٥٢[٢٤].

إن المرأة اللبنانية كانت أول من ناضل من أجل حقوقها السياسية من عام ١٩٣٦ ــ ١٩٤٣ ولكنها آخر من وصل إلى مركز القرار.

وبعد أن نالت المرأة حقوقها السياسية كاملة، استطاعت أن تصل إلى المجلس البلدي في بيروت. فعينت السيدات: ابتهاج قدورة، الين ريحان ولو ثابت أعضاء في المجلس.

إن القضايا والمواقف في السنين الأخيرة أكثر من أن تحصى ومن أبرزها تلك التي كان للمرأة البيروتية موقفاً شجاعاً، وسأذكر باختصار نموذجين واضحين احتلا مركز الصدارة في الصحف والمجالس النيابية والعربية.

الأول: موقف جمعية اتحاد الجامعيات اللبنانيات التي أسسها عدد غير قليل من الجامعيات البيروتيات، عام ١٩٥٢، ثم انضم إليها زميلات من مختلف الجامعات والمناطق والفئات، وقد قام هذا الاتحاد بدور مشرف بالرغم من أنه حورب من قبل رجال ونساء كبار، ومسؤولين من خط أو تيار معين، لأن شعاره كان: لبنان عربي التراث والحضارة، وبالتالي الهوية والانتماء، الذي تكرس في مؤتمر الطائف، تلك العروبة التي تجمع ولا تفرق، تحبب ولا تكره، وقد شغل الاتحاد المجتمع اللبناني سنين طويلة من عام ١٩٥٢ ــ ١٩٧٥، وجندت الأقلام والسواعد لمحاربته، إلا أنه استطاع بإذن الله أن يقوم بنشاط ثقافي وفكري واسع في لبنان والعالم العربي، حيث استقدم كبار رجال الفكر لإلقاء محاضرات، منها مثلاً سلسلة محاضرات بموضوع: «التصميم والتعاون بين البلدان العربية» وغير ذلك من نشاطات متفرقة.

كما عقد أول مؤتمر للجامعيات العرب في بيروت في فندق بريستول عام ١٩٦٤ وشاركت فيه مندوبات من سائر البلاد العربية، والاتحاد لا يزال يعمل بهدوء وصمت مع الأمل على استعادة دوره قريباً إن شاء الله.

ونذكر بعض التغييرات والمنجزات التي حصلت في الجامعة اللبنانية أولاً: التوازن والعدالة في الكادرات التعليمية والإدارية، تصحيح لمناهج الدراسات العربية، رفع مستوى الكلية عامة إدارياً وأكاديمياً، وأمور كثيرة لا داعي لذكرها في هذا المجال.

ويجدر الإشارة إلى أن الكلية دعت لمؤتمر للجامعات العربية في شهر آذار ١٩٧٥، صادف قبيل الحرب الأهلية اللبنانية بأيام معدودات بموضوع: «الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد». اشترك في هذا المؤتمر أساتذة كبار من مختلف الجامعات في الوطن العربي، كما دعي أيضاً بعض المستشرقين الأجانب، وللحق كانت مناسبة تاريخية بالنسبة إلى الجامعة اللبنانية حينذاك.

هذا هو مختصر لتاريخ المرأة البيروتية بإيجاز كلي، والتاريخ يتكامل، فهو يتكامل فينا. لا شك في أن ظروف التحدي التي تعيشها بيروت ترفعها إلى مراجعة ماضيها والنظر إليه من الناحية التي يتطلبها الوضع الحاضر. وهذا لا يتحقق إلا بالتعاون والتعاضد، وبالعمل المدروس المبرمج والمخطط. هذا إذا أردنا أن تعود بيروت عاصمة للعواصم ونوّارة للمنائر، وقلم العروبة والإسلام. هذا إذا أردناها أن تبقى شامخة رافعة الرأس، ويبقى أبناؤها كباراً دون كبرياء، ظرفاء لا ضعفاء، أقوياء بالحق والعدل، والعلم والمعرفة، عندئذ يسترجع البيروتي مكانه الطبيعي الصحيح والفاعل والمتفاعل، ويضمن تحقيق ذاته وإنسانيته.

وهكذا ستبقين يا بيروت في القلب والعقل نرتبط بك وبترابك اليوم وكل يوم. وأخيراً اسمحوا لي بترديد بيتي شعر مع التعديل.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح

لا بل

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال والنساء الكبار فلاح

(*) **خالدة أديب** (١٨٨٥) كاتبة تركية، تلميذة الشاعر الحر نامق كمال. دعت إلى تحرير المرأة ونبذ نظام الحريم. اشتهرت بالخطابة. أفكارها تقدمية، ناصرت الحركة الكمالية في أولها، وكانت وزيرة للمعارف، عهد إليها بإصلاح مدارس سورية ولبنان. ولما استبد مصطفى كمال هاجرت وزوجها الثاني «عدنان بك» لخمس سنوات خارج تركيا احتجاجاً

الهوامش

(١) راجع دليل سوريا ومصر التجاري عام ١٣٢٤ هـ/كانون الأول ١٩٠٨ م. وراجع بحث د. حسن زعرور: مدارس بيروت الأجنبية والوطنية ١٠/١٠/١٩٨٦.

(٢) عبد القادر قباني ــ ثمرات الفنون - رسالة المسلمين عدد ٤٤ السنة الثانية ١٠ شباط ١٨٧٦.

(٣) الفجر الصادق: اعمال السنة الأولى ١٢٩٧ هـ ص ٦ ــ ٧.

(٤) د. زاهية قدورة «النظام التربوي في لبنان» بحث قدم إلى مؤتمر المغتربين في بيروت عام ١٩٧٢.

(٥) للتفصيل راجع: رسالة منيرة بوتاري ــ ماجستير بموضوع الملامح العمرانية والثقافية في بيروت في القرن التاسع عشر ــ الجامعة اللبنانية، عام ١٩٨٧، إشراف د. حسان حلاق ورسالة علي حويلي ــ رسالة ماجستير ــ الجامعة اللبنانية عام ١٩٨٧ بموضوع التعليم في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية. إشراف د. مسعود ضاهر.

(٦) د. المعلم بطرس البستاني.

(٧) د. حنيفة الخطيب: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ١٨٠٠ ــ ١٩٧٥ ص ١٢٨ بيروت ١٩٨٤.

(٨) د. فائزة سعد الدين: السيدة ابتهاج قدورة: رائدة النهضة النسائية في القرن العشرين مجلة «تاريخ العرب والعالم» ــ كانون الثاني يناير عام ١٩٨٠ ص ١٢ عن كتيب رابطة الجمعيات النسائية الخيرية الاسلامية لاحياء بيروت -«ذكرى حفل تكريم الآنسة ابتهاج قدورة ــ بيروت ٩ آذار ١٩٦٤».
كلمة الدكتور رئيف أبي اللمع في هذه المناسبة ص ٢٧، وقد خاطبها: **يا** أختي التي لم تلدها أمي: يا صديقة أسماء... يا رفيقة نجلا... ص ٢٦ المرجع نفسه.

(٩) د. فائزة سعد الدين: السيدة ابتهاج قدورة رائدة النهضة النسائية في القرن العشرين مجلة تاريخ العرب والعالم ص ١٦ ــ ١٧.

(١٠) د. حنيفة الخطيب المرجع المذكور ص ١٨٦.

(١١) سجلات دار الأيتام الاسلامية.

(١٢) من سجلات دار الأيتام الاسلامية.

(١٣) راجع د. فائزة سعد الدين: المرجع نفسه ص ١٧٠، ود. حنيفة الخطيب: المرجع نفسه ص ١٢٦، ١٢٧ رئيساتها السيدة عايدة الصلح زوجة الرئيس رشيد الصلح، هدفها تثقيفية حرفية، وهي تقوم بتجربة خاصة وفريدة بمحو الأمية لا أمية الحرف وحسب بل أمية العقل عن طريق التوعية والتثقيف.

(١٤) السيدة ابتهاج قدورة: «دور المرأة في تكوين الرأي العام. بحث أعدته ابتهاج قدورة للمؤتمر الثالث ص ٣١،٣٠ بيروت ١٩٦٣.

(١٥) د. حنيفة الخطيب: المرجع نفسه ص ٤٠ عن مقولة شلق «المرأة العربية ويقظة الوعي القومي» مجلة الطريق العدد الخامس ٦ شباط ١٩٤٢.

(١٦) An Ameriean Inquiry in the Middle East: The King-crane Commission, Henry Haward - p 122-130. Beirut - Khayat 1963.

(١٧) راجع د. فائزة سعد الدين، المرجع نفسه ص ٢٠ ــ ٢١، وخيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ ص ١١٧.

(١٨) ابتهاج قدورة وخانم قدورة زوجة آخ ابتهاج قدورة، وكانت أول من البست أفراد أسرتها المنسوجات الوطنية.

(١٩) راجع د. فائزة سعد الدين: المرجع نفسه ص ٢٠.

(٢٠) راجع د. فائزة سعد الدين: المرجع نفسه ص ٢١.

(٢١) ناضلت المرأة اللبنانية وفي مقدمتها البيروتية من أجل ذلك من عام ١٩٣٦ ــ ١٩٥٣ د. الخطيب المرجع نفسه ص ٤٦ ــ ٤٧، وص ١٥٨ ــ ١٦٥.

(٢٢) في الادارات مفتشة: فائقة زعني، في الخارجية سعاد طبارة، ثم انتقلت إلى اليونسكو، ثم عائشة سلطان سفيرة وسميرة ضاهر سفيرة. وفي الجامعة اللنبانية ــ د. زاهية قدورة أول عميدة ــ عميدة كلية الآداب، وقبل ذلك عام ١٩٥٩، رشحت الحكومة اللبنانية د. زاهية قدورة إلى رتبة مستشار في جامعة الدول العربية وهو منصب كبير يأتي بعد الأمين العام، وقد لعبت الأقلام العربية في لبنان ومصر وغيرها من البلاد العربية دوراً لنصرة الموضوع، على أن طلب الحكومة اللبنانية بتعيينها ممثلة لها رفض من قبل بعض الدول العربية كونها «امرأة»!

(٢٣) د. زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث ص ٥٧٩ ــ ٥٨٠، ود. حنيفة الخطيب المرجع نفسه ص ٥٠ ــ ٦٠، سلمى صائغ: صور وذكريات: ص ١٦٣.

(٢٤) د. فائزة سعد الدين: السيدة ابتهاج قدورة رائدة النهضة النسائية في فلسطين ص ١٨ ــ ١٩ د. حنيفة الخطيب: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان ١٨٠٠ ــ ١٩٧٥ ص ٤٦ ــ ٤٧ ص ١٥٨ ــ ١٦٥.

أفكار حول الاقتصاد السياسي لمشروع إعمار الوسط التجاري لبيروت

المهندس الفضل شلق

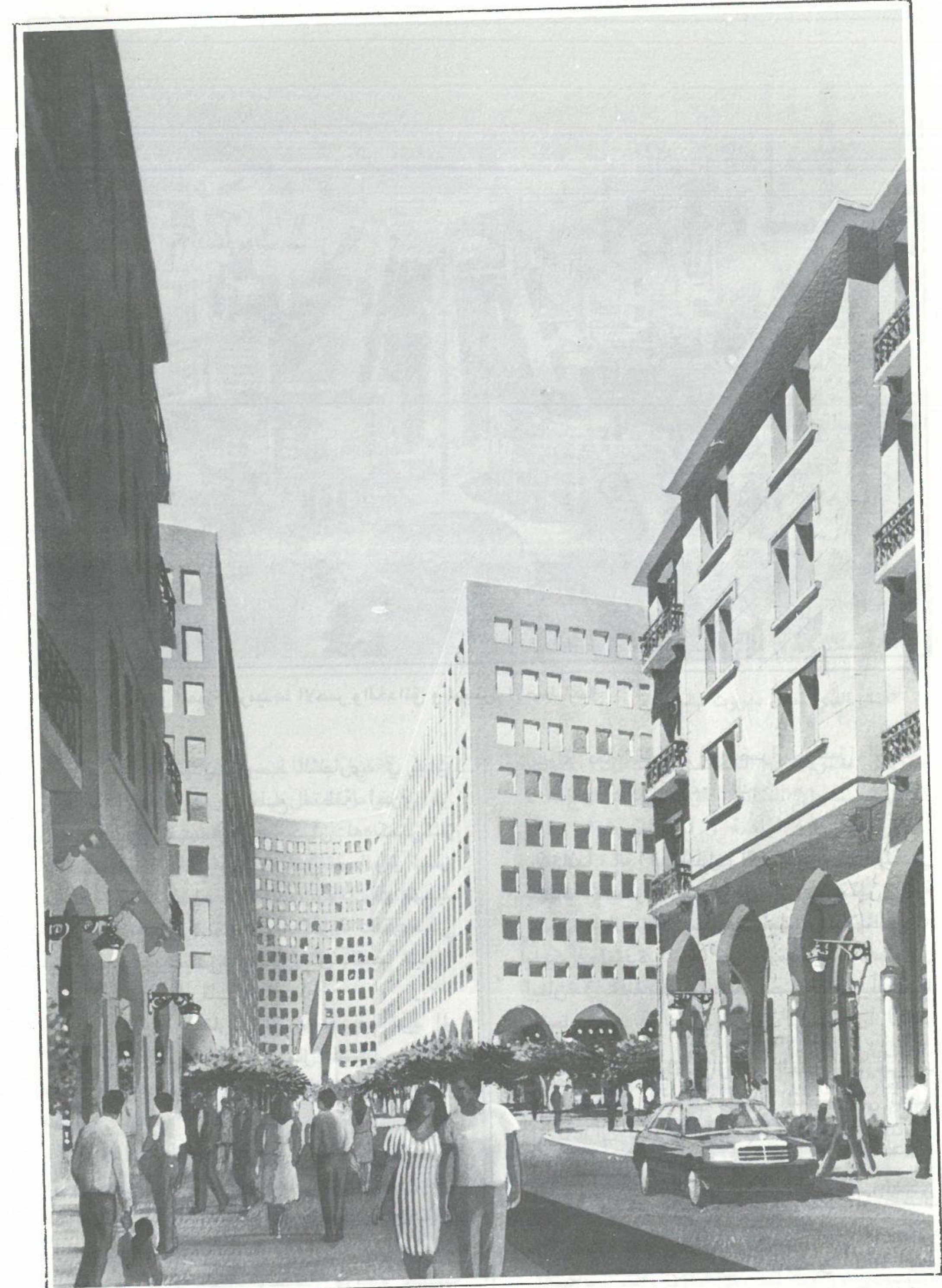
رئيس مجلس الإنماء والإعمار

يتساءل البعض حين يرد الحديث عن موضوع الوسط التجاري: ما هي الضمانة؟ الجواب هو أنّ الضمانة الأولى والأهم هي المشروع نفسه بالصيغة التي تقدّم بها مجلس الانماء والاعمار بما تتيح هذه الصيغة من إمكانية اعادة البناء، وبما يتيحه اعمار الوسط التجاري من إمكانية اعادة تحريك الوضع الاقتصادي في لبنان كله.

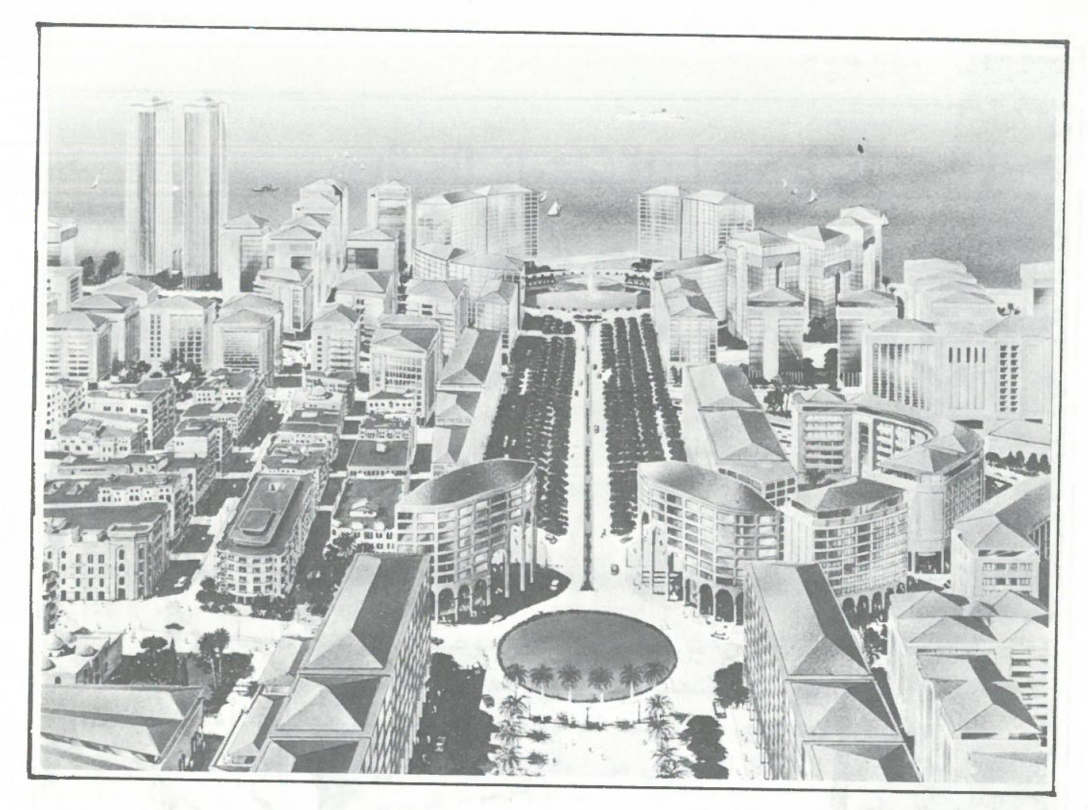
إنّ الصيغة المقدّمة هي الصيغة العملية التي تتيح تنفيذ إعادة بناء الوسط التجاري لمدينة بيروت، وهي الصيغة الوحيدة التي قُدّمت حتى الآن. والأملاكَ في الوسط التجاري تكتسب قيمة بمقدار ما تتاح الظروف لمباشرة عملية البناء. وعندما تنعدم إمكانية البناء، فإن قيمة تلك الأملاك تتلاشى فتقتصر على الوضع الراهن حيث يسكنها مهجّرون يستعملون الطابق الأرضي وحده، من تلك الأبنية المهدّمة جزئياً، لتصليح السيارات وما شابه... لذلك، فإن إعادة الإعمار إمكانية يجب السعي لتحقيقها. والجهد الذي سوف يبذله اللبنانيون في إعادة إعمار بلدهم هو الضمانة الوحيدة لهم من أجل تحقيق مستقبل أفضل. ومن المعلوم أن ضمانة العملة الوطنية في أي بلد من البلدان لم يعد الذهب المخزون وحده، بل الوضع الاقتصادي للبلد؛ أي الجهد الذي يبذله المجتمع في العمل والإنتاج. ضمانتنا الكبرى هي إرادتنا في إعادة بناء الوطن وتشغيل مختلف قطاعاته الإنتاجية.

إن الشركة العقارية التي يلحظ مشروع إعمار وسط بيروت قيامها، هي الشركة الوحيدة في العالم التي تتشكل منذ اللحظة الأولى برأسمال نقدي يوازي قيمة العقارات. فالشركات العقارية تتشكل عادة من الحقوق العقارية العينية وحدها، لذلك تلجأ منذ البداية إلى الاستدانة مما يرتب على أصحاب العقارات المساهمين في الشركة أعباء كبرى.

هذه ضمانة هامة، لكن الأهم من ذلك أن المشروع بما له من أهمية وطنية واقتصادية وسياسية هو بحد ذاته الضمانة الكبرى بمقدار ما تتاح له إمكانية التنفيذ. فمن الناحية الوطنية والسياسية يعلم الجميع ما للوسط التجاري من دور على صعيد الانصهار الوطني. ولم يكن صدفة أن الحرب الأهلية بدأت فيه، وستكون إعادة إعماره بمثابة المسمار الأخير في نعشها.



□ شارع المعرض وقد حافظ على قناطره الجميلة.



□ قلب الأسواق المميزة بقرميدها الأحمر والحدائق والبحيرة الاصطناعية.

منذ أن تمّ تهديم الوسط التجاري، في بداية الحرب الأهلية، لم تستطع منطقة أخرى أن تلعب الدور نفسه الذي كان له كمركز للاستقطاب الوطني والاقتصادي. وما زال لبنان يفتقد إعادة إحياء هذا الدور، وما زال توحيد لبنان يحتاج إلى تحقيق هذه الحلقة المفقودة كي يتم إنجازه. وسيبقى توحيد لبنان ناقصاً مبتوراً دون إعادة إحياء قلب العاصمة.

إن الشركة العقارية المقترحة سوف تعيد إلى البلد جزءاً كبيراً من الرأسمال اللبناني الموجود في الخارج. وهذا أمر له أهمية كبرى على صعيدين:

أولاً: إن هذا الرأسمال بحجمه الكبير سوف يحرّك عجلة الاقتصاد اللبناني، بما يؤدي إليه من تشغيل عدد كبير من العمال والفنيين اللبنانيين، وزيادة الطلب على المواد التي يتعامل بها تجار مواد البناء وغيرها، وزيادة إمكانية العمل أمام المقاولين وغيرهم، وزيادة واردات الدولة بما تقتطعه من ضرائب على الرواتب والمواد المستوردة وغير ذلك...

ثانياً: إن استخدام الرساميل اللبنانية في إعادة الإعمار سوف يؤدي إلى مزيد من الثقة بالوضع اللبناني سياسياً وأمنياً وهذا بحد ذاته سيكون لعودة المزيد من الرساميل للتثمير في لبنان في قطاعات وأمكنة أخرى غير الوسط التجاري.

وعلى جميع الأحوال، إنّ العالم الخارجي بما فيه صناديق التمويل وبنوك التثمير التي تعطي المساعدات للبلدان المحتاجة تنتظر من اللبنانيين أنفسهم أن يساهموا في إعمار بلدهم.

وكثيراً ما كان المسؤولون في هذه المؤسسات يسألوننا عندما نطلب المساعدات: ماذا فعلتم بشأن تشغيل الرساميل اللبنانية في إعادة إعمار لبنان؟ وقد أطلعنا كثيرون منهم على مقتطفات من



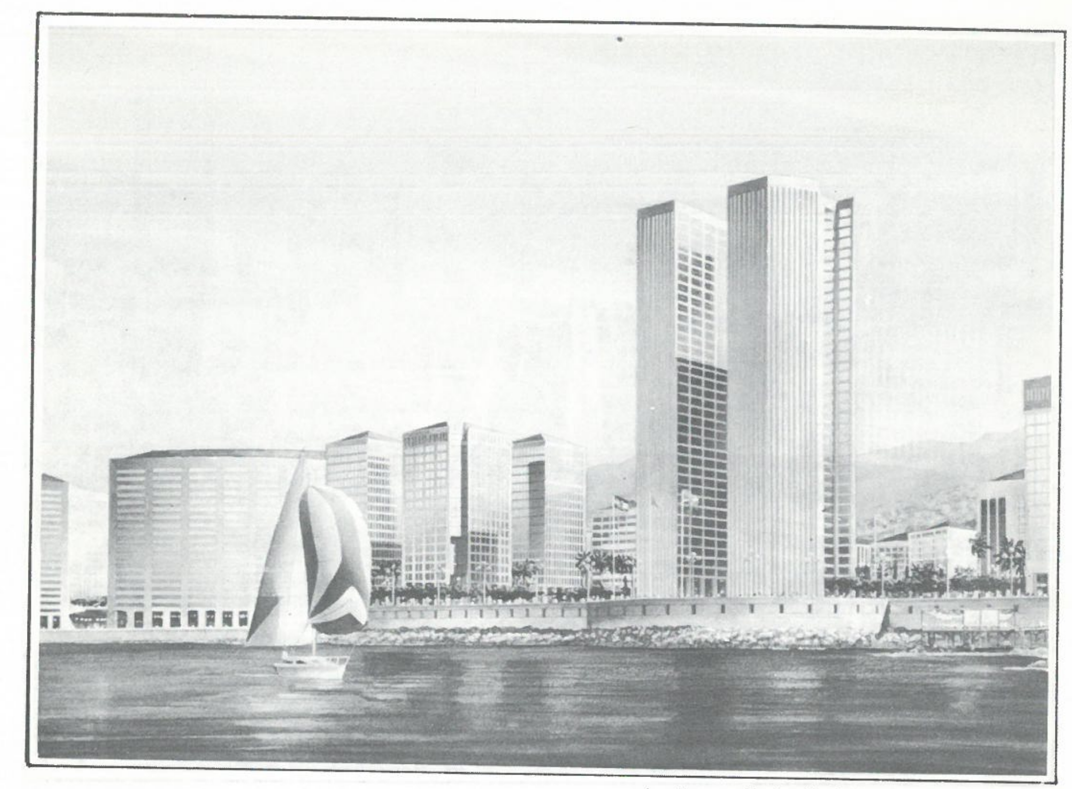
□ القنال الذي يصل بيروت بالجزيرة.

مقالات مكتوبة في الصحف والمجلات الأجنبية حول الرساميل اللبنانية المودعة في الخارج.

إنّ الظروف الراهنة في لبنان حيث لم تتدفق المساعدات الخارجية من أجل إعادة الإعمار، وحيث إمكانيات الدولة ضعيفة كما هو معروف لدى الجميع، تجعل لدينا إمكانية واحدة هي الاعتماد على الإمكانيات اللبنانية المتاحة محلياً وخارجياً. وحتى حين تتدفق المساعدات الخارجية فإنها لن تؤدي سوى إلى إتاحة جزء ضئيل لا يتجاوز بضعة في المئة من متطلبات إعادة الإعمار. ومن غير المتوقع أن تتم إعادة الإعمار بأموال خارجية في حين يجلس اللبنانيون عازفين عن العمل أو غير مستعدين إلى مد أيديهم إلى جيوبهم. إنّ وهم المساعدات الخارجية التي سوف تبني لبنان وحدها هو وهم لن يؤدي سوى إلى مزيد من التقاعس وما يجر إليه من تراجع اقتصادي وركود. لقد بنى آباؤنا وأجدادنا لبنان، ولا شيء يمنعنا أن نكون بمستواهم وأفضل.

أقول أفضل لأننا يجب أن نعيد إعمار لبنان بدون عوامل الخلل في التوازن وانعدام الاستقرار التي ساهمت في نشوب الحرب الأهلية. فنحن حين نعمل وننتج وينقصنا شيء يكون طلبنا للمساعدات مبرراً. أما حين لا نعمل ونطلب المساعدات فإن العالم الخارجي سوف ينظر إلينا شذراً حين نطلب المساعدات. وهذا ما يحدث الآن.

إنّ أهمية مشروع إعادة إعمار الوسط التجاري لمدينة بيروت بما له من دور وطني وسياسي واقتصادي يجعل أمر تحقيقه وتنفيذه ضرورة قصوى مهما كانت نتائج دراسة الجدوى الاقتصادية، وهذا معناه في نظرنا أنه يجب الإقرار أولاً بأهمية هذا المشروع وضرورته من أجل لبنان وطناً ومجتمعاً. وبعد ذلك، يتم البحث في الوسائل التي تتيح تنفيذه دون خسائر أو دون نتائج سلبية. إنّ النقاش والحوار الذي تمّ في مجلس النوّاب، وقبله



□ ناطحات السحاب المشرفة على البحر والجبل.

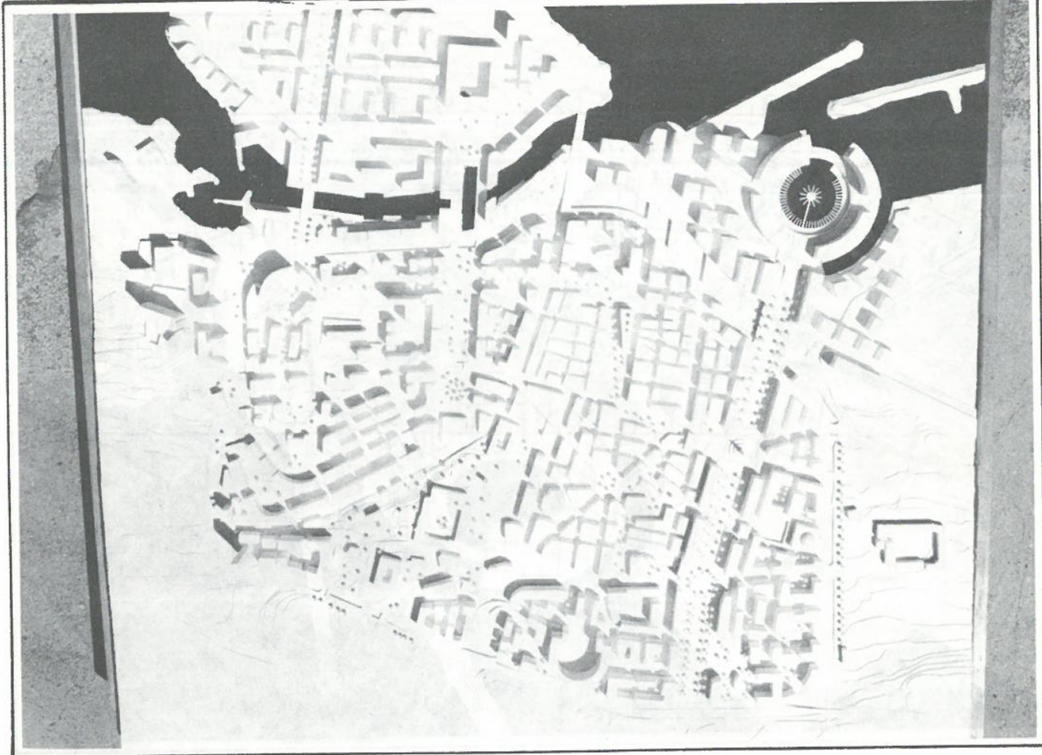
في مجلس الوزراء، وعلى الصعيد الشعبي في الندوات والصالونات هو أمر صحي سليم يقود تدريجياً إلى نشوء إجماع حول هذا المشروع، كما سبق أن عبر عن ذلك رئيس جمعية الصناعيين اللبنانيين في ندوة سابقة.

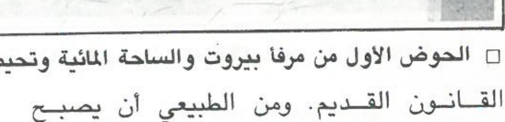
أمّا دراسة الجدوى الاقتصادية فهي أمر سيتم القيام به في حينه بعد أن تم إقرار التعديلات المطلوبة على قانون الشركة العقارية في مجلس النواب خلال شهر تشرين الثاني ١٩٩١، وبعد أن يتم انتقاء العقارات التي تضم إلى الشركة العقارية في مجلس الوزراء، لأن ذلك يقرّر الكثير من المعطيات التي لا يمكن بدونها القيام بدراسة الجدوى الاقتصادية.

يضاف إلى ذلك أن التخمين هو الذي سوف يقرّر قيمة العقارات وبالتالي مقدار رأسمال الشركة العقارية حين التأسيس. ومن المشكوك فيه أن يكون بالمستطاع دراسة الجدوى الاقتصادية قبل إنجاز عملية التخمين لأننا لا نعرف رأسمال الشركة العقارية الآن. وكل محاولة لتقدير ذلك سيكون بمثابة ضغط على لجان التخمين قبل أن تنشأ، وهذا أمر نمتنع عن الدخول فيه الآن. إنّ لجان التخمين التي يُفترض أن يعينها مجلس الوزراء هي وحدها صاحبة الحق في تقدير نتائج عملها، وكل تدخّل مسبق في شؤونها سوف يؤدي إلى نتائج سلبية على مشروع إعادة إعمار الوسط التجاري.

إن فكرة الشركة العقارية موجودة منذ زمن طويل في القانون اللبناني ولم تنجح محاولات تطبيقها، في الغلغول والصيفي (منذ عام ١٩٦٥) وغيرهما. والصيغة الجديدة التي يطرحها مجلس الإنماء والإعمار هي صيغة تعتمد على القانون الموجود منذ عام ١٩٦٢ لكنها تطرح نقاطاً إضافية كي يصبح هذا القانون قابلاً للتنفيذ وكي يصبح التنفيذ مجدياً من الناحية الاقتصادية. في هذا المجال، يمكن ذكر نقاط ثلاث أساسية:

١ ــ طرح إمكانية إدخال التمويل من خارج أصحاب الحقوق العينية، وهذا أمر لم يتجه





□ الحوض الأول من مرفأ بيروت والساحة المائية وتحيط بهما الأبنية الحديثة.

القانون القديم. ومن الطبيعي أن يصبح المولون شركاء في الشركة العقارية وإلّا فإنهم لن يساهموا فيها.

وفي حال عدم كفاية الرساميل اللبنانية طرحنا إمكانية مساهمة الرعايا العرب.

٢ ــ طرح إمكانية ردم البحر لزيادة مساحات تُضم إلى الوسط التجاري حيث عوامل استثمار البناء متدنية، وحيث الأبنية التقليدية ذات ارتفاعات أقل مما تتيحه عوامل الاستثمار، علماً بأن الحفاظ على الطابع التقليدي للوسط التجاري يحتّم علينا الاحتفاظ بارتفاعات متدنية نسبياً للأبنية ولعوامل الاستثمار.

إن مساحة ردم البحر تتقرر على أساس العوامل التقنية العائدة للتيارات والأعمال البحرية وعلى أساس الضرورات الاقتصادية التي تُحتم زيادة المساحات التي يمكن البناء عليها كي يصبح المشروع مجدياً اقتصادياً. ذلك فإنه من المبكر تقرير مساحة ردم البحر الآن.

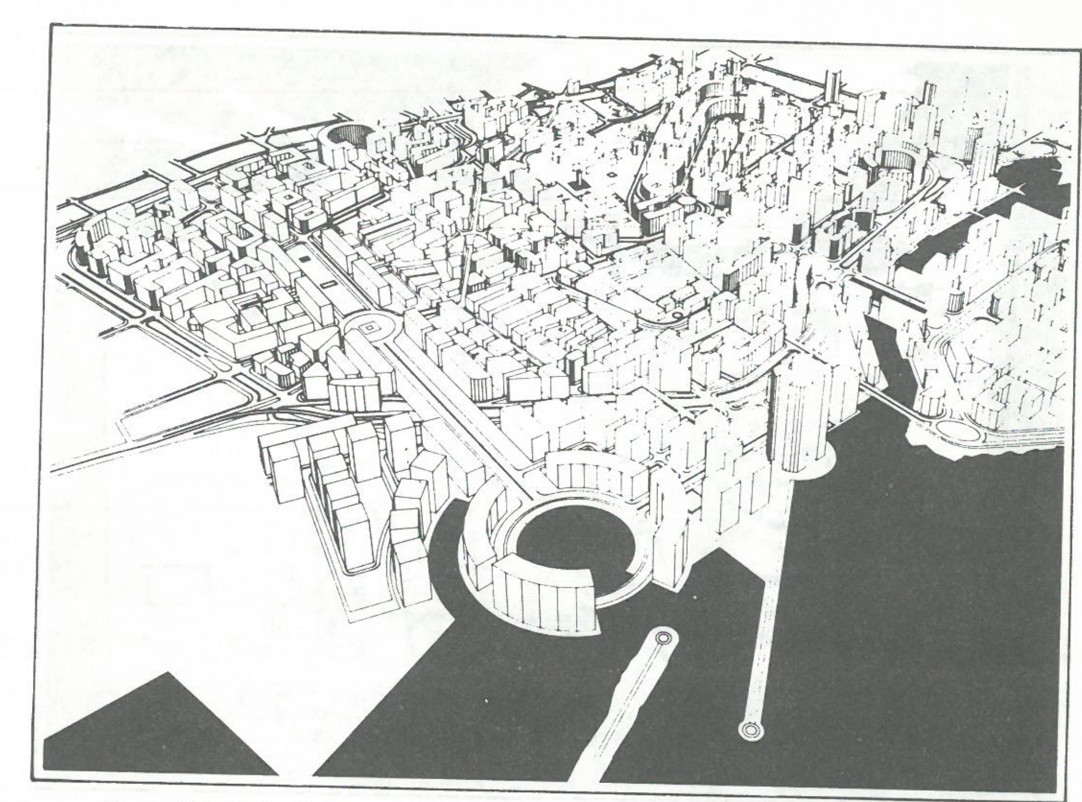
٣ ــ فسح المجال، أو بالأحرى إجبار الشركة العقارية على إنجاز البنية التحتية على نفقة الدولة. لأن بناء البنية التحتية هو من مهام الدولة ومن غير المعقول أن تقوم الدولة بهذه المهمة في جميع المناطق الأخرى من لبنان وتترك هذا الأمر على عاتق أصحاب الأملاك والمولين في الوسط التجاري. علماً بأن أصحاب الأملاك في هذه المنطقة قد نالهم ما يكفي من العقوبات خلال الأعوام الستة عشرة الماضية.

إن الوضع الراهن للوسط التجاري يمنع إعادة الإعمار دون شركة عقارية واحدة. ذلك أن هذا الوضع يفرض قيوداً ثلاثة:

أولها: قانون الإيجارات الذي يؤدي إلى استحالة البناء إفرادياً من دون مشروع متكامل.

ثانيها: الآثار التي يمكن أن تظهر في تلك الناحية أو تلك من الوسط التجاري.

ثالثها: الحفاظ على الطابع التقليدي للوسط التجاري.



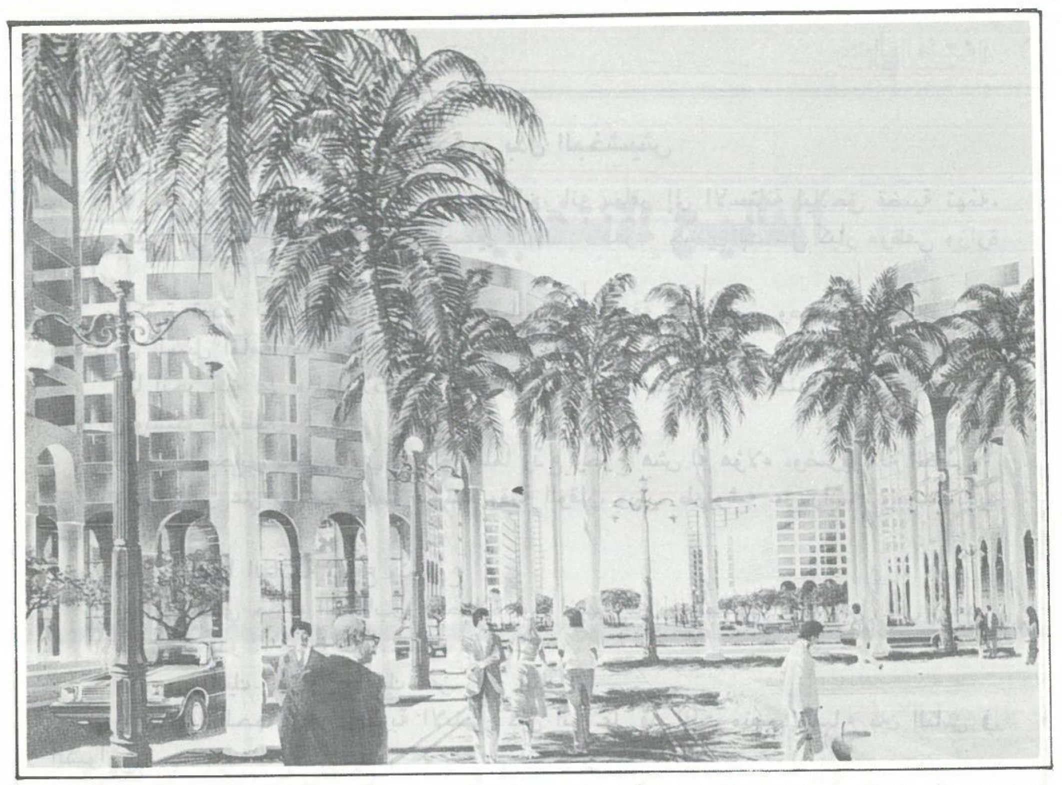
□ خريطة لقلب الأسواق التجارية التي ستتحول إلى حدائق وناطحات سحاب كما تظهر الجزيرة المستحدثة

فالشركة العقارية الواحدة للوسط التجاري تجعل ممكناً التضحية ببعض العقارات من أجل إبراز المعالم الأثرية، أو من أجل بناء أبنية متدنية الارتفاعات مع إبقاء أصحاب تلك العقارات شركاء في الشركة العقارية بما يوازي حقوقهم، وهذا الأمر لن يكون ممكناً في حال تعدد الشركات العقارية. يضاف إلى ذلك أن حجم الشركة العقارية الوحيدة يتيح توفير الكثير من الإمكانيات التي يمكن أن تذهب هدراً في حال تعدد الشركات الصغيرة.

إن الزعم، أن عقلية اللبنانيين ترفض الشركات الكبرى، في زمن تقود العالم فيه شركات ومؤسسات كبرى، هو زعم يدين عقلية اللبنانيين ويهين ذكاءهم. إنّ الحجم الكبير للخراب والدمار في لبنان، يستدعي القيام بمشاريع كبرى لإعادة الإعمار. وحجم الخراب الكبير يطرح مشاكل شديدة التعقيد، فبالإضافة إلى حجم الخراب المادي، هناك العدد الكبير من المهجرين الذي يقارب عددهم ربع اللبنانيين المقيمين حسب بعض التقديرات. وهناك خسارة النمو لفترة الأعوام الستة عشر الماضية، وما أدّت إليه من تغيير البنية الاجتماعية من زوال الطبقة الوسطى تقريباً وإفقار الطبقات الشعبية. وهناك تعدد مناطق الخراب حيث يسكن بعضها مهجرو مناطق أخرى، مما يفرض علينا ربط الإعمار في منطقة ما بالإعمار في جميع المناطق الأخرى، إضافة إلى ربط الإعمار بأهداف التنمية البعيدة المدى كي يتوقف زحف الريف إلى المدينة. وهذه ظاهرة تعمّ العالم ولا تقتصر على لبنان وحده.

أذكر هنا بعض العناوين للمشاكل التي نواجهها عندما نحاول التصدي لعملية إعادة الإعمار، ليس من أجل أن أخوض في التفاصيل، بل من أجل التذكير بأننا نواجه مشاكل كبرى معقّدة لا يمكن حلّها دون التمتع بالقدر الكافي من الشجاعة والإرادة والمخيّلة.

عندما طرحنا هذا المشروع، أردناه أن يكون



□ إحدى الأسواق الحديثة المحافظة على القناطر وأشجار النخيل التي عرفتها ساحة الشهداء.

مشروعا رائدا ونموذجا يمكن تطبيقه في المناطق اللبنانية الأخرى المتضررة بسبب الأعمال الحربية. وما زلنا نصرّ على أن يبدأ الإعمار من وسط بيروت ليشمل جميع المناطق اللبنانية. لقد بدأنا بهذا المشروع لأنه موجود منذ عام ١٩٨٢، وقد بدأ التفكير فيه في العام ١٩٧٧. وأملنا كبير أن يتم تنفيذ هذا المشروع.

إن تنفيذ هذا المشروع بالصيغة المطروحة، يريح الدولة من قطاع واسع من القطاعات التي تتطلب الكثير من المال والجهد. فإمكانيات الدولة المتوفرة يجب أنّ تصرف في مجالات البنية التحتية، وما هو متوفر لديها الآن لا يكاد يكفي جزءاً من الإصلاحات الضرورية ومتى توفر المزيد من هذه الإمكانيات فإن المواطن العادي يتوقع أن توضع هذه الإمكانيات في إصلاح وتسيير مختلف قطاعات البنية التحتية: كالماء والكهرباء والهاتف والطرقات والمدارس والمستفيات، إلخ... وفي حال توفر المساعدات الخارجية، فإنّ هذه سوف تخصّص لهذه القطاعات أيضاً. ومجلس الإنماء والإعمار يبذل أقصى جهده من أجل توفير المساعدات الخارجية.

الشيخ محمد عبده في بيروت

في سنة ١٨٨٢ نفي المغفور له الشيخ محمد عبده من مصر، على اثر فشل الحركة العرابية، فجاء إلى بيروت وسكن فيها.
وفي بيروت تزوج على اثر ترمله.
وفي بيروت علّم وخطب وألّف وكتب.
وفي بيروت عمل في السياسة ومال مع حزبيتها المحلية.

الفاتحة... بدل البخشيش

● من طرائف المغفور له أبـي علي بدران، أنه سافر إلى الآستانة ليلاحق قضية تهمّه، والتقى فيها مواطننا المغفور له السيد حسين الأحدب، فعرّفه حسين بك على كبار موظفي وزارة العدل.

ولكثرة تردد أبـي علي إلى الوزارة صارت له معرفة بالحجاب، وصار هؤلاء يخدمونه ويسهّلون السبل أمامه أملاً بعطائه.

ولما أنجز أبو علي «المعاملات» الرسمية وحصل على ما جاء لأجله، قصد إلى الوزارة ليتسلّم الأوراق ويشكر الموظفين.

ووقف الحجاب ينتظرونه في الرواق، فلما ودّع وخرج هش له هؤلاء «وضربوا له التمني».

وأدرك أبو علي بغيتهم فوقف قبالتهم وقفة الوقار، ورتّب طربوشه على رأسه، وجمـع يديه صارخاً: الفاتحة!

ثم أخذ يقرأ الفاتحة بورع وتضرّع.

وبتأثر عفوي جاراه الحجاب في الصلاة، ولما انتهى مر من أمامهم، وهو يقول لكل واحد:

ــ سزك بدر... سزك بدر... سزك بدر...

عن روح أبيك. عن روح أبيك. عن روح أبيك!

ولما صحا الحجاب من غيبوبة الابتهال كان أبو علي قد أفلت منهم، وضاع بين الناس في الشوارع.

من مجلة «أوراق لبنانية» السنة الأولى
العدد الثاني ــ ص ٨٩، عام ١٩٥٥



تلفون بيروت منذ ٥٥٠ سنة

● في مستهل القرن الخامسَ عشر (حوالى سنة ١٤٠٣)، كانت الفرنجة ما تزال تهدد الشواطىء اللبنانية بالاحتلال، والمسلمون يدافعون عنها. ورأى المدافعون أن يكونوا سريعي الاتصال بدمشق لإعلامها بالحوادث فعملوا ما كان يعمله الرومانيون في مثل هذه الحاجة ولجأوا إلى النار يوقدونها ليلاً في مكان ظاهر، فتجاوبها نار في جبل مطل على النار الأولى، فتجاوبها نار في جبل ثان، وهكذا دواليك، حتى المكان المنشود.

وكانت مشاعل النار التي قررها المدافعون عن المدينة: في ظاهر بيروت (البرج الكشاف، حيث مقهى الباريزيانا اليوم شرقي ساحة الشهداء) ثم في رأس بيروت العتيقة، ومنه إلى جبل بوارج في البقاع (شمالي طريق المريجات ــ شتورة)، ومنه إلى جبل يبوس[1]، ومنه إلى جبل الصالحية، ومنه إلى قلعة دمشق مقر الحاكم.

وقال صالـح بن يحيـى: إن النار كانت «للحوادث في الليل، وحمام البطاق للحوادث في النهار، والبريد للأخبار».

من مجلة «أوراق لبنانية» السنة الأولى
العدد الثاني ــ ص ٨٣، عام ١٩٥٥

(١) جبل في الشام، بوادي التيم من دمشق ــ ياقوت.

المفاتيح الانتخابية في بيروت!

د. حسن صعب *

ينصـح أول ما ينصـح المرشـح الجديد في أية دائرة كان ترشيحه، أن يتعرف على مفاتيحها الانتخابية. والمقصود بـالمفتاح الانتخـابي شخصية شعبيـة من شخصيات الدائرة يفترض فيها قوة التأثير على الناخبين، والقدرة الخارقة على حمل العشرات أو المئات أو الآلاف منهم على أن يصوتوا للمرشـح الذي يعضده المفتاح الانتخابـي.

وقد يكون المفتاح ذا تأثير واسـع في الدائرة كلها، وقد يكون تأثيره ضيقاً محدوداً بحي من أحيائها أو زاروب من زواريبها. وكيفما كان حاله، فليس من العسير على المرشـح الاهتداء إليه، لأنه معروف من قبل الجميـع، وهو عادة بانتظار الموسم الانتخابـي، للانقضاض على المرشـح، كما يكون الصياد بانتظار موسم الصيد للانقضاض على طريدته.**

* كان الدكتور حسن صعب، أستاذ علم السياسة في الجامعة اللبنانية ورئيس الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية، مرشحاً للنيابة عن دائرة بيروت الثانية. وقد أعد كتاباً في موضوع: «التجربة الانتخابية لدائرة بيروت الثانية». تناول فيه موضوع الانتخابات وعواملها. وفي هذا الفصل يتحدث عن أحد هذه العوامل وهي المفاتيـح الانتخابية.. وقد نشر في مجلة «الأسبوع العربي» ــ العدد ٥٩ ــ السنة الثانية ــ ٢٥ تموز ١٩٦٠.

** ننشر هذه المقالة كتحية وفاء لابن بيروت البار وصوتها الحضاري المدوي في رحاب لبنان ودنيا العرب والعالم للفكر العربي الإسلامي التنموي المجدد المرحوم الدكتور حسن صعب.

وشخصية المفتاح الانتخابي قد تنطبق على شخصية «الابضاي»، بحيث تكون شهرته راجعة «لمراجله» بين أبناء دائرته أو بين أبناء محلته. وقد تنطبق شخصيته على شخصية السمسار، فيكون رأسماله حينئذ لا في شجاعته أو«بهوراته»، بل في عبقريته في تطبيق الآخرين، وتسييرهم حسبما يشاء.

ويتحول المفتاح أثناء المعركة الانتخابية إلى ملازم لمرشح أو ملازم ظاهر لمرشح وملازم خفي لعدة مرشحين... وتتنوع الخدمات التي يمكن أن يقدمها له.

فهناك مفتاح يعرف الناخبين ويقدم المرشح إليهم...

وهناك مفتاح لتنظيم المهرجانات الشعبية...

وهناك مفتاح لتأمين حلقات الاجتماع في البيوت...

وهناك مفتاح لتأمين حراسة أنصار المرشح من اعتداءات أنصار مرشح آخر...

وهناك مفتاح لتأمين السيارات للمواصلات...

وهناك مفتاح لجمع تذاكر النفوس واعدادها ليوم الاقتراع...

وهناك مفتاح لشراء الأصوات يوم الاقتراع...

وهناك مفتاح للتهديد بالاعتداء وتعطيل المهرجانات وتمزيق الصور إن لم يراع المرشح خاطره...

وهناك مفتاح قد يجمع كل هذه الأعمال، وشعاره أن ليس على الله بمتعذر أن يجمع العالم في واحد...

ويعتبر المفتاح كل عمل من هذه الأعمال كخدمة اقتصادية ذات رسم معين، له الحق أن يرفعه ما أمكنه ذلك... ونظراً لأن الرابطة الحقيقة الوحيدة التي تنشأ بين المرشح والمفتاح هي الرابطة المادية، فاستغلال المرشح عنده أمر حلال، إن لم يكن أمراً واجباً... وعذره في ذلك أن هذه هي متطلبات الترشيح، ومقتضيات النيابة، وما على الذي يعجز مالياً عنها، أياً كانت مزاياه الشخصية، أو كفاءاته العلمية، أو مؤهلاته الخلقية والوطنية، إلا الانزواء في داره والابتعاد عن هذا الميدان...

ويكفي أن نعرف ما يقوم به المفتاح الانتخابي في غير أيام الانتخاب، لندرك لماذا يغلب عليه الاعتبار المادي وحده في فترة الانتخاب. وقد أتيح لنا اكتشاف مهن أكثر المفاتيح الانتخابية في دائرة بيروت الثانية، أي في عين المريسة وزقاق البلاط والباشورة، ونحن نتعرف إليهم طوعاً أو كرها واحداً بعد الآخر. فتبين لنا أن أول مفتاح تعرفنا إليه، لم يكن سوى صاحب مقهى، يجتمع فيه البؤساء ليلاً لتعاطي المخدرات.

وثاني مفتاح مهرب للخضار بين لبنان واسرائيل.

وثالث مفتاح صاحب ناد للقمار وادمان المخدرات.

ورابع مفتاح سفاك دماء، يغطي جرائمه بنشاطه الانتخابي لصالح الزعماء.

وخامس مفتاح مراقب لعمال التنظيفات في البلدية.

وسادس مفتاح «رجل طريقة» ظاهرها التصوف والتدروش وباطنها الاتجار بالأصوات وبالمرشحين والناخبين.

وسابع مفتاح «ابضاي» سيارات السرفيس، يفرض عليها أن تقف حيث يشاء وأن تتحرك كيف يشاء.

وثامن مفتاح مهرب للأسلحة.

وتاسع مفتاح سيدة تعرف بالحاجة، وتشيع عن أنها من أهل الله وأهل الذكر، ولم تكن في الحقيقة إلا من أهل تجميع تذاكر النفوس بسعر السوق.

وعاشر مفتاح مراب يقرض الفقراء بالفائدة، فيعرفهم حق المعرفة، ويستطيع امساكهم من رقابهم يوم الاقتراع.

والمفتاح الحادي عشر يشمل كل شخص عاطل عن العمل في عين المريسة وزقاق البلاط والباشورة. فقد كان كل عاطل عن العمل يأتي إلينا مدعياً أنه «يمون» على مئات والآف الأصوات إذا ما دفعنا السعر اللازم، لا له، لأنه هو لا يريد أي مال لنفسه، بل لأصحاب الحاجة من الفقراء!

والمفتاح الثاني عشر غريب بعض الشيء، لأن نموذجه هو الموظف الكبير الذي يتنسم الريح الانتخابية الرسمية، وما أن يلمس المرشح الذي تهب معه، حتى يتحول هو أيضاً لمفتاح انتخابي له، إن لم يكن بتأثير المال، فبتأثير الرغبة بأرضاء السلطة، والأمل بالحظوة، والظفر بترقية ما، أو بنقل من منصبه إلى منصب أهم منه.

هذه النماذج الاثنا عشر للمفاتيح الانتخابية، هي نماذج صانعي الانتخابات إن لم يكن صانعي النواب، أي الوزراء والحكام في مدينة بيروت، عاصمة الاشعاع والنور!... وإذا كنت لا تصدق، فتقدم للترشيح. لتجدهم على الفور في طريقك حيثما ذهبت، أو في منزلك، أو في مكتبك، أو في مكتب أحد أصدقائك، يعملون لحمله على اقناعك، بأن لا سبيل لك للفوز بالنيابة إن لم يكونوا هم قواد معركتك!

وشيوخ ساستنا يعرفونهم حق المعرفة، ويعملون كل ما يستطيعون لمراضاتهم والاحتفاظ بتأييدهم ومؤازرتهم. وثمن هذا التأييد ليس الرسم المالي الذي تدفعه كأتعاب أثناء الحملة الانتخابية فحسب، فهناك ثمن أهم منه، عليك أن تدفعه يومياً إذا ما قيض لك أن تصبح نائباً أو وزيراً. وهذا الثمن هو:

أن يرتكب المفتاح الانتخابي أية جريمة، ويظل بحمايتك بمنجاة من القانون...

أن يهرب الحشيش اللازم لمقهاه وأصدقائه، وتعمي عنه اعين البوليس والقضاء...

أن يتعاطى تهريب السلاح وتجارته بأجازات وهمية تحصل له عليها، أو بترتيبات تكون أنت المؤمن لها...

أن يفرض سلطانه على أبناء الحي، ولا تدع يد السلطة تمتد إليه لا بسؤال ولا سلام ولا كلام...

أن اقضي حاجة كل من يأتيك بواسطته، سواء اكانت حاجة مشروعة أو غير مشروعه، وسواء أكان فيها عمران البلاد أو خرابها...

أما طريقة تعاملهم مع المرشحين أثناء الحملة الانتخابية، فأحسن ما يصورها لك طرائف وقعت معنا، نورد لك بعضها، لما فيها من دلاله اختبارية حياتية على حقيقة حالهم. كنا ندعى لزيارة بعضهم، وندعو بعضهم لزيارتنا، ويجمعنا ببعضهم أصدقاء طيبون متطوعون.

وأول مفتاح انتخابي دعانا لداره، رأيناه بعد ذلك، يدعو مرشحاً بعد الآخر، لسبر غور كل منهم، والاتكال على الله مع من يدفع أكثر...

وثاني مفتاح طلب منا زيارته، انتحى بي جانباً، وسألني وهو يهز يديه وحاجبيه: كم أنت مرسمل للمعركة؟ فسكت برهة ثم قلت: أكبر رأسمال ممكن... فكاد يطير من فرحه، حتى عاود السؤال ملحاً بذكر الرقم، فقلت: إن رأسمالي الأكبر هو ثقة الشعب. فكاد يسقط عن كرسيه، ولم أعد أرى له وجهاً منذ تلك المقابلة.

وثالث مفتاح الح علي بالتغدي معه لدى صديق. فأكد لي أنه رجل ذو مبدأ، وأنه ينتظر كلمة السر، ليقرر من يؤيد ومن لا يؤيد. وأخذت تنكشف لنا كلمة السر هذه يوماً بعد الآخر، فإذا بها مبلغ معين، أو «خوة»، تفرض على كل مرشح، وإلا عمد الازلام لتمزيق صوره، أو طلي الجدران التي يكتب عليها اسمه، أو مهاجمة مكتبه. وكل ما كان يتعهد به تجاه قبض هذه «الخوة» هو أن يغادر يوم الاقتراع بيروت مع أخوته للجبل، تاركاً للشعب أن يقرر مصير المعركة.

ومفتاح رابع جاءني به صديق إلى المكتب زائراً. ولما علمت أنه من بائعي الحشيش ومهربي المخدرات، شعرت أن علي أن استقبله الاستقبال الذي يستحق. فخرج حانقاً، مطلقاً كلمة السر بين ضحايا مخدراته بعرقلة كل مهرجان نقيمه، وتمزيق كل صورة أو اعلان نعلقهما.

ومفتاح خامس جاءني زائراً إلى المنزل مع صديق. وطابعه الظاهر أنه من أهل الله، وأهل التصوف. فحدثته طويلاً عن الله، وعن التصوف. وكان مأخوذاً بالحديث، حتى جئنا للنتيجة العملية. فقال: إن اتباع طريقتنا فقراء ومعوزون، وإذا لم توضع تحت تصرفي المبالغ اللازمة لكسب أصواتهم، فلا جدوى من أي حديث، فما لله لله، وما لقيصر لقيصر. وكان هذا المفتاح على خلاف مستحكم مع أحد أخواننا المرشحين، ويقسم الإيمان المغلظة على أنه عامل ما لا يعمل لاسقاطه في الانتخاب وفوز منافسه. فإذا بي أرى فجأة صورة كبيرة للشخص الذي يكره فوق دكانه. فعلمت أنه جرت مقابلة بين الخصمين، تم فيها الاتفاق على المبلغ المطلوب، فرفعت صورة المرشح الذي دفع، وطويت صورة كما طوي معها ذكر المرشح الأصلح الذي لم يدفع...

هـذه بعض صـور عن جحيم المفـاتيـح الانتخابية، الذي يتوجب على المرشـح أن يقذف بنفسه فيه، أو أن يتهدده الحرمان من نعيم النيابة... المبلغ الأدنى الذي يساوم عليه المفتاح كدفعة أولى يتراوح بين الخمسة الآف وعشرة الآف ليرة ليقبل الابتداء بنشاطه الانتخـابـي لصالـح المرشـح. وإذا ساوم المرشـح لتخفيض الرسم، أصبـح في نظر المفتاح مرشّحاً غير جدي. ولذلك قد يقبل منه مبلغاً أقل، وهو مصمم على استخراج الفرق من اتفاقات سرية يعقدها مـع مرشحين آخرين. بحيث لا يستبعد أن يكون في آخر الحملة قد قبض في نفس الوقت من مرشحين ثلاثة أو أربعة لنفس المقعد، وثمناً لتأييد ذات الأشخاص الذين «يمون» عليهم!

ثم تتبـع هذه الدفعة الأولى الدفعات التالية رسماً لتعليق صورة قد يتجاوز الألف ليرة، له منها ثلاثة أرباع ولمعلق الصـورة الربـع... أو رسماً لإقامة مهرجان قد يبلـغ الخمسة الآف ليرة، والتكاليف الحقيقيـة قد لا تبلـغ الآلف، والباقي رصيد جيبه...

أما يوم الدفـع الأكبر فهو يوم الاقتراع. لأن عليك يومذاك أن تحمله عشرين أو ثلاثين ألف ليرة ليشتري بهـا الأصوات. فيسـدد الربـع أو النصف قيمة الأصوات، والباقي إذا سألته عنه، صب لك اللعنات على الألوف من بائعي الأصوات، الذين اشترى منهم أصواتهم، ومـع ذلك فإنهم لم يصوتوا كما وعدوا...

والخيار عندك في نظره هو بين أن «تطلـع نايب أو أن لا تطلـع...». فإذا شئت أن تطلـع فعليك أن تدفـع، وإذا كنت لا تـدفـع فأنت لا تطلـع... وهو ذو منطق سلس رائع، اكتسبه من خبرة السنوات في المهنة، ليقنعك به أن ليس هناك أمامك من خيار أو طريق ثالث...

والطريق الثالث هو طريق صرف النظر عن الترشيـح وعن الحملة الانتخابية وعن النيابة... وهو في رأينا طريق الجبناء. لأن سلوكه هو الذي مكن هـذه المفاتيـح من التحكم في مقـدراتنا ومصائرنا الانتخابية، فقلبوا الانتخاب من أقدس عملية فيها الأنسان صورة ذاته في حاكمه، إلى عملية نخاسة يبيـع فيها الأنسان ذاته وحاكمه...

وطريق الجسورين الذين يسوءهم أن يصبـح الأنسان في وطنهم، ناخباً كان أو حاكماً، سلعة للبيـع والشراء، هو طريق التنظيم الانتخابي الحـديث. والتـنظـيم الانتـخـابـي الحـديث هـو أما تـنظـيم حزبـي دائم، وهـو الأفضـل، أو تـنظـيم تجمعي عابـر تقضي بـه الضـرورة القـاهرة لدى فقدان التنظيم الحزبـي. والأثنان ممكنان في الحملة الانتخابية، والأثنان أخـذا يشكلان خطراً على المفاتيـح الانتخابية التقليدية، وإن كان الأول بالطبـع أشد فعالية، بشرط أن لا ينزلق الحزب أو رئيسه في المزالق التقليدية التي يهيئها له المفاتيـح، ليصبـح أسيراً لهم بدل أن يتحرر منهم...

فالتنظيم الحزبـي يوفر للحزب آلة انتخابية تنفيذية واعية تغنيه عن الآلة التقلدية البالية. والمفروض في الآلة الحزبية أن تعمل لمرشحي الحزب مؤمنة، متطوعة، مندفعة، لا مأجـورة، مساومة، مخـادعة... والآلة الحزبية يفترض فيها أنها منبثقة من الشعب، ومتصلة به، ولذلك فإنها قادرة على القيام بمهمة وصل المرشـح بالشعب، ومهمة حراسة حملته، ومهمة تنظيم نشـاطه، وغيرها من المهام التي احتكرتها المفاتيـح حتى الآن.

أمـا التـنظـيم التجمعي الذي نهجنـاه لأن ترشيحنا لم يكن حزبياً، فكان سبيلنا فيه إقامة هيئة عامة من الأصدقاء من الشبان والشابات المؤمنين بأن ترشيـح المرشـح هـو لهـم لا له هو، والمعتقدين بأن برنامجه هو برنامجهم هم، وهو برنامـج وطني إنشائي تأليفي لخير الشعب بجميـع طبقاته وطوائفه لا لخيره أو دعايته هو. وتعمدنا اختيارهم من الأشخاص الذين لم يسبق لهم الانغماس في الانتخاب. فكانوا كتلة منظمة من المتطوعين بأوقاتهم وأموالهم. فكان عليهم أن يدفعوا ليغذوا الصندوق المشترك للحملة، بدل أن يكون لهم أن يقبضوا... وكـانت سعادتهم في الدفـع أعمق وأجمل من سعـادة غيـرهم في القبض. وكانوا مقسمين للجان وفرق موزعة على الأحياء والشوارع، ومتوزعة فيما بينها كـافة الأعمال الانتخابية. وكانت المرأة طليعة هـذا التطوع والتنظيم. وكان عملهم هذا ثورة هواة على المحترفين، وانقلاب مفاتيـح انتخابية جديدة

على المفاتيـح القديمة، ثورة وانقلاباً أن لم يحققا النتيجة المباشـرة المنشودة، إلا أنهما جسما الغاية غير المباشرة المطلوبة، وهي نقل زمـام العملية الانتخابية من المتاجرين من المجرمين والمهربين والمسمسرين إلى المناضلين من المتعلمين أي من المحامين والأطباء والأساتذة والمهندسين. أنها ثورة انتخابية ملاكية، يجب أن يكون قوامها الحقيقي الحزب لا جماعة الأصدقاء. والحزبيون الذين قاموا بها في دائرتنا الثانية نجحوا إلى حد ما. ونقول لحد ما، لأنهم وقعـوا في كثير من الحـالات في عقلية وأسـاليب المفـاتيـح الذين يتوجب عليهم أن يحرروا منهم، وأن يحلوا بدل ملاكهم المتداعي ملاكاً جديداً بالروح والشكل. ونقول إن ملاك المفاتيـح القديمة متداع، لأن وعي الشعب حتى الشعب الجـاهل المحـروم البائس، بدأ يضعضـع مكانتهم. ولم يعد من السهل عليهم ابتزاز المرشـح وخداع الناخب، كما كانوا يفعلون في الماضي. والموجة الشعبية النكاوية التي حركها في الدائرة الثانية فوز كميل شمعون في جبل لبنان، جرفت هذه المرة جميـع القصور التي بناها المفاتيـح الانتخابية لأغنياء المرشحين. ولكنهم مـع ذلك عرفوا كيف يقبضون سلفاً تكاليف تشييد هذه القصور الكرتونية، فكان الربـح لهم، وحقت الخسـارة على المـرشحين المخدوعين! ولكن العبرة جاءت قـاسية قسـوة زعـزعت الأسس التي أقـام عليهـا المفـاتيـح القصور. فأصبحوا مهددين بأن لا يصدقهم بعد اليـوم لا المرشـح ولا النـاخب. وبذلك انفتـح الطريق الثالث فسيحاً أمام مدرسـة المفاتيـح الجـديدة، مفـاتيـح المبدأ والإيمـان والتـنظـيم والعمل للخير العام، أي مدرسة رواد النيابة الصحيحة، والديموقراطية الحقيقيـة. وأصبـح هذا الطريق واقعياً، لا طريقاً مثالياً كما يحلو للبعض أن يصفوه. وأصبـح هو طريق النجاح، لا طريق الاخفاق كما كان حتى الآن!

●

لم العسكر من بيروت

كان خورشيد باشا متصرف بيروت في منتصف القرن التاسع عشر يعين كل سنة لجنة قوامها ستة من أعيان المدينة اسمها «قومسيون لم العسكر» لاختيار الشبان الذين يستطيعون السفر للجهادية، أي لخدمة العلم.

وكان الحاج حسين بيهم، «عالم بيروت العلم»، يكون عضواً دائماً فيها. وفي ذات سنة جاء الضابط التركي المولـج بجمـع العسكر، وهو حديث العهد ببيروت والبيروتيين، وطلب من اللجنة أسماء جميـع الأفراد الذين «تحت السن» لأنه يريد أخذهم جميعاً، فاعترض الحاج حسين بأن بيروت لا تقدم «جميع» الذين تحت السن، وإنما تعطي العدد المستطاع إعطاؤه لأن هناك أفراداً يعيلون أرامل وأيتاماً فقراء لا معيل لهم سواهم فكيف نبعثهم إلى أقاصي المعمور، بعيدين عن عيالهم؟ ومن يتكفل بهؤلاء الأرامل والأيتام؟

فأجاب الضابط: أنا لا أعرف.. هذا أمر الدولة.

ودار جدل بين الاثنين، ولاحظ الضابط أن الحاج حسين هو وحده المعترض، وأن رفاقه ساكتون، فظنهم مجارينه في طلبه فالح بشيء من العنف على وجوب أخذ جميـع الذين تحت السن، مكرراً قوله: «بودولت امريدر» أي: هذا أمر الدولة. فغضب الحاج حسين بيهم وطوى سجل النفوس بنزق وقال لزملائه أعضاء اللجنة: «تفضلوا لنفل على بيوتنا وخلوا الدولة تجي تلملّوا العسكر».

وفي المساء كان الخبر قد ملأ المدينة، وعمل فيها شبه ثورة..

واضطرب المتصرف اضطراباً شديداً فأرسل كاتبه يعتذر إلى الحاج حسين باسم خورشيد باشا مؤكداً له انه لا يصير إلا على خاطر القومسيون، فأصر الحاج على أن «القومسيون لا يجتمع إلا بعد أن ينقل الضابط من المدينة».

من بيتي إلى الجامعة الأميركية

د. نقولا زيادة

(١)

وقفت على شرفة شقتي في الدار الخضراء، وألقيت نظرة عجلى على ما تقع عليه العين شرقاً في شمال وشمالاً وغرباً في شمال. وكان البحر أزرق اللون هادئاً، والجو جميلاً رائقاً. وتذكرت المرة الأولى التي وصلت فيها مع أسرتي الصغيرة إلى بيروت قادمين بحراً من أوروبة. كان ذلك في نيسان / ابريل سنة ١٩٤٩، وكان وصول السفينة في الصباح المبكر؛ فوقفت على سطح الباخرة ايونيا أرقب شروق الشمس فوق الجبال، فلما بدت تمثل أمامي منظر ولا أروع.

وتلفت، وأنا على الشرفة، يساراً فرأيت أبنية كلية بيروت الجامعية. هذه المؤسسة العلمية فتحت في بيروت سنة ١٩٢٤ باسم جونيور كولدج. وهذا تعبير أميركي يعني المؤسسة التعليمية التي تيسر للطلبة سنتين من التعليم بعد الدراسة الثانوية. والقصد منها، في الولايات المتحدة، تيسير الخطوة الأولى في سبيل التعليم الجامعي. لأن كلية من هذا النوع يمكن أن تقوم وتسير بنفقات أقل مما تقتضيه الجامعة الخاصة. بعد الجونيور كولدج يلتحق الطالب أو الطالبة بجامعة لاتمام مسيرته نحو البكالوريوس (الاجازة).

والجونيور كولدج في بيروت افتتحت لتيسير التعليم لهاتين السنتين الأوليين من التعليم الجامعي للبنات فقط. والطالبة التي كانت تريد إتمام دراستها الجامعية كان أمامها — في بيروت — الجامعية الأميركية؛ وفي غيرها بلاد الله واسعة، وفي الولايات المتحدة مئات من الجامعات.

لكن في سنة ١٩٤٨ أضافت كلية البنات هذه سنيتن أخريين إلى الدراسة فيها، وأصبحت تمنح شهادة البكالوريوس (الاجازة) لمن شاءت من الطالبات أن تتم الدراسة فيها. عندها أصبح اسم الكلية كلية بيروت للبنات. إلا أن الكلية كانت المجالات الدراسية فيها محدودة.

وخطت الكلية خطوة أخرى لما فتحت أبوابها للطلاب أيضاً بدءاً من سنة ١٩٧١. عندها تعددت اختصاصاتها وتنوعت وتبدل اسمها فأصبحت كلية بيروت الجامعية.

وأسرتنا الصغيرة لها بهذه المؤسسة صلات، فقد التحقت بها زوجتي مرغريت طالبة لمدة سنتين وبعض السنة (١٩٥٤ — ١٩٥٦) وحصلت على شهادة الجونيور كولدج، وبدأت بإتمام مسيرتها، لكننا ذهبنا إلى الولايات المتحدة ولما عدنا قررت الاكتفاء، والاهتمام بأمور أخرى اجتماعية.



□ بيروت عام ١٨٦٤ (صورة اثرية).

وفي هذه الفترة بالذات — ولو لمدة أقصر — كان ابننا باسم تلميذاً في قسم روضة الأطفال بالكلية نفسها. أما أنا فقد علّمت فيها في فترتين متباعدتين مدة قصيرة — كان القصد منها ملء فراغ حدث في برنامج التعليم. لكنني كنت عضواً في مجلس ادارتها المحلي لمدة سنتين (١٩٦٨ — ١٩٧٠).

إلى جانب كلية بيروت الجامعية يقوم قصر جميل كان فيما مضى يخص نجيب صالحة، وهو أحد عصاميي لبنان (من رأس المتن) الذي بنى لنفسه دولة مالية كبيرة بجده ونشاطه واجتهاده. لكن القصر انتقلت ملكيته مؤخراً إلى الشيخ رفيق الحريري، وهو لبناني عصامي آخر من مدينة صيدا. ودولته المالية أكبر وأوسع من نجيب صالحة.

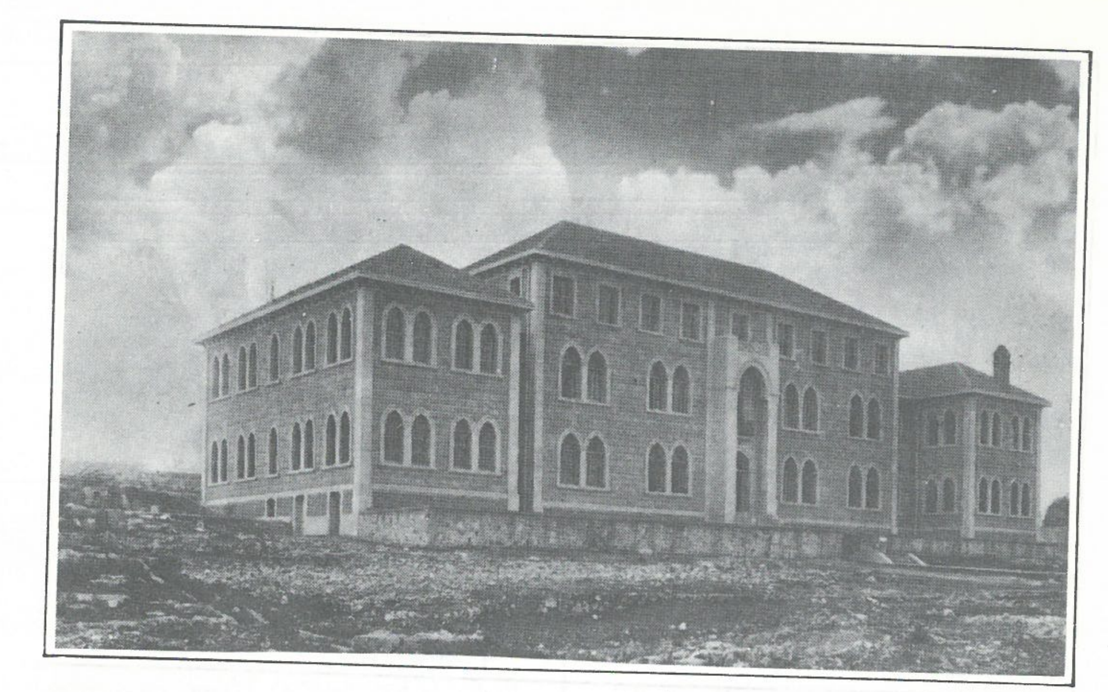
(٢)

ونزلت من الدور التاسع وخرجت من المبنى. وكان علي أن أقطع الشارع كي أتم سيري. والشارع الذي قطعته، والذي تقوم الدار الخضراء على جانبه، اسمه شارع مدام كوري. نعم ماري كوري (ما غيرها). ماري كوري سيدة بولونية الأصل، لكنها استوطنت باريس في وقت مبكر من حياتها وتزوجت بيير كوري. وكان الاثنان من علماء الفيزياء، وكانا يعملان في دراسة الأسقاع وخصائصه. وكان يزاملهما عالم فرنسي آخر اسمه بِكِرل. وقد حصل الثلاثة على جائزة نوبل للفيزياء سنة ١٩٠٣.

وقد كان من نتيجة البحوث التي قام بها هؤلاء الثلاثة التوصل إلى الراديوم واثر اسقاعه في شفاء بعض الأمراض المستعصية.

ولدت ماري سنة ١٨٦٧ وولد زوجها سنة ١٨٥٩. وقد توفي هو سنة ١٩٠٦. واستمرت هي في بحثها وتجاربها وهي التي اهتدت نهائياً إلى الراديوم. وقد منحت جائزة نوبل منفردة سنة ١٩١١، وذلك لمناسبة توصلها إلى النتيجة المذكورة. وتوفيت ماري كوري سنة ١٩٣٤.

وقد يتساءل الذي لا يعرف هذا البلد، وما هي علاقة بيروت بماري كوري؛ بيروت فيها أسماء لكثيرين من العظماء الغريبين عن لبنان — أقصد من الأجانب — فهنا بلد يكرم العظماء ويتذكرهم فيسمي الشوارع بأسمائهم. أما أن البلدية قد تهمل الشوارع، وقد يلحق الشخصَ



□ بناية «ساج هول» عام ١٩٣٣ — جونير كولدج.

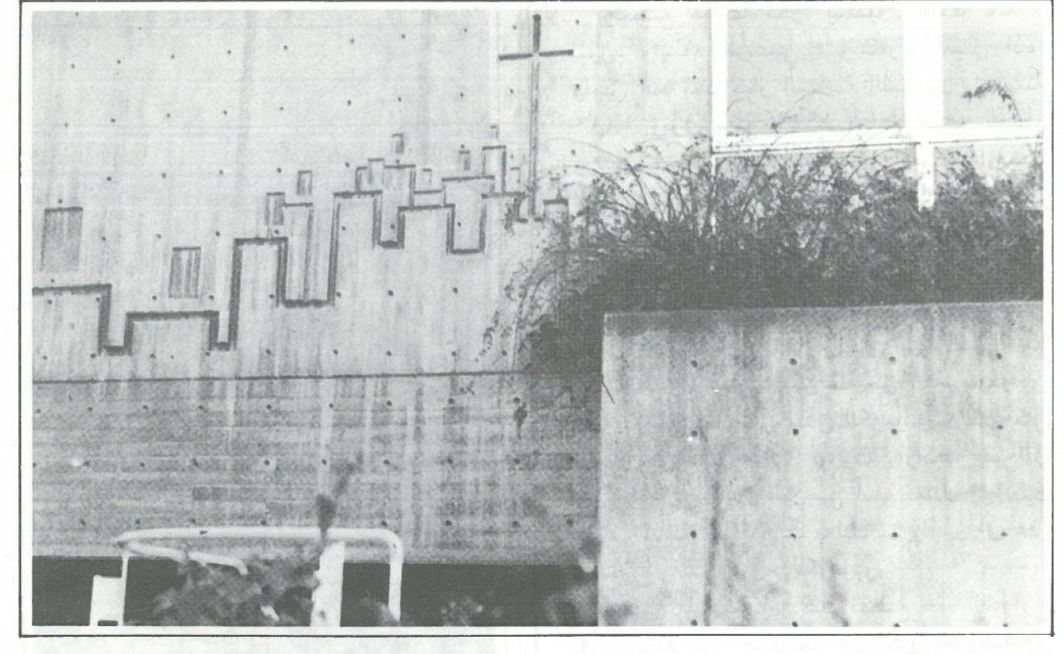
المكرّم شتيمةً من أحد المارة لأنه يدوس في بركة ماء صغيرة أو «يتدعتر» بحجارة أو بأوساخ، فذلك أمر لا علاقة له بالتكريم — وهو الأمر المقصود أصلاً.

انتقلت — أي قطعت شارع مدام كوري — إلى شارع المغربل، وهو شارع قصير لكنه منحدر انحداراً شديداً، وفيه دوران، بحيث قد يخشى على المرء أن يدوخ أو يقع نتيجة واحد من الأمرين أو بسبب الأمرين معاً. وهذا الشارع مسمى باسم عائلة بيروتية كبيرة — لها في مجالات المال والأعمال ونواحي الشؤون العامة زوايا محترمة. وقد تناولت الساعة دليل تلفون (هاتف) بيروت فوجدت فيه ستة وسبعين اسماً لمغربل عندهم هاتف. هذا بطبيعة الحال فضلاً عن الذين حصلوا على هاتف منذ سنة ١٩٨٧ (هذا تاريخ الدليل الذي عندي) والمغربلين الطفرانين الذين لا يملكون هذه الآلة الجهنمية (في بيروت وأكثر أنحاء لبنان فقط).

وشارع المغربل فيه سوبر ماركت، يمكن أن يحصل فيه المرء على أكثر ما يحتاج، وهذا يذكر بأننا لما سكنا في شارع جاندارك — في نص رأس بيروت — سنة ١٩٥٠ كنت اضطر أن أذهب إلى باب ادريس (رحمه الله) كي أبتاع بعض أنواع اللحوم والمأكولات، لأن رأس بيروت كان لا يزال — بالرغم من تقدمه — أشبه بقرية كبيرة من حيث الحوانيت والمخازن. ولكن سنة ١٩٥١ فتح تقلا وشركاه أول سوبر ماركت في شارع الحمراء، وبذلك استرحنا من المشوار من أجل بعض المأكولات. سوبر ماركت شارع المغربل أحدث عهداً من كثير من أمثاله في رأس بيروت، لكن قربه من الدار الخضراء يحل المشكلة بالنسبة لي ولجيراني.

وكان هناك مَعْلَمةٌ أخرى مهمة في شارع المغربل هي المنزل الذي كان يقطنه الدكتور عبد الله سعادة أحد كبار الرجال في الحزب السوري القومي الاجتماعي. المنزل لا يزال قائماً، ولكن الدكتور عبد الله انتقل إلى رحمته تعالى.

وبالنسبة لي شخصياً فقد كان البيت الأخير على الجهة اليمنى من الشارع المنزل الذي يقطنه المهندس المرحوم أديب جرجس الخوري من القدس؛ وقد كان صديقاً عزيزاً جداً.



□ كلية اللاهوت للشرق الادنى.

ينتهي الشارع بساحة لست أدري فيما إذا كان لها اسم رسمي؛ أما أنا فأسميها ساحة أزمير، لأن أحد أصحاب المطاعم الناجحة في بيروت فتح هناك مطعماً سماه مطعم أزمير.

(٣)

من عادتي أن أتجه إلى اليمين قليلاً في ساحة أزمير إمّا لأدفع فاتورة تنظيف أو كوي بدلة، أو لأحيي أبو عزيز؛ ولكن الواقع أنني أجد أن هذه العطفة توصلني إلى شارع نصف مرتّب. فيه، في هذه الأيام بضع دكاكين، منها واحدة لشيّ الدجاج، وأخرى لألف صنف وصنف. لكن هذا الشارع القصير يقيم على ما يشبه الرصيف فيه عدد من باعة الخضار والفواكه. وقد ابتاع منهم شيئاً بين الحين والآخر.

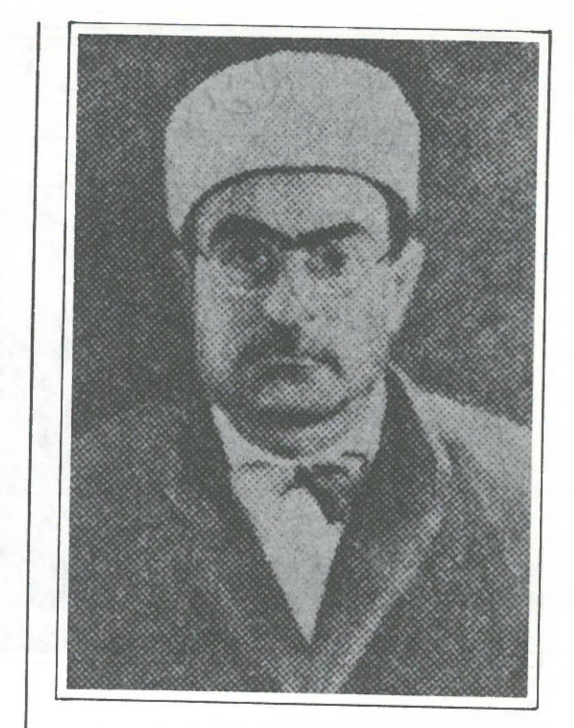
لكن الذي يعنيني من هذا الشارع اسمه.

هو شارع مصطفى الغلاييني.

لما كنت طالباً في دار المعلمين في القدس (١٩٢١ — ١٩٢٤) وقع في يدي كتاب في مبادىء الصرف والنحو. قرأت فيه فصولاً مختلفة وأعجبني ترتيبه. هذا الكتاب كان من تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني. وبعد ذلك قرأت للغلاييني كتابه عن رجال المعلقات العشر، وكان إن وقع بيدي، وأنا أعلم في مدرسة عكا الثانوية (١٩٢٥ — ١٩٣٥) كتاب للغلاييني حول السفور والحجاب. وكانت القضية قد حميت معالجتها في أواسط العشرينات من هذا القرن، خاصة لما ألقت نظيرة زين الدين دلوها بين الدلاء.

والذي أذكره عن هذه الكتب هو دقة التعبير ورقة الأسلوب عند هذا الرجل. وكان أن أقيم احتفال كبير في بيروت لتكريم الشيخ مصطفى الغلاييني. وجاء محمد اسعاف النشاشيبي، الأديب الفلسطيني الكبير، للاشتراك في الاحتفال. فهو من تلاميذ الغلاييني ومن المعجبين به والفخورين بالتلمذة عليه. وألقى خطبة كانت لازمتها «ولولا أنها بيروت، ولولا أنه الغلاييني، ما جيت ما جيت».

وكان ان انضممت إلى هيئة التدريس (دائرة التاريخ) في الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٤٩. وبعد الاستقرار، النسبي على الأقل، استفسرت عن الغلاييني بحكم هذه الصلة غير المباشرة به. فعرفت أنه كان قد توفي في سنة ١٩٤٤.



□ الشيخ مصطفى الغلاييني.

والغلاييني ولد سنة ١٨٨٥، وهو إلى كونه من علماء اللغة العربية ومن كبار العاملين في حقل الأدب؛ كان من كبار الصحافيين ورجال الوطنية الذين عرفوا السجن والنفي. فضلاً عن ذلك فقد تولى الرجل قضاء بيروت الشرعي. والمشهور عنه في أحكامه النصفة والنزاهة. وعمل في تدريس اللغة العربية ما لا يقل عن عشرين سنة.

ومع تنقلاته المختلفة فقد ظل الشيخ مصطفى الغلاييني بيروتياً — فهو مولود فيها، وفيها تعلم دروسه الأولى وانتقل إلى الأزهر سنة ١٩٠٢ فتتلمذ على الشيخ محمد عبده وسيد المرصفي.

والرجل الشاعر الكاتب الأستاذ القاضي المناضل الوطني أُكرِم في بيروت بهذا الشارع، وهو على قصره، طريق للخاص والعام، وعندما يكون المارة بعيدين عن الأمية فإنهم يقرأون اسم الرجل. لكن أظن أنه من المناسب، عندما يمكن ذلك، بالنسبة إلى هؤلاء البيروتيين أو اللبنانيين الكبار الذين نكرمهم، أن تضاف سنة الميلاد وسنة الوفاة أحياء لذكراهم.

ونقطع شارعاً آخر. يسميه العامة شارع ليون، واسمه الرسمي هو شارع اميل اده. واميل اده أحد كبار الساسة اللبنانيين ولد سنة ١٨٨١ وتوفي سنة ١٩٤٩. ولمع اسمه كمحام ورئيس لحزب الكتلة الوطنية. وقد كان رئيساً للجمهورية اللبنانية بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٤١.

هذا الشارع الذي مررنا به والذي عرفناه باسم شارع جاندارك. وسنتحدث عن هذه التسمية بعد قليل، أما الآن فلنتم السير هنا حتى نصل إلى الشارع التالي الذي سنقطعه. هذا اسمه شارع بعلبك. لكن قلة من الناس يعرفون هذا الاسم. ذلك بأن فندق الكومودور، الذي كان واحداً من أكبر فنادق بيروت وأرحبها يقع في هذا الشارع. أذن فليرجع اسم بعلبك إلى حيث تقوم المدينة والقلعة — بعلبك — ولْيُشَر إلى هذا الشارع باسم شارع الكومودور.

وبهذه المناسبة إذا كنت تقطع هذه الشوارع في الشتاء فإنه يقتضيك أن تكون حريصاً إلى درجة كبيرة. فبرك المياه، الصغيرة والمتوسطة حجماً، والنظيفة والقذرة، متيسرة في جميع الأمكنة. وحتى إذا نجحت أنت في تجنبها فقد لا تعطيك سيارة مارة من هناك من أن ينالك من السائل الشارعي حصتك. وما عليك إلا أن تقوم بأمرين: الأول مسبة فشة خلق والثاني أن تبعث بالبدلة للتنظيف.

(٤)

أسير في شارع جاندارك فأصل — أو تصل أنت — إلى شارع الحمراء. هذا الشارع يبدأ عند كلية الحقوق والعلوم السياسية شرقاً، وينتهي عند أبو طالب غرباً. ويعتبر الآن من أهم شوارع بيروت. ففيه وفي الشوارع الصغيرة المتفرعة منه، يجد الزائر لبيروت، كما يجد البيروتي الذي يملك ما يكفي من النقود، كل ما تشتهيه نفسه من نعم الدنيا وطيباتها وعطورها وثيابها وكمبيوترها وأجهزتها الالكترونية.

روى لي المرحوم جبران بخعازي، الذي كان مساعداً لمدير المكتبة في الجامعة الأميركية، وهو من العارفين بشؤون رأس بيروت، أن المنطقة التي يمر بها شارع الحمراء كانت تخص

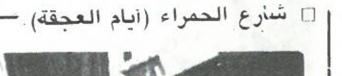
أسرة اسمها عائلة الحمرا. ومن هنا جاءت التسمية. ولما سكنت أنا في شارع جاندارك سنة ١٩٥٠ كان شارع الحمرا، أو ما سبق الشارع، طريقاً ترابية تقريباً. كانت فيه أبنية قليلة من النوع الكبير الأنيق مثل كنيسة الكبوشية وبناية مدرسة الصنائع وبناية عماطوري وعدد من دكاكين البقالة (السمانة)، وكانت أجزاء على جانبيه يزرع فيها أصحابها الخضار. وما أكثر ما كنا نذهب في الصباح إلى واحد من البساتين الكثيرة لِنبتاع الخضار المجموعة ساعتها أو التي يمكن أن تقلع لك — خسة وشوية فجل، أو تجمع أو تلقط بندورة أو بامية أو ما يشبه ذلك. فالأمر متوقف على الفصل والموسم.

ولست أحسب أنني مخطىء إذا قلت أن أول بناء كبير شيد بعيد سكنانا في تلك الجهة كان سوبر ماركت تقلا وشركاه على ناصية الحمراء — جاندارك. وكرّت المسبحة في الخمسينات والستينات. فبنيت فنادق — بلازا مثلاً، ومخازن كبيرة ومقاه وفتحت مطاعم وشيدت عمارات للبنوك.

كانت المراكز الأصلية للتسوق في البلدة — في سوق الطويلة وسوق أياس وباب إدريس وسوق الصياغ وسوق الافرنج. لكن مع الوقت أخذ الكثيرون من أصحاب المحال التجارية في البلد يخرجون إلى الحمرا. وكلمة «حمرا» هنا لم يكن يقصد بها الشارع فقط، بل المنطقة المحيطة به. ولا شك، أن أضخم بناء أقيم في هذا الشارع فأكسبه أهمية هو مبنى مصرف لبنان!

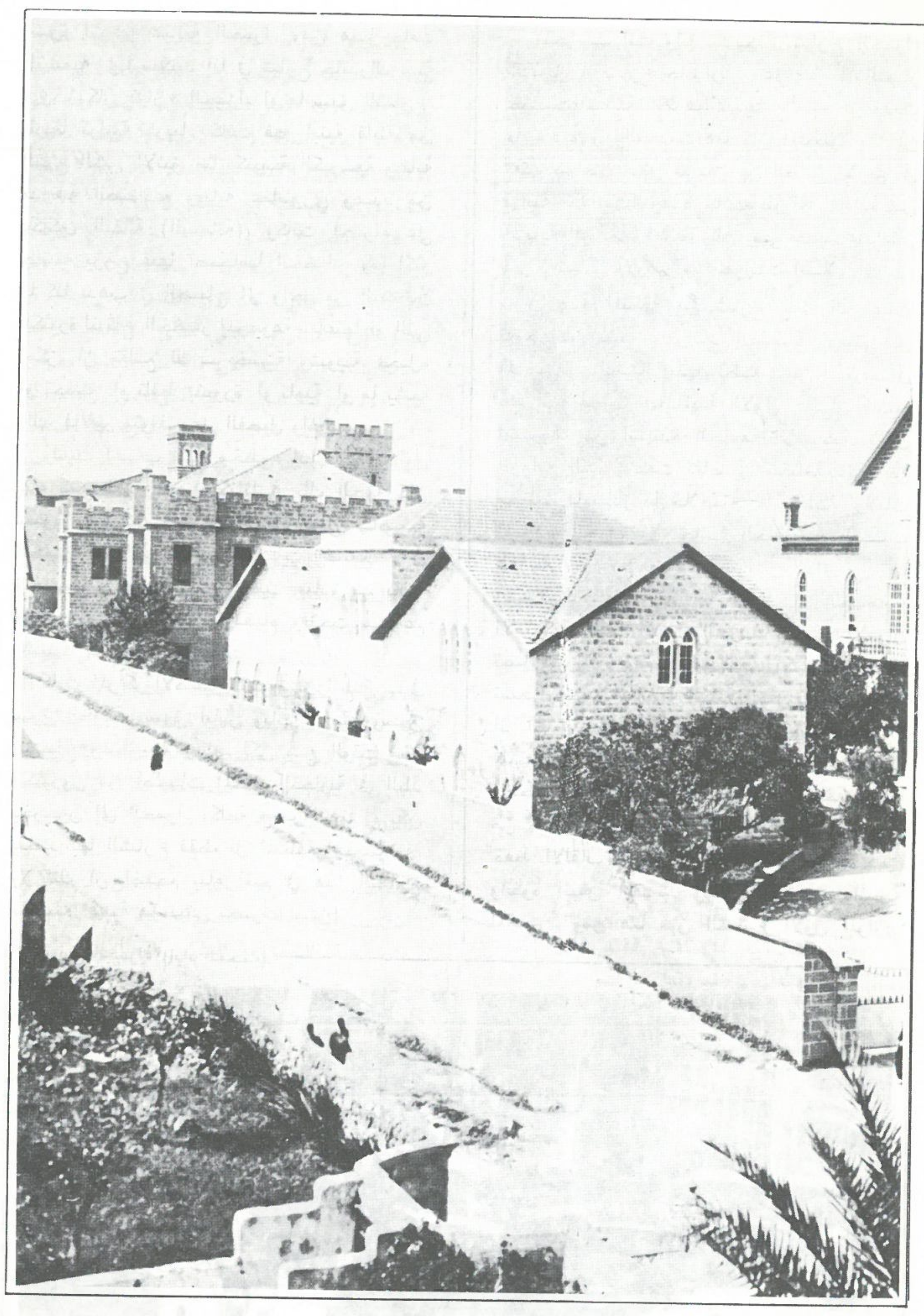
ونحن — أنت وأنا — نجتاز شارع الحمرا، سائرين في شارع جاندارك، وعلى يميننا واليسار حوانيت جميلة أكثرها حديث البناء أو حديث «التحديث». والتحديث هنا كان المقصود منه أن يأتي صاحب مبنى فيجعل من الطابق الأرضي في بنايته حوانيت؛ وهذه كانت طريقة الافادة من الأبنية القديمة. أما ما كان يبنى حديثاً فقد كان يترك الطابق الأرضي فيه حوانيت أصلاً.

في هذه المنطقة من شارع جاندارك، حيث تقوم الآن بناية ستراند الضخمة، ومبنى آل المقدسي إلى الشمال منها، قطع أرض اشتريت في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وكان الذين اشتروها من أساتذة الجامعة الأميركية. تقول الرواية التي سمعت تفاصيل مختلفة عنها من مختلف المصادر ما خلاصته: لما دخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، انقطع ورود المال الكافي من تلك البلاد لدفع مرتبات العاملين في الجامعة الأميركية. فلما انتهت الحرب، وعادت الأموال تصل بيروت، دفعت الجامعة (كانت لا تزال تسمى، بهذه المناسبة الكلية السورية الانجيلية، إذ أن اسمها الجديد يعود إلى سنة ١٩٢١) المرتبات «المكسورة» عليها. فتقدم بعض الأساتذة واشتروا قطعاً من الأرض في تلك المنطقة لقربها من محال عملهم. ومن الذين فعلوا هذا (مع حفظ الألقاب) جبر ضومط وجريس المقدسي وأخوه أنيس المقدسي ونجيب خوري وأنيسة المقدسي. ومن هنا فإن الشارع الأول الموازي

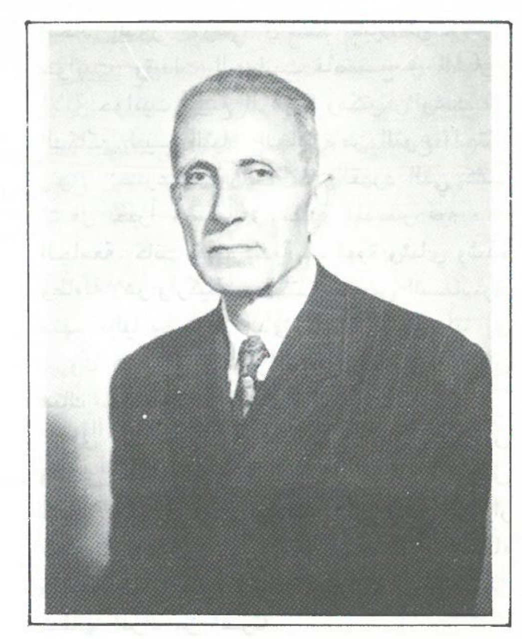


□ شارع الحمراء (أيام العجقة)





□ شارع بلس المؤدي إلى الجامعة الأميركية عام ١٩١٠.

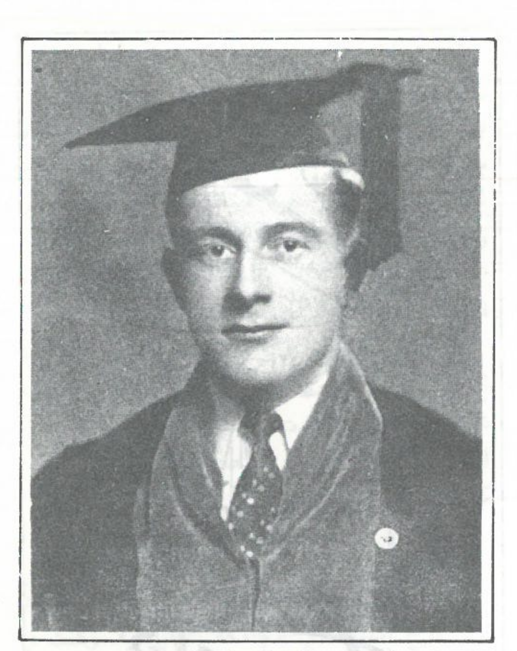


□ د. أنيس المقدسي

لشارع الحمرا الذي يقطع جاندارك يسمى النصف الغربي منه شارع المقدسي (والشرقي شارع الصوراتي). ومع أن شارع المقدسي والصوراتي فيهما أبنية مهمة كبيرة، فالمحل الذي يهمني أنا هو البنك العربي ـ فرع رأس بيروت. ومن المتعارف عليه أن قطعة الأرض التي تقوم عليها بناية (تسمى في بيروت عادة وكالة) ستراند كان يملكها نجيب خوري، أحد أساتذة الرياضيات في الجامعة. وقد باع هذه الأرض في الستينات بمبلغ روي (والله أعلم) أنه كان ١،٧٥٠،٠٠٠ ليرة لبنانية.

(٥)

شارع جاندارك مسمى اكراماً للبطلة الفرنسية جاندارك. ولنقف هنا قليلاً لنتحدث عن هذه الفتاة التي سمي الشارع باسمها. بين سنتي ١٣٣٧ و١٤٥٣ قامت بين فرنسة وانكلترا حرب تسمى حرب المئة سنة. ومن المعارك التي كانت تحدث بين جيشي الدولتين في فترات متقطعة وقعت واحدة منها سنة ١٤٢٩ إذ كان الانكليز يحاصرون مدينة اورليان. وكان شارل السابع الفرنسي يود استعادة تاجه أي ملكه من الانكليز، لكنه كان يشعر بعجزه. عندها تقدمت جان دارك

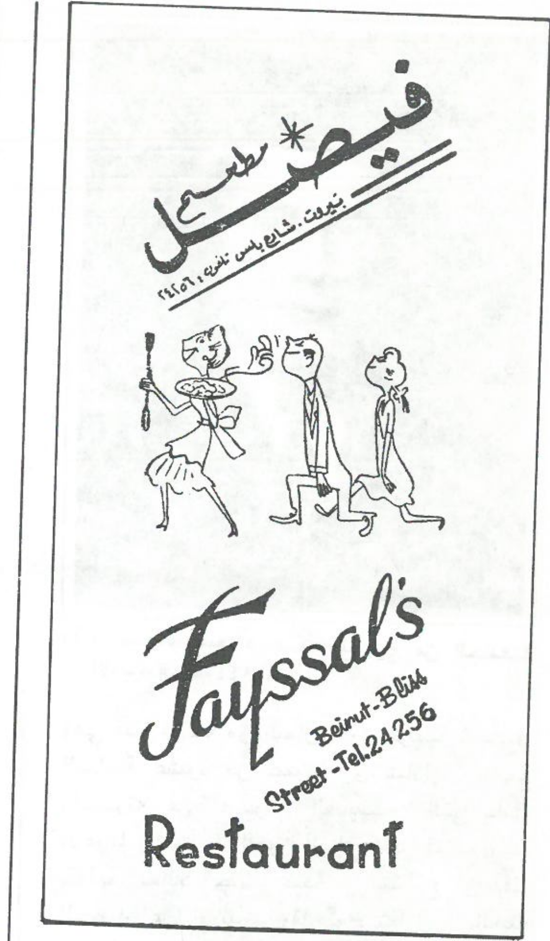


□ د. عبد الله سعادة عندما تخرج من الجامعة الأميركية عام ١٩٤٤.

وهي فتاة فلاحة من شمال شرق فرنسة كانت في السابعة عشرة من عمرها إلى شارل السابع وأخبرته عن أصوات القديسين التي كانت تدعوها إلى مد يد العون للملك. وقد اقتنع الملك بقولها. فقادت جيشاً ضخماً استطاع أن يفك الحصار عن اورليان. وقد توج شارل في السنة نفسها (١٤٢٩) في مدينة ران، وتحت اشرافها. إلا أن البرغنديين أسروا جاندارك في السنة التالية وباعوها للانكليز. وقد حاكمتها محكمة انكليزية وحكمت عليها بالموت حرقاً بسبب زندقتها. ونفذ الحكم بها سنة ١٤٣١، وكانت في التاسعة عشرة من عمرها. على أن الحكم عليها بالزندقة فسخ سنة ١٤٥٦؛ وفي سنة ١٩٢٠ اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية جاندارك قديسة.

هذه هي البطلة الفرنسية التي أكرمت بنسبة شارع بيروتي لها.

وكان شارع جاندارك واحداً من أول الشوارع التي تعرفت إليها في بيروت، في زيارتي الثانية لتلك المدينة سنة ١٩٣٥. فقد زرت أسرة المرحوم المحامي غطاس كرم. فقد كنت أعرف ابنته جمال لما كانت تعلم في مدرسة النجاح في حيفا. وكانت جمال تقول دوماً إنها ستعود إلى



□ اعلان لمطعم «فيصل» ايام العز!

الدراسة وستدرس الطب. وقد فعلت ونجحت طبيبة ماهرة محترمة محبوبة. وتعرفت يومها فيما بعد على أخويها انطوان وعاطف، فارتبطنا بصداقة وزمالة في الجامعة الأميركية.

وفي سنة ١٩٥٠ سكنا في شارع قصير متفرع من شارع جاندراك. أقمنا في الشقة التي كانت تخص المرحومة وديعة الياس المقدسي، ابنة السيد فضلو حوراني، من أعيان الجالية اللبنانية في مانشستر بانكلترا. وظللنا في الشقة نفسها حتى ربيع ١٩٧٣. لذلك فابناي رائد وباسم من أولاد هذا الشارع. وأنا والمرحومة زوجتي مرغريت من مواطنيه.

تبدلت في الشارع أشياء كثيرة، أغلبها بعد شارع المقدسي في الاتجاه نحو الجامعة، منها اتخاذ الدور الأرضي في عدد كبير من المنازل حوانيت. وتبدلت الحوانيت فأصبح في الشارع ثلاثة حوانيت لبيع الزهور، ومكتبتان وعدد من الدكاكين لبيع الثياب الجاهزة من النوع المحترم ونوع الصرعات. وزالت منه القهوة التي كانت تشغل حيزاً متسعاً في نهاية المنحدر فيه نحو الجامعة. كانت قهوة بلدية ــ قهوة وشاي وشدّة وطاولة زهر وأركيلة، و«مكتب» لبعض السماسرة. منهم ايليا بخعازي الذي كان أيام وصولنا إلى بيروت سمساراً لايجار البيوت. وعلمت أنه كان هناك سمسار لشراء وبيع العقارات.

إلى جانب هذا كله فقد كان الاخوان جرجس وأنيس المقدسي يقيمان في هذا الشارع. جريس كان يقيم في بيت قديم مبني على الطراز البيروتي. ولكن بعد وفاته بمدة هدم البناء وأقيمت مكانه بناية كبيرة متسعة يقطن عدداً من شققها أفراد من أسرته.

والأخ الآخر، أنيس كان يقيم في الجهة الأخرى من الشارع، على يمين المنحدر نحو الجامعة. وأنيس تخرج من الجامعة الأميركية ثم حصل على شهادة الماجستير من جامعة كولومبيا. وكان من تجاربه التعليمية الأولى أن علم في مدرسة بشمزين (الكورة) وفي كلية اسيوط بمصر. وأخيراً استقر في الجامعة الأميركية وخلف جبر ضومط في رتبة الأستاذية ورئاسة دائرة اللغة العربية وآدابها.

وقد زاملت الأستاذ أنيس المقدسي سنة دراسية واحدة (١٩٤٩ ــ ١٩٥٠). لكن الرجل ظل يكتب ويحقق الكتب حتى وفاته، وقد تجاوز التسعين عاماً.

إذا كان ثمة من يمكن أن يسمى «معلم الجيل» فأنيس المقدسي يستحق ذلك.

وجبر ضومط (١٨٥٨ ــ ١٩٣٠) شغل منصب الأستاذية للغة العربية وآدابها في الجامعة الأميركية نحو ثلث قرن بدءاً من سنة ١٨٨٩. ولا شك أنه كان من الأوائل بين الذين تفلت من التقليد والقيود في تعليم هذه اللغة. وقد أعانه على التبحر في اللغة العربية والكشف عن أسرارها كونه كان يجيد اللغتين العبرية والسريانية، فضلاً عن معرفته الدقيقة بالآداب السامية.

ومع أنه لم يتح لي التعرف شخصياً على جبر ضومط، فقد كان كتابه الخواطر العراب في النحو والاعراب واحداً من كتب اللغة العربية التي أفدت منها أيام كنت أقوم على تثقيف نفسي بنفسي لما كنت في عكا. أما كتابه الآخر الذي استمتعت به فهو سفر التكوين.

كنا مرة نتحدث عن الجامعة الأميركية في جلسة في الكلية العربية في القدس، وكان بيننا خريجون من الجامعة. فروى لنا المرحوم الأستاذ أحمد سامح الخالدي (مدير الكلية يومها) أنه لما كان تلميذاً في الجامعة الأميركية كان التدخين ممنوعاً في حرمها بالمرة. وكان جبر ضومط مدخناً مسرفاً. لذلك كان يخرج من كولدج هول إلى خارج حرم الجامعة ويقف أمام البوابة الرئيسية ليدخن سيجارته. وقد يفعل ذلك مرات بين حصتين.

بعد حي المقادسة (إذا صحت التسمية) نجتاز، ونحن متحدرون في شارع جاندارك نحو الجامعة، شارع أرتوا. وقد أطلقت عليه بلدية بيروت في وقت من الأوقات اسم الفرد نقاش (١٨٨٦ ــ)، الذي كان رئيساً للجمهورية سنة ١٩٤٢. لكنه لم يقبل بذلك فعاد اسمه الأول إليه.

في هذا الشارع اليوم تقوم كلية اللاهوت للشرق الأدنى ووزارة الاقتصاد الوطني. لكن ما لنا ولمثل هذه الأشياء. فنحن إن بدأنا ندخل الشوارع الجانبية، فلن ننتهي. فلنسر إذن نحو الجامعة. وعلى زاوية جاندارك اليمنى يقوم اليوم مقهى ومطعم انكل سام. وقد تجد فيه بعض الزبائن. لكن قبل الاحداث كان من «المعاقل» الطلابية المهمة. أنت الآن تقطع شارع بلس.

ما هذا؟ نعم هذا الشارع سمّي باسم أول رئيس للكلية السورية الانجيلية التي أنشئت في بيروت سنة ١٨٦٦ والمؤسسة (وهو دانيال بلس). تحتفل هذه السنة (وهي الجامعة الأميركية اليوم) بعيد ميلادها المئة والخامس والعشرين. وهذا شارع تطور كثيراً خلال العقود الأخيرة. لكن ما لنا وللشوارع الكثيرة. فهذه قصة لا نهاية لها.

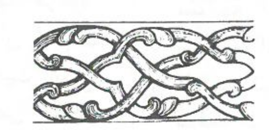
تقطع الشارع فتجد نفسك أمام البوابة الرئيسية للجامعة. وإذا تلفت، وأنت تقطع شارع بلس، وجدت المكان الذي كان ملء السمع والبصر، وهو مطعم فيصل، مقفلاً. فإذا كنت تعرفه تحسرت بعد أن تتذكر.

(٦)

كنت إذا وقفت على شرفة بيتي ونظرت شمالاً أرى برج الساعة في الجامعة الأميركية. وكنت في أيام الصيف، إذ أفتح النوافذ كلها، أسمع صوت جرس الساعة يدق، خاصة عند منتصف الليل.

صباح يوم الجمعة الثامن من شهر تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٩١، جاءني عادل اندراوس في الصباح. وبعد ان سلمني الرسالة، سألني فيما إذا كنت قد سمعت صوت الانفجار عند الفجر. ولم أكن قد سمعته. وأضاف أن الخبر هو أن مبنى كولدج هول (وفيه برج الساعة) تهدم، وإن البرج قد وقع أرضاً. خرجت مع عادل إلى شرفة منزلي، واتجهت ببصري شمالاً. فلم أر البرج في مكانه. كان الخبر صحيحاً.

لذلك، لما وصلنا أنت وانا أمس إلى البوابة الرئيسية في الجامعة كانت مقفلة. إنهم لا يزالون يرفعون أنقاض كولدج هول.



الجامعة الأميركية في بيروت منارة للأمل ودعامة للمستقبل

د. رضوان مولوي

مدير الاعلام والعلاقات العامة في الجامعة الأميركية

احتفلت الجامعة الأميركية في بيروت في العام الماضي بذكرى مرور ١٢٥ سنة على تأسيسها التي صادفت الثالث من كانون الأول، ففي ذلك اليوم من عام ١٨٦٦ تم زرع الغرسة الأولى حين تأسست كلية الآداب والعلوم في منزل صغير مؤلف من خمس غرف في منطقة «عالسور» قرب سراي الحكومة في بيروت. وقد تم الاتفاق آنذاك بين دانيال بلس من الإرسالية الأميركية ومؤسس الكلية والمعلم بطرس البستاني صاحب المدرسة الوطنية على استئجار منزله واستخدام مدرسته لبدء الدراسة في الكلية التي عرفت آنذاك باسم «الكلية السورية الانجيلية». ولم يلبث المعلم بطرس أن انضم إلى هيئة التدريس في الكلية. وكان عدد الطلاب في السنة الأولى ١٦ طالباً أما هيئة التدريس فتألفت من أربع جنسيات: دانيال بلس، الشيخ ناصيف اليازجي، أسعد الشدوديّ، لويس الصابونجي، الفرنسي موريس فيرن، ستيوارت دودج، جون فريزر ومستر روبرتسون من الإرسالية السكوتلاندية. وكانت لغة التدريس آنذاك هي اللغة العربية.

وفي العام ١٨٧٠ تخرج خمسة طلاب من مجموع الستة عشر طالباً وهم أول حملة شهادة بكالوريوس من الكلية، بينهم يعقوب صروف وفارس نمر اللذان أسسا في ما بعد جريدة المقطم ومجلة المقتطف في القاهرة وقيصر غريب الذي أصبح طبيباً مرموقاً في يافا في فلسطين. ولم تلبث الكلية أن انتقلت إلى الحرم الرئيسي في رأس بيروت حيث ابتاع دانيال بلس عام ١٨٧٠ قطعة أرض هناك بمحاذاة الشاطىء تملؤها الأعشاب وأشجار الصبير وتعشعش فيها الأفاعي ويسرح فيها ابن آوى أو «الواوية» وقد دفع ثمن تلك الأرض ٨ آلاف دولار. وكان عدد سكان بيروت آنذاك لا يتجاوز مائة ألف نسمة، كما كان هنالك سور يحيط بالمدينة وقد هدم الأتراك أحد الأبراج في هذا السور ثم أقاموا هناك ما أصبح يعرف بساحة البرج. ويقول دانيال بلس في مذكراته أن شخصاً اسمه ادريس فتح باباً في منزله بمحاذاة السور ليسهل الطريق على المارة لقاء «متليك» يدفعه كل من يمر عبر هذا الباب فكان ان اغتنى ادريس من جراء ذلك وأصبح المكان يعرف من بعده باسم «باب ادريس».



□ الجامعة الأميركية وتبدو منطقة عين المريسة، عام ١٩٢٠

وفي عام ١٨٧٣ تم إنشاء المبنى الرئيسي للكلية أو ما يسمى «كولدج هول» داخل حرم الجامعة في رأس بيروت، ثم أخذت الكلية في النمو والتطور، إلا أن صعوبة ترجمة الاصطلاحات العلمية اضطرت المسؤولين عام ١٨٨٠ الى تغيير لغة التدريس من العربية إلى الانكليزية. وفي العام التالي لتأسيس كلية الآداب والعلوم أي في العام ١٨٦٧ تأسست كلية العلوم الطبية مع مستشفى يضم أربعة أسرة. وفي عام ١٨٧١ تأسست كلية الصيدلة وعام ١٩٠٠ كلية التجارة وعام ١٩٠٥ تأسس مستشفى الجامعة وكلية التمريض وعام ١٩١٠ تأسست كلية طب الأسنان. وفي عام ١٩٢٠ وافق مجلس أمناء الجامعة في نيويورك على تغيير اسم الكلية السورية الانجيلية لتصبح «الجامعة الأميركية في بيروت».

وفي عام ١٩٢٤ سمح لأول مرة بقبول الفتيات في كلية الآداب والعلوم. وفي عام ١٩٥١ تأسست كلية الهندسة والعمارة. وفي عام ١٩٥٢ تأسست كلية العلوم الزراعية. وفي عام ١٩٥٤ تم شراء قطعة أرض كبيرة أقيمت فيها مزرعة التجارب الزراعية في منطقة البقاع كما أنشأت في العام نفسه كلية الصحة العامة. وفي عام ١٩٧٠ افتتح رسمياً المركز الطبي أو المستشفى الجديد للجامعة الأميركية في بيروت الذي يضم ٤٤٠ سريرا. وفي عام ١٩٧٨ تأسست كلية العلوم الصحية.

جامعة دولية:

وهكذا نرى كيف تطورت هذه الكلية الصغيرة التي بدأ تمويلها بمائة ألف دولار وأربعة آلاف جنيه انكليزي جمعها دانيال بلس في أميركا

وبريطانيا أثناء الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الى أن أضحت جامعة رفيعة المستوى بلغت موازنتها في منتصف الثمانينات ٨٥ مليون دولار. وهي تعتمد الآن في تمويلها ودعم موازنتها على الهبات والتبرعات من الحكومات والمؤسسات الخاصة والعامة وخاصة من الولايات المتحدة والعالم العربي فضلاً عن أقساط الطلبة والمساعدات التي تحصل عليها من خريجي الجامعة وأصدقائها في شتى أنحاء العالم.

لقد أنشئت الجامعة الأميركية في بيروت، كما أعلن مؤسسها دانيال بلس «لجميع طبقات البشر وفئاتهم، دونما نظر إلى اللون أو القومية أو العنصر أو الدين». وها هي كما نعرفها اليوم، وكما يشير الترخيص الممنوح لها من ولاية نيويورك مؤسسة تعليمية خاصة، لا طائفية، ولا تسعى لجني الربح. إنها تعمل لنشر التربية والتعليم الحر حسب التقاليد الأميركية. وقد جهدت هذه الجامعة وجاهدت بحثاً عن الكمال في التربية والتعليم وتطورت تطوراً واعياً لملاءمة الحاجات العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية المتغيرة في لبنان والعالم العربي، وبالتالي لتكون صلة الوصل بين حضارتي الشرق والغرب، ولعل خير دليل على ذلك ما أعلنه رينيه ماهو المدير العام السابق لليونسكو بمناسبة الاحتفال باليوبيل المئوي للجامعة حين قال: «كانت الجامعة الأميركية في بيروت، طيلة مئة عام، مركزاً مرموقاً للتبادل الفكري بين الشرق والغرب. ولم يقتصر الدور الحاسم الذي قامت به هذه الجامعة على تعريف الشرق الأوسط إلى العالم الحديث، عن طريق ترجمة المؤلفات العلمية الغربية، ولا على إعداد عدد لا يحصى من الاخصائيين والمعلمين وحسب، بل أسهمت أيضاً في تعريف سائر البشر، تعريفاً أوفى بالثقافة العربية المميزة. «إن هذه الجامعة هي جامعة دولية حقاً في كيانها ووصف هيئة طلابها وطبيعة نشاطها، وهذا الطابع الدولي يؤهلها لأن تستجيب استجابة طيبة وموفقة للنداء الموجه إلى كل جامعة، باعتبارها موئلاً للعلم وللثقافة، لأن العلم والثقافة لا يزدهران إلا بالتبادل بين الأمم».

الخريجون القادة:

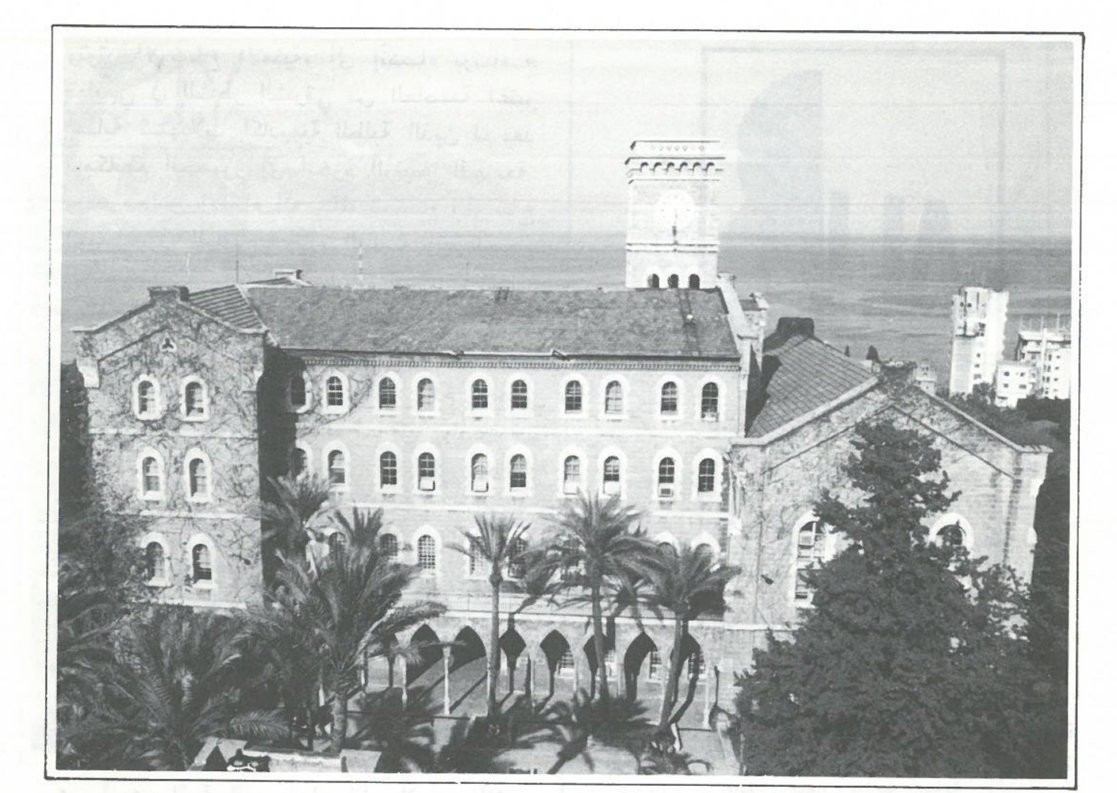
وقد تبلور هذا الطابع الدولي للجامعة الأميركية في بيروت لدى تأسيس هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ في سان فرانسيسكو إذ تبين أنه كان هنالك ١٩ خريجاً من خريجي الجامعة الأميركية في بيروت من بين ممثلي الدول الذين وقعوا على الميثاق أو ساهموا في وضعه، بحيث لم يكن لجامعة أخرى في العالم عدد من المندوبين يقارب هذا العدد. كما أن قليلاً من الدول العربية لم تلجأ إلى خريجي الجامعة في حركات التحرير والاستقلال التي قامت بها.

يبلغ عدد الطلبة في الجامعة اليوم قرابة خمسة آلاف طالب وطالبة. وقبل الحرب اللبنانية كان الجسم الطالبي يضم حوالي خمسين جنسية من مختلف أنحاء العالم ويمثلون ١٩ ديانة. وتزيد نسبة الطلبة العرب في الوقت الحاضر على ٩٠ بالمئة معظمهم من اللبنانيين وذلك نظراً للظروف الراهنة في البلاد. وقد تزايد عدد الطالبات في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ بحيث بات يقارب عدد الطلبة. أما الأساتذة فيبلغ عددهم حوالي خمسمائة أستاذ أي بنسبة أستاذ واحد لكل عشرة طلاب وهي النسبة التي تحرص الجامعة الأميركية للحفاظ عليها اسوة بالجامعات المماثلة ذات المستوى في الولايات المتحدة.

ويبلغ عدد خريجي الجامعة منذ تأسيسها إلى الآن قرابة خمسة وثلاثين ألف طالب وطالبة. ويحتل الكثيرون من هؤلاء الخريجين مراكز قيادية في ميادين التربية والطب والآداب والأعمال والادارة الحكومية في لبنان والعالم العربي والخارج. وبينهم من احتل رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة فضلاً عن العديد من الوزراء والنواب وقادة الأحزاب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وما ذلك إلا نتيجة لمناخ الحرية الفكرية الذي تحرص الجامعة على توفيره لطلابها بحيث تتصارع الأفكار والعقول ويتبلور العلم وتنمو المعرفة.

حرية الرأي والتعبير:

والواقع أنه إذا كانت المبادىء التي تقوم عليها الجامعة هي مبادىء الحرية الفكرية



□ بناية «كولدج هول» التي بنيت عام ١٨٣٠ ـ قبل الانفجار.

والتعبير الحر، فهي حريصة في الوقت ذاته، ونظراً للظروف السائدة في لبنان والمنطقة بأسرها، على تحديد دراسة السياسة والنشاطات السياسية وليس ممارستها، بل تفحصها من حيث هي ظواهر خاضعة للدراسة العلمية المجردة، دراسة يشترك فيها الأساتذة والطلاب في الصفوف وفي حلقات المناقشة. ذلك أن علم السياسة هو فرع علمي أكاديمي، وسائر الفروع العلمية التي يتألف منها التعليم العالي. وإذا كان للطالب ملء الحق، كما للأستاذ، في التعبير الحر عن رأيه ومبادئه، فإن ممارسة العمل السياسي داخل الحرم الجامعي، وفي ظل الأوضاع الراهنة، قد أدت في كثير من الأحيان إلى الاساءة إلى الحرية الأكاديمية بل ربما إلى فقدان هذه الحرية. وهو أمر يعتبر بمثابة ضربة لا تقتصر على التعليم والبحث الجامعيين بل تتعداهما إلى تطور المجتمع الثقافي والديمقراطي.

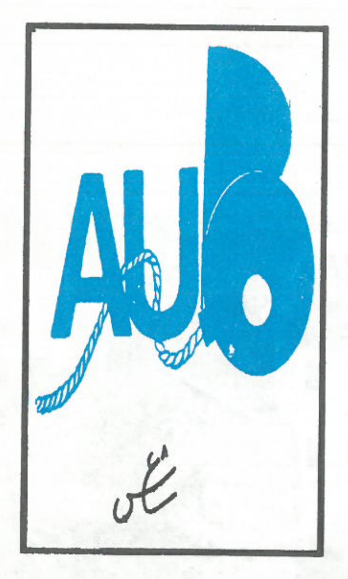
وإذا كانت الأحداث الراهنة والمشاكل السياسية في لبنان قد أثقلت كاهل الجامعة الأميركية، فالواقع، أن معاناة الجامعة الأميركية في بيروت ليست أمراً جديداً، إذ يحفل تاريخها بمشاكل وصعوبات بل وأزمات منذ الحربين العالميتين إلى الحرب اللبنانية الأخيرة. وها هي اليوم وبعد معاناة الأحداث اللبنانية ما تزال صامدة أمام كل أنواع الصعوبات والتحديات. ففي العقدين الماضيين واجهت الجامعة حملات مغرضة استهدفت التشكيك في أهدافها ورسالتها ثم تبعتها شائعات وأحاديث مختلفة حول اغلاقها أو انتقالها، فتارة تنقلها الشائعات إلى قبرص أو إلى تركيا أو إلى هذا البلد العربي أو ذاك. والحقيقة التي لا لبس فيها هي أن الجامعة الأميركية باقية هنا وفي حرمها الرئيسي في رأس بيروت. وهذا ما أكده مراراً وتكراراً مجلس أمنائها تفنيداً لكل تلك الشائعات والأقاويل.

عزم وتصميم

لقد اضطرت الجامعة بعد اشتداد وطأة الحرب في لبنان وإقامة الحواجز وإغلاق المعابر

وتوتر الأوضاع الأمنية، إلى إنشاء برنامج تعليمي في الشطر الشرقي من العاصمة اعتبر بمثابة تسهيلات أكاديمية للطلبة الذين لم يعد بإمكانهم الحضور إلى الحرم الرئيسي للجامعة. وأكد مجلس الأمناء أنه حالما تسمح الأوضاع الأمنية في البلاد بمجيء الطلبة إلى الحرم الرئيسي عندئذ سيصار إلى إغلاق هذا البرنامج، وبالفعل وفور عودة الأوضاع الأمنية إلى طبيعتها تم اغلاق هذا البرنامج وعاد الطلبة والأساتذة إلى استئناف الدراسة في الحرم الأم. وتقوم سياسة الجامعة في هذا المجال على أساس أن التعليم الجامعي الصحيح لا يتم في غرفة الدراسة فحسب بل هو يتطلب حواراً ونقاشاً وتفاعلاً دائماً بين الطلبة والأساتذة وبين الطلبة أنفسهم، وهذا لا يتوفر إلا داخل الحرم الجامعي وفي ظل مناخ الحرية الفكرية، كما أن التعليم الجامعي الصحيح لا بد له من وجود المكتبات والمراجع والمختبرات ومركز الكومبيوتر وهذا لا يتوفر للطلبة إلا في حرم الجامعة حيث توجد خمس مكتبات متخصصة تحتوي على ما يزيد عن أربعمائة ألف مجلد فضلاً عن آلاف المطبوعات والمخطوطات.

وهكذا فإن مجلس الأمناء الذي ينطلق في رسم سياسة الجامعة من الايمان الراسخ برسالتها، أكد على وجوب استمرارية الجامعة رغم الظروف المأساوية الخطيرة التي مرت بها. وقد اتخذ مجلس الأمناء جملة قرارات في السنوات الأخيرة بوجوب الاستمرار في مناسبات عدة، الأول بعد حادث اغتيال رئيس الجامعة الراحل الدكتور مالكولم كير في مطلع عام ١٩٨٤، وبعد حوادث اختطاف مدير مستشفى الجامعة ثم اختطاف عميد كلية الزراعة وكذلك المدير المساعد للمالية. ولا شك أن حوادث الخطف التي تعرض لها هذا العدد من أعضاء الجامعة، لم تقع بسبب انتماء أولئك الأشخاص إلى الجامعة وعملهم فيها، بل وكما يبدو حتى الآن، فإن الجهات التي قامت بعمليات الخطف كانت تستهدف شخصيات أميركية مرموقة، لأسباب تتعلق بالسياسة الأميركية والموقف الأميركي تجاه الأحداث الجارية في لبنان والمنطقة. وعلى



□ عن جريدة «الحياة» ١٩٩١/١٢/٢.

ذلك فقد تم اختطاف عدد من كبار أساتذة الجامعة وادارييها الذين لا علاقة لهم بالسياسة من قريب أو من بعيد، وإنما هم أميركيو الجنسية وقد ندبوا أنفسهم لحمل رسالة العلم والتعليم.

وفي مطلع تشرين الثاني من العام الماضي، وبالذات في الثامن منه، وقع الحادث المروع بتفجير مبنى «الكولدج هول» وهو المبنى الرئيسي في الجامعة. ولا شك أن الأيدي الأثيمة التي خططت لهذه الجريمة النكراء كانت تأمل بأن يؤدي هذا العمل إلى توقف الدراسة أو إغلاق الجامعة إلى اشعار آخر، غير أن الوقائع أثبتت مجدداً مدى عزم الجامعة وتصميمها على الاستمرار في وجه كل المؤامرات والتحديات مهما بلغ حجمها. ولم تمض ساعات، مجرد ساعات، على وقوع الجريمة، حتى كان مجلس العمداء يعقد جلسة استثنائية في منزل رئيس الجامعة في بيروت، ويعقبه مجلس الأمناء في نيويورك، ولم تلبث أن صدرت قرارات المجلسين بوجوب الاستمرار، وجاءت هذه القرارات لتعكس أيضاً ارادة الأساتذة والطلبة والموظفين في الصمود ومواجهة التحدي.



□ بناية «كولدج هول».. بعد الانفجار.

الجامعة الأميركية والسياسة:

وبالرغم من ذلك كله فما تزال الأسئلة تتردد عن الجامعة الأميركية وعلاقتها بالسياسة الأميركية. والجواب من السهولة بمكان. أن الجامعة الأميركية في بيروت هي جامعة أميركية بالاسم فقط، فهي الآن ومنذ انشائها، ما تزال تعمل في خدمة لبنان والعالم العربي، وقد تطورت مع الزمن لملاءمة حاجات لبنان والعالم العربي في الميادين الأكاديمية والثقافية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية. وهي جامعة اميركية أيضاً لأن شهاداتها تصدر بترخيص من ولاية نيويورك. وهي جامعة أميركية كذلك عن طريق نمط التعليم الأميركي الذي تقدمه، أي نظام التعليم الأميركي الذي تتّبعه الجامعات الأميركية في الولايات المتحدة. وما عدا ذلك فالجامعة الأميركية في بيروت هي جامعة لخدمة أبنائنا الطلبة اللبنانيين والعرب.

والواقع أن الجامعة بسبب كونها أميركية فإنها تجد نفسها معرضة للسهام التي تطلق عليها من غير وجه حق، رغم أن علاقتها بالسياسة في هذا المجال تنحصر بتعليم السياسة كمادة من مواد التعليم، ولكنها لا تسمح لطلابها بتعاطي الشؤون السياسية داخل الحرم الجامعي، خاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد وما قد ينجم عن ذلك من المشاكل في الوسط الجامعي والتي تجهد الجامعة لتفادي حصولها. إلا أنه يمكننا القول أن وضع الطلاب الفكري يتأثر بالمناخات الفكرية خارج أسوار الجامعة. ومن حيث المبدأ لا يمكننا أن نعتبر انعكاس هذه الأفكار داخل الحرم الجامعي إلا دليلا محبباً لحيوية لا يجوز ان نفرط بها، كما لا يجوز أن تنعدم في الجسم الطالبي الذي ينفعل بها ويتفاعل معها في إطار الحرية الفكرية التي تتميز بها هذه الجامعة.

الجامعة الأميركية والعالم العربي:



□ مكتبة الجامعة عام ١٨٨١.

وهناك دور كبير من الأهمية تقوم به الجامعة الأميركية في خدمة العالم العربي ولكنه دور غير معروف للجميع، ذلك أن خدمات الجامعة الأميركية للعالم العربي لا تقتصر على تخريج الأجيال المتعاقبة من الطلاب والطالبات. بل هي تحرص أيضاً على تقديم خدمات أكاديمية واستشارية عبر مركز الأبحاث والبرامج الخارجية في الجامعة بحيث تسهم إلى حد كبير في مشاريع التنمية في الدول العربية وخاصة في الخليج العربي وفي المملكة العربية السعودية وفي لبنان حيث تولت الجامعة تنفيذ العديد من المشاريع في ميادين الطب والتمريض والصحة العامة والزراعة والتربية وإدارة الأعمال والمصارف والهندسة. وقد أنجزت هذه المشاريع على أساس عقود تم توقيعها مع جامعات أو مؤسسات في المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة فضلاً عن لبنان والأردن. وهنالك حالياً ما يزيد عن ١٥ مشروعاً من هذا النوع، يتولى ادارتها قسم الأبحاث والبرامج الخارجية، مما يظهر أهمية الدور الذي تقوم به الجامعة الأميركية في بيروت في هذه الميادين في العالم العربي. كما تولى هذا القسم تنظيم مؤتمرات وندوات علمية ودورات تدريبية في مختلف الميادين، مما أدى الى استقطاب أساتذة كبار وخبراء دوليين لا يستطيع الكثير منهم المجيء إلى لبنان.

ولقد باشرت الجامعة الأميركية في بيروت بالاشراك مع معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT) بوضع برنامج تعاوني على مدى عدة سنوات، في ميادين العلوم والتكنولوجيا والتنمية، مع تركيز الاهتمام على إعادة اعمار لبنان. ويتضمن هذا البرنامج تطوير المصادر المائية، المساعدات التقنية للصناعة، برامج التربية والتعليم،

التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي والخدمات الصحية

إن الجامعة الأميركية في بيروت تواجه اليوم تحديات جديدة، غير أنها تقف على أهبة الاستعداد، متسلحة بطاقاتها المميزة، من أجل دعم وتنوير شعوب هذه المنطقة، لمواجهة المشكلات وانتهاز الفرص التي ستتاح لهم مع بداية القرن الحادي والعشرين. إن الشرق الأوسط بحاجة إلى قادة يتميزون بالتفوق، ليس في ميدان العمل فحسب، بل وفي التفكير الحر أيضاً، ويتم ذلك نتيجة لتربية ذات خلفية فلسفية، ونظام يتحلى بالقيم وأجواء مماثلة لتلك التي تسود مجتمع الجامعة الأميركية في بيروت.

منارة للأمل

إن على الجامعة، أية جامعة، مهمة مناصرة قوى العلم على جحافل الجهل، وهي خليقة بأن تظل الأفكار فيها وعبرها في تجاذب وتصاول وتفاعل، وسبيل الخير فيها هو سعيها لبلورة التوتر أو التنازع في المجتمع إلى رؤى أوضح وأسمى وإلى خيارات أدق وأجلّ وإلى انجازات أزهى وأغنى على كل صعيد. ذلك أن الجامعة هي من المجتمع، إذ لا وجود لها إلا به. فالجامعة لا تولد من فراغ، بل هي تنشأ وتترعرع بنتيجة حاجة المجتمع إليها ومن ثم فإنها تتفاعل معه وتتكيف فيه وتكيّفه. لولاه لم تكن كما هي ولولاها لم يكن هو على ما هو عليه. إن لها فيه مكانة العقل ومرتبة الضمير.

من هذا المنطلق يمكننا أن ننظر إلى الجامعة الأميركية في بيروت، هذه الجامعة التي نشأت بين ظهرانينا قبل أن يكون لنا وطن فإذا بها تتأصل بيننا وتندمج في مجتمعنا وتفعل فعلها في تنوير العقل وتطوير الفكر وبناء المواطن الإنسان لا مجرد الانسان الفرد. ترى هل نستطيع أن نتصور لبنان بدون الجامعة الأميركية، بدون هذا الصرح العلمي الكبير. كيف لنا أن نتصور عاصمة العلم والنور والاشعاع بدون هذه الشعلة التي أضاءت لنا ظلمات الجهل والجهالة؟ لا شك أن معاول الهدم كثيرة في هذا البلد، وقد تعاقبت كلها فخربت وفجرت ودمرت الناس والمؤسسات. ولا شك أن الجامعة الأميركية في بيروت كانت في طليعة المؤسسات التي أصابها الكثير من الأذى والضرر. إلا أنها بالرغم من كل العاديات ما تزال صامدة صابرة، ولا شك أن ضمان استمرارها إنما يعتمد أولاً وقبل كل شيء على مدى تفهمنا في لبنان خاصة، وفي العالم العربي عامة، لأهمية الرسالة التي تضطلع بها، وبالتالي على مدى ما نوفره لها من الدعم المعنوي والمادي وما نحيطها به من أسباب الأمن والاستقرار وضمان سلامة الأساتذة والطلاب وجميع العاملين في حرمها ومستشفاها.

إن التزام الجامعة الأميركية في بيروت، على مدى ١٢٥ عاماً من الزمن، تجاه حرية الفكر والبحث العلمي المجرد، يجعل منها مركزاً غنياً وفريداً في هذه المنطقة، وصنواً لأرقى الجامعات في العالم. إنها حقاً تجمع بين أفضل ما في حضارتي الغرب والشرق ابداعاً وعطاء، وهي تقف اليوم منارة للأمل ودعامة لمستقبل مشرق.

خصام أبو علي بدران وعبد الفتاح حماده

● كان أبو علي بدران على خصام مستمر مع السيد عبد الفتاح حماده، وفي ذات يوم التقى الرجلان في الطريق فسلّم كل منهما على الآخر ـ على عادة الناس في ذلك الزمن ـ دون أن يتميز الواحد الثاني، وكان أبو علي شحيح النظر فسأل رفيقه عن الرجل الذي مرّ بهما وسلّما عليه، فأجابه بأنه السيد فتيحه! فوقف أبو علي والتفت إلى الوراء صائحاً:

ـ يا سيد فتيحه... سلّمت عليك بدون ما أعرفك، فلا تقول تصالحنا... بعدنا يابا، على ما كنّا عليه: لا سلام ولا كلام.

من مجلة «أوراق لبنانية»، السنة الأولى
العدد الأول، ص ٣٩

ترييف بيروت...
هل أفسد عروبتها وعالميتها؟

د. عصام نعمان

من ظواهر حرب لبنان الملفتة ترييف عاصمته بيروت، وتمدين ضواحيهاالقريبة، ناهيك عن بعض المناطق البعيدة.

المقصود بالترييف انتقال مجاميع من أهل الريف إلى المدينة، وسكناهم فيها، واضفاء طابعهم عليها من حيث المأكل والمشرب والملبس والمخاطبة والمعاشرة والمخاصمة والمصالحة وسائر العادات الاجتماعية على أنواعها. بإختصار، الترييف هو نقل حياة الريف ـ لا سيما جوانبه السلبية ـ إلى أجواء المدينة وطبعها بطابع أهله الساكنين في احيائها.

التمدين هو نقيض الترييف. أنه نقل حياة المدينة ـ لا سيما الجانب السلبي منها ـ ومرافقها ومؤسساتها وطرائق العيش فيها إلى الريف، وطبعه بطابع أهلهاالساكنين في رحابه.

بعض أهل الريف شكا من انتقال حياة المدينة الصاخبة إلى رحاب القرية الهادئة، لكن غالبيتهم الساحقة رحبت بالتقدم المحسوس الذي أصاب الأرياف بفضل عملية التمدين.

في بيروت كانت النتيجة مغايرة. فقد شكت الغالبية من ترييف المدينة واعتبرته مسؤولاً عن تدهور مرافقها، وتدني نوعية الحياة فيها. بل أن بعضاً من أهل بيروت الساخطين أبدى خشيته من أن تؤدي عملية الترييف، عاجلاً أو آجلاً، إلى إفتقاد بيروت طابعها المميز كمدينة عربية لبنانية وعالمية في آن.

هل في الترييف خطر على بيروت؟

لعل من المفيد الإشارة إلى أن الترييف ظاهرة قديمة، بدأت بطيئة، بادىء الأمر، ثم تنامت عشية الحرب، واشتدت كثيراً في أثنائها. فضواحي بيروت الشمالية والجنوبية كانت تستقبل لأسباب اقتصادية منذ مطالع الأربعينات، وربما قبل ذلك، الوافدين من شتى الأرياف اللبنانية على اختلاف مناطقهم وطوائفهم ومهنهم ومشاربهم الاجتماعية والسياسية. غير أن الحرب بنوعيها، حرب الأعداء علينا وحربنا فيما بيننا، زادت وتيرة الترييف وعجّلت في إبراز مظاهره وعممته في معظم أحياء المدينة.

حرب إسرائيل في الجنوب اللبناني التي استهدفت سكانه اللبنانيين والفلسطينيين على السواء تسببت، على نحو متواصل منذ مطالع السبعينات، في تهجير الآف الريفيين (وغير الريفيين) من قراهم الآمنة إلى ضواحي بيروت وبعض أحيائها التماساً للأمن والسلامة. ثم ما لبثت الحرب الأهلية ـ وهي المظهر المحلي لحروب الآخرين في ديارنا ـ أن قذفت بمجاميع أخرى من أهل الأرياف، القريبة والبعيدة، إلى أحياء العاصمة بحثاً عن الأمن ولقمة العيش.

وإذا كانت بيروت قد تضررت أثناء الحرب وتدنت نوعية الحياة فيها فإن السبب الرئيسي لهذه الظاهرة هو الحرب ذاتها، بمفاعيلها ومآسيها، أكثر مما هو أولئك الذين قذفتهم الحرب من الأرياف القريبة أو البعيدة إلى عمق أحيائها.

غير أن انتقال الآف الريفيين إلى العاصمة ترك، دونما شك، آثاراً لا يمكن اغفالها. فسكناهم في أحيائها وعاداتهم الاجتماعية التي نقلوها، بطبيعة الحال، إلى المدينة واعتمدوها في ممارساتهم، وسيطرة بعضهم على قسم من مرافقها، اسهمت جميعاً في تقليص طابع بيروت التقليدي، أو السابق للحرب، واكسبتها طابعاً جديداً يمكن وصفه بأنه طابع لبناني مختلط.

صحيح أن بيروت كانت دائماً مصغراً للبنان، بحسناته وسيئاته، إلّا أن الحرب بزيادتها وتيرة الترييف قد جعلت بيروت مصغراً أكثر تمثيلاً لحقيقتها اللبنانية. ولأن الحقيقة اللبنانية هي حقيقة عربية فقد ظل طابع بيروت العربي راسخاً في زمن السلم.

أما طابع بيروت العالمي، أو بالأحرى الكوزموبوليتي، فقد افسدته الحرب والترييف على السواء.

الحرب أفسدته باكراهها الأجانب ـ وكانوا وجوداً كمياً ونوعياً ـ على مغادرة بيروت هرباً من أهوال الحرب ومن عداء بعض الفئات المتطرفة. والترييف افسده أيضاً بسبب نفرة «سليقية» لدى أهل الريف الوافدين إلى المدينة من الأجانب، وصعوبة تواصلهم معهم، وضيقهم بالمرافق والمؤسسات التي تخدمهم، واحتلالهم ـ كمهجرين ـ بعضاً منها التماساً للمأوى أو الملجأ.

غير أن بيروت بقيت، رغم الحرب والترييف، متمسكة بالخصائص الرئيسية لطابعها الخاص الذي هو توليف حي ورائع لأفضل ما في لبنان والعروبة والعالم. وإذا قيض لها أن تستأنف حياتها بسلام ووئام فإنها ستكون قادرة على تجاوز سلبيات الترييف، واغناء طابعها وترسيخه بما هو طريقة حياة مميزة تقوم على التمسك بالجوانب الحية من التراث، والانفتاح على جديد العصر، وتوليف ذلك كله بجرعة من الحرية هي للبنانيين لغة حوار وشرط وجود.



بيروت تحت الحصار والغزو الاسرائيلي*

بقلم: د. أحمد أبو مطر
ومجموعة من الكتّاب والصحفيين العرب

في زمن الشدة، عندما يصبح وجود الانسان مهدداً بالابادة، عندما يصبح الموت هو القاعدة، يكتشف المرء ذاته من جديد. وبالذات عندما يكون الموت جماعياً، بمعنى أن شعباً كاملاً يتعرض للإبادة المقصودة بتخطيط مسبق. في مثل هذا الزمن يصبح الموت هو الوسيلة الوحيدة لردع الموت، ويصبح الموت الطريق للحياة، فلا يردع الحديد إلا النار، والنار لا يردعها إلا الماء.

في بيروت، عشنا هذه الحالة، في الزمن الممتد من الرابع من يونيو (حزيران) إلى الثاني من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢، كانت هجمة وحشية بربرية صهيونية، ضد الشعب العربي في اللبناني تمكن خلالها العدو من محاصرة بيروت الوطنية. كانت بيروت أول مدينة عربية يحاصرها العدو الصهيوني، منذ بداية الصراع العربي ــ الصهيوني. عشنا الموت والدمار والخراب طوال تسعين يوماً. ماذا فعلنا؟ كيف تصرفنا؟. كان للمقاتلين حملة البنادق الدور الفاعل في صد العدو ووقف تقدمه واجتياحه. ولما كان الغزو شاملاً، يستهدف الشعب بكامله، لذلك استنفر كلّ الشعب، لصده ودحره. كيف تصرف المثقفون والكتّاب وسط الحصار؟. يقال دوماً أن المثقفين ضمير الأمة، وهم المعبرون عن آمالها وآلامها. وقد واجهنا أثناء الحصار امتحاناً عسيراً. كانت أول مرة في تاريخ المثقفين العرب، يوضعون فيها وسط تجربة، الموت هو القاعدة فيها، وكان عليهم أن يعتبروا أنفسهم، ويختبروا الثقافة التي تسلحوا بها. كان اختباراً لمعدنهم وصحة ما تحدثوا فيه دوماً، وكتبوا فيه مراراً.

لقد أثبتت تجربتنا في حصار بيروت، أن الكتّاب والمثقفين قادرون على الاسهام في صنع جديد للحياة العربية. نحتاج فقط إلى كتّاب ومثقفين، يضعون قضية الجماهير في أول اهتماماتهم. نحتاج إلى الكاتب والمثقف الذي يشعر بحلاوة الاستشهاد من أجل كلمة حق، أو وقفة وطنية أمام الظلم والقمع والقهر.

(*) من كتاب «بيروت ١٩٨٢ وعي الذات» للدكتور أحمد أبو مطر.



إن وعينا الحقيقي لذواتنا أساس في قيامنا بدور فاعل في صنع حياة عربية جديدة، هذه تجربتنا في بيروت. خطوة في طريق وعي الذات.

وفيما يلي نماذج مما كتب أثناء الحصار والاجتياح عن بيروت.

كتابات وجدانية

- وفاء بيروت والوفاء لها .... حنا مقبل
- هنا بيروت .... رشاد أبو شاور
- بيروت تذهب إلى الحرب .... زين العابدين فؤاد
- حبر من غير ورق ولا سطور .... ياسين رفاعية

الشعر

- أغنية حب .... جليل حيدر
- على بوابات بيروت .... زين العابدين فؤاد

صور قصصية

- خضر .... رشاد أبو شاور

وفاء بيروت والوفاء لها

حنا مقبل

■وتمضي الأيـام ونحس أننا نعيش أيـاماً لم نكن نتوقـع أن يصل بنا العمر إليها.

قبل شهر من الآن، التقى الرفاق، عانقـوا بعضهم، تعاهدوا عـلى القتال حتى الشهـادة. تعاهدوا على الانتصار على كل مظهر تخـاذلي أو جبان قالوا: لن نغادر بيروت إلا إلى القدس.

قالوها، وهم يعنون كل حرف. يعنون كل نقطة فوق كل حرف. إلى القدس منتصرين أو شهـداء أو أسرى، فليس لنا في هذا العالم غـير تلك الأرض الحبيبة.

وابداً، لا نريد غيرها.

نعرف أن بيروت جميلة ونحن نحبها. ونعرف أن الجزر اليونانية حالمة ورائعة. ونعرف أن في الأرض بلاداً أوسـع من فلسطين، وربما أكثر أمناً وجمالاً. ولكننا لا نريد غيرها.

ولذلك نتشبث هنا في الخندق الأخير، من أجل أن نصل إلى الشبر الأول في فلسطين.

قبـل شهر. تعـانقنا وودع بعضنـا الآخر. واقسمنا على القرآن وعلى الأنجيل بأن لا نتخاذل ولا نستسلم ولا نساوم.

كنا نستعد لساعات قادمة نعرف أنها رهيبة.

تعاهدنا. ولم نفترق.

وصمد هذا الشعب العظيم.

لا ماء ولا كهرباء، القذائف في كل شبر.. وفي كل زاوية.

ورحنا ننظر حولنا. نسأل عمن تساقط من الرجال.

لا أحد. لا أحد.

سقط كثيرون. ولم يتساقط أحد.

فإذا بالساعات تصبـح أياماً واسابيـع وربما أشهراً.

وقتال اليوم الرابـع والخمسين كقتال اليوم الأول.

وزهرة فلسطين في خندق بيروت المحاصر نمت



وكبرت. فقلب بيروت، المزق برصـاص الغدر والخيانة والجبن والصمت، لا يعرف إلا الدفء والأمل.

ومن هذا الوفاء نمتلك قدرة الصمود. ونمتلك قدرة المقاومة.

نمتلك قدرة الانتصار. لكي نكون أوفياء لوفاء بيروت.

●

هنا بيروت

رشاد أبو شاور

■ هنا بيروت المدينة السيدة بين المدن. هنا مدينة البحر والرمل المقاتل

هنا تنهض الجميلة المتشحة بالأربجيهات والكاتيوشا،

هنا مدينة الزمن الذي يخرج رغم أزمنة الخراب والهوان والفساد، فيستوي زمناً من نار، يطير ويفيء.

هنا بيروت عاصمة العرب. هنا بيروت التي لا يمكن استباحتها بحرب خاطفة، المدينة التي لا تصطك أعصابها عندما ترسل إليها الانذارات والتهديدات.

هنا بيروت أم محمد التي تطعمنا كل يوم. أم محمد التي ربت أسرة، وردت كيد الزمان، أم محمد التي تهب أمومتها كل يوم بالعدل لكل الذين بلا أمهات، لكل الذين أمهاتهم في غزة، أو الخليل، أو نابلس، أو. أو.

هنا بيروت أم محمد التي تقول: قاتلوا. هنا عيني أم محمـد الحنونتـين الهادئتـين، الشجاعتين، أم محمد التي، وإن خافت قليلاً، فهي تصمـد كل لحظة، وتنشر الفرح، والطمأنينة، واليقين بأيام آتية.

هنا أم محمد، أم العرب الذين لم يروا أمهاتهم منذ سنين مريرة قاسية، أم محمد السيدة الحيوية، الحرة، الطفلة، التي تعلم الزمان كيف يصير وتعلم الحياة كيف تكون الحياة.

هنا بيروت أم محمد.

هنا بيروت البحر، بحر يافا، بحر غزة.

هنا بيروت الرمل المعبأ في أكياس تقاتل.

هنا بيروت الغناء الشجاع، الدافىء.

هنا بيروت الثمر الناهض حتى السماء.

هنا بيروت الأحلام الأعلى من الأقمار الصناعية.

هنا بيروت الكرامة التي نحميها بالدم، والحرية التي نحميها بالدم.

هنا بيروت فلسطين، بيروت العرب، بيروت أمكم أم محمد، بيروت خبزها الساخن، وشايها الساخن، وكلامها الذي يقطر عسلاً.

هنا يبدأ الزمان.

●



بيروت تذهب إلى الحرب

زين العابدين فؤاد

■ بيروت تعتج شوارعها، تتأهب لعرس الحرب، فتيات في الأبيض، يحملن شارات هلال أو صليب أحمر، فتيان في الأخضر، يحملون مضادات وبنادق، الشوارع تكتسي ألواناً بنية وترابية، سواتر وخنادق، الشوارع المسلحة ترفع رايتها، البحر يخفي زرقته ويهديها للأطفال.

بيروت عاصمة تحارب، تضم المحاربين القادمين من كل أجزاء الوطن، الوطن الكبير، الذي توج بيروت عاصمة ونشيداً، تختلط اللهجات في كل موقع في بيروت، اللهجة اللبنانية تختلط بالفلسطينية والمصرية والعراقية والسورية. أفراد أتوا. سقطت تحت قذائفهم كل جوازات سفرهم الرسمية، واكتسبوا جواز سفر جديد، وجنسية جديدة هي جنسية المدافعين عن الوطن.

بيروت لا تخشى القصف العشوائي أو الموجه، لا تسقط تحت ضغط ولو اكتست كل الشوارع بلون الدم. فبيروت تتخضب للعرس، بيروت لا تخاف الحرب، بل تذهب إلى الحرب.

بيروت تعشق الأطفال والسحر وسهرات السبت والأحد، ولقاء الأصدقاء والأزياء الملونة، بيروت تعشق الحياة، ولكي تستمر الحياة كان لا بد من الحرب، والحرب معبر بيروت الوحيد إلى الحياة، لذلك تحارب بيروت الحصار يسقط، وبيروت أغنية مقاومة. بيروت، كأي أرض، لن يدافع عنها ويحميها، بيروت تعرف حماتها، تنهال القذائف من الجو والبر والبحر، وبيروت تصد كل الغزاة والقذائف وتتقدم واثقة نحو معركتنا المستمرة.

يبكون لانقاذها، يتباكون، تضحك بيروت تمشي في طريقها، يمكن أن تشاهدوها في زينتها الكاملة فبيروت تتزين وتتجمل لأنها ذاهبة إلى الحرب. ●

حبر من غير ورق ولا سطور

ياسين رفاعية

■ أمشي في شوارع بيروت العملاقة أتأمل تلك الوجوه النبيلة التي تعض على الجرح وتسمو بالصبر.

إنهم ينتهكون قدسيتها هنا وهناك، الأعداء والأصدقاء ويتصورون أنهم يسحبون البساط من تحت قدميها. لم يعرفوا أن بساط بيروت جذور الأرض التي تحملها.

لم أر في حياتي مدينة كبيروت حربها كبرياء وسلامها كبرياء. وبيروت عاشقة ومعشوقة، لأنها أرض خيرة وحنونة، ولأنها جذع الليل وغصن النهار. لا نستطيع أن نخون بيروت.

فهي التي آوتنا من جوع، وحمتنا من ضياع، وفتحت لنا صدرها العريض، كيف نتخلى عن بيروت وهي محاصرة. كيف نترك بيروت وحدها تموت، ولا معها نموت؟ كيف تستلم بيروت ونستسلم مع بيروت وهي التي علمتنا العنفوان والكبرياء ولقنتنا دروس الحرية.

بيروت كانت الكرم وكانت القصيدة وكانت الريشة والألوان. من أجل ذلك أحبها البسطاء من العرب وأحبها الكتّاب والفنانين والشعراء. الآن صوت المعركة في بيروت، رصاصة أفضل من ألف قصيدة. هذا هو الفرق بين الصدام والصراخ. لكن من حق بيروت أن يكون للكلمة في معركتها مكان. كلمة الشرفاء والشعراء كلمة الوعد والعهد أن نبقى لبيروت مثلما بقيت لنا ومعنا ونحن الذين اخترنا بيروت اختياراً من بين آلاف المدن، ولم تفرض علينا فرضاً بحكم الولادة والجنسية، جئنا إليها بكامل وعينا. لأنها جميلة ولأنها عظيمة ولأنها شريفة

الآن بيروت وراء المتراس. وفي فوهة البندقية فما أتعس الحبر الموجود لا يجد أرضاً غير الورق الأبيض. ولا يجد مدى إلا بين السطر والسطر.

.. ربما تلك هي فجيعتنا نحن الكتّاب والشعراء.

ستقول بيروت غداً لفرسانها ها أنذا بيروت. اقرأوا سطوري واستوعبوا كل ما حدث. أنا الحصان الجامح في البراري. أتوق القمم بين المدن الجريحة. ولن أقع تحت السنابك ولن أفرد قمصان السفر البيضاء فوق الصواري. ●



«أغنية حب»

جليل حيدر

كما الجوع أنت
كما الحب أنت
كما الأغنية
كما المرّاتب
وحفنة أسئلة في الطريق
تمرين زنبقة
أو حريق
أحبك بيروت بيروت
بيروت
يا وجعاً وصديق
واهتف: أنت
أحبك أنت
بصوتي
بموتي
أحبك ●

على بوابات بيروت

زين العابدين فؤاد

شمس السلاح طالعة
يا عروسة في المتراس
آدى بحرك القلعة
والموج هموم الناس
والريح خيول والعة
مطلوق لجامها حماس
والسرج شجرة توت
على بوابات بيروت

* * *

كل المدن جاية
من سكة الميناء
عايمين على المية
يا مدينة ياسمينة
آدى صور وآدى صيدا
بيفتحوا الوردة
والورد فاح في بيوت
على بوابات بيروت

* * *

يا قمرنا في الشياح
في الليلكي وصبرا
تطلع بألف جناح
ونطول السهرة
دا رصاص ودول شعرا
بيرسموك أفراح
ونموت نعيش ونموت
ولا حد غصب يفوت
من بوابات بيروت

خضر

رشاد أبو شاور

■خضر ولد صغير، خضر في الثامنة (ويدوبك) جميل، شعره ينسدل حول رأسه عيناه صافيتان، أنه أسمر وأبيض، بني فاتح، هادىء، يبتسم بحياء، أنه يذكرني بابني (الطيب)، ولو أن الطيب ولد (أونطجي) شويه، الطيب الشجاع الذي يذهب في منتصف الليل فيحضر لنا ما نريد، والذي يحكي لنا تفاصيل ماجرى معنا قبل سنوات، لكنه مع ذلك لا يحب المدرسة.

خضر ليس في المدرسة، رغم أنه في الثامنة، سألته: ليش يا خضر، أجاب: ما بعرف، خضر، يا ناس، لا يعرف لماذا هو ليس في المدرسة. قلت له سأحضر لك قصصاً حلوة، فيها صور ملونة، فأبتسم، وقال أنا ما بعرف اقرا، ليش، قال: أنا مش في المدرسة، خضر، اذن، ليس في المدرسة، وخضر الطفل اللطيف، المهذب، الذي يحضر الشاي والقهوة والماء للمقاتلين، والذي طيلة النهار في الشارع رغم القصف البري والبحري والجوي، ودويّ القصف. خضر، هذا، ابن (ناطور) البناية. وناطور البناية رجل هادىء، شعره شائب، وجهه حزين، وهو يتساءل بمرارة: لك، كيف هيك عم بيصير، كيف الناس بتنذبح والعرب بيتفرجوا.

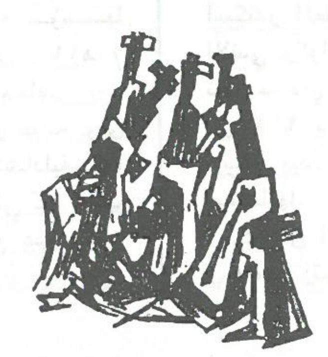
قلت له: يا أبو خضر، ليش ما بتعلم خضر، ابتسم قليلاً وهز كتفيه وقال: ما في مدارس، ما في فلوس للمدارس. بعدين خليه يطلع رجل. ما بدي أياه يتعلم. خضر الطفل الذكي الوسيم، ابن هذا الرجل الطيب الذي يقدم كل شيء لمن حوله لا يجد مدرسة، فيا ترى هل الغرباء، هم سبب عدم دخول خضر في المدرسة، وهل الغرباء هم سبب نوم أسر (النواطير) في (بيوت الدرج)، وهل الغرباء يا خضر هم سبب فقر الجنوبيين، وهل (الغرباء) يا خضر هم الذين يقصفون بيروت من البر والبحر والجو؟

تعال يا خضر معنا. فهذا مكانك لأننا جميعاً غرباء في أوطاننا. وإلى أن يصبح الوطن وطناً. ويتحرك الدم العربي وينتفض ويقاتل.. سيظل كثيرون مثلك بلا مدارس. لكنهم، من مدرسة الحياة، سيتعلمون. وسيعرفون من حرمهم القراءة. ومن سرق عرق آبائهم، ومن أحضر الصهاينة لقتلهم وتدمير طفولتهم.

يا خضر، سيأتي (الخضر)، يركب فرساً خضراء، وبيده رمح، وسيقتل التنين، ويطهر الأرض، ويعطي للانسان بيتاً وكرماً وللأطفال أقلاماً ودفاتر.

ويا خضر هذا الفارس هو. الذي تقدم له، اليوم، وسط الحصار، شربة الماء. وكوب الشاي.

ملاحظة: قلت لرفيقي التونسي بأنني كتبت زاوية اليوم عن خضر، فقال لي: هذا الطفل ادهشني أنه يلاحقني طيلة النهار، يريد أن يتعلم كيف يقاتل بالكلاشنكوف. وعندما قلت له. أعلمك القراءة. قال لي بعدين. ●



بيروت من خلال رحلة عبد الغني النابلسي

د. ميشال جحا

نسبه:

من هو النابلسي؟ هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي. ولد يوم الأحد رابع ذي الحجة عام ١٠٥٠هـ / ٧ آذار (مارس) ١٦٤١م، في دمشق في عائلة عرفت بإنجاب عدد من العلماء والأدباء المرموقين. كانت عائلته تعرف بـ «بنو جماعة» من بيت المقدس ثم سكن جده إبراهيم في نابلس فعرفوا بآل النابلسي.

وكان جده الأكبر إسماعيل قد عيّن أستاذاً للمسجد الذي بناه درويش باشا الوالي العثماني على دمشق ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م والذي عرف بجامع الدرويشية، وكان على المذهب الشافعي. فأصبح ذلك تقليداً للعائلة.

انصرف النابلسي إلى طلب العلم والأدب فدرس علوم اللغة والفقه والحديث والتفسير ومارس نظم الشعر وكان ذلك وفقاً للعادة المتبعة في عائلته، ثم اقبل على دراسة كتب المتصوفة وخاصة ابن عربي وعفيف الدين التلمساني ومن ثم انضم إلى الطريقة النقشبندية وإلى القادرية، وقد سلك طريقة القادرية على يد عبد الرزاق الجيلاني، أحد خلفاء مؤسسها عبد القادر الجيلاني. وفي العام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م زار النابلسي قبر شيخه في حماه.

وبقي النابلسي وفياً للقادرية طوال حياته. وإلى جانب ذلك كانت له علاقة وثيقة بالشاذلية. كما عبّر عن احترامه للطريقة المولوية التي كان أهلها يتمتعون في أواسط القرن السابع عشر بوزن سياسي في الدولة العثمانية.

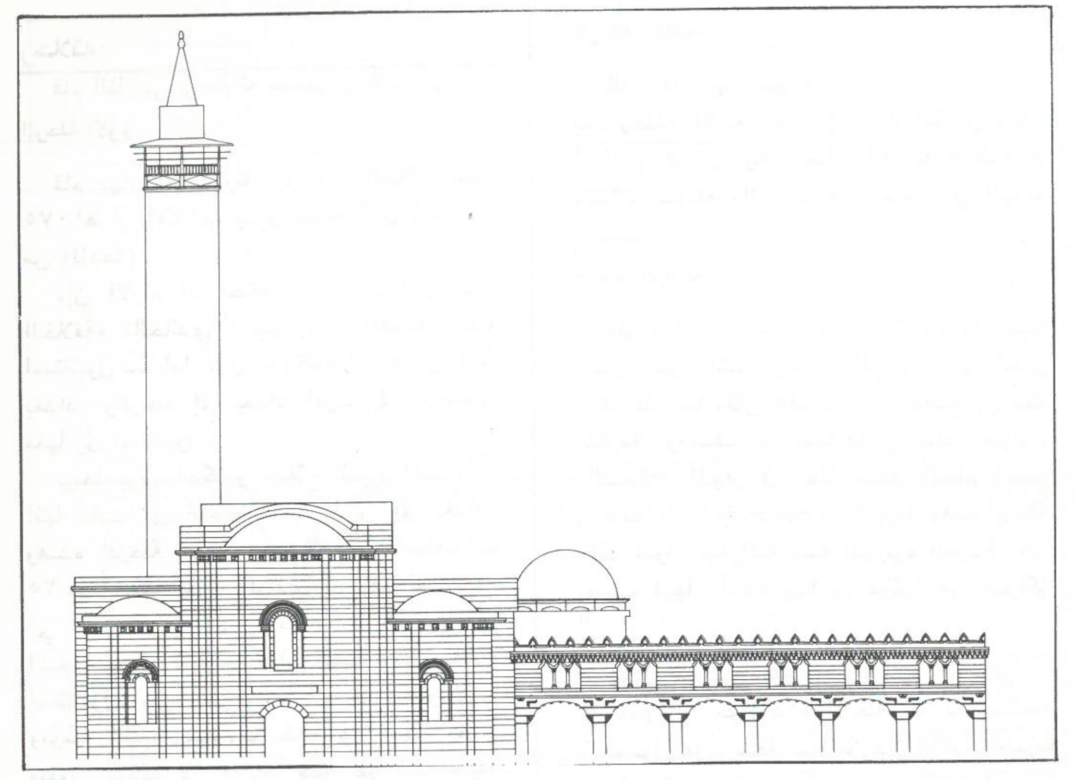
ولما بلغ العشرين من عمره بدأ في إلقاء الدروس في الجامع الأموي بدمشق. وفي الخامسة والعشرين قام بأول رحلة قادته إلى دار الخلافة. ثم تعاقبت رحلاته التي كان يقوم بها لزيارة قبور العلماء والأولياء الصالحين. وكان مسكنه في دمشق بالقرب من الجامع الأموي وتوفي فيها في الخامس من شعبان ١١٤٣هـ / ٥ آذار (مارس) ١٧٣١م عن عمر يناهز التسعين ودفن في الصالحية بجانب ابن عربي. وقد ذكر أن المدينة اهتزت لوفاته إلى درجة أن أوابها أغلقت يوم جنازته.

وهو يعدّ من أبرز الوجوه الصوفية التي عاشت في بلاد الشام في تلك الحقبة، أي في القرن الثاني عشر الهجري / السابع عشر والثامن عشر الميلادي.

مصادر دراسته:

يوجد عدد من المخطوطات التي تناولت حياة النابلسي وسيرته. أغلبها من وضع تلاميذه. أهمها المخطوطة التي وضعها السيد محمد كمال الدين أفندي الغزي العامري (١٢١٤هـ / ١٧٩٩م). توجد نسخة منها في مكتبة يافت في الجامعة الأميركية في بيروت مشتراة من عيسى اسكندر المعلوف سنة ١٩٠٣. واسمها: «الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي». مؤلفة من ٢١١ صفحة مكتوبة بخط جميل وحالتها جيدة بيد أن السوس قد بدأ ينخر بعض صفحاتها.

كما أن الدكتور صلاح الدين المنجد[1] يذكر في هامش رقم ٥ (ص ٤) أن هناك مخطوطة ثانية



□ الجامع العمري الكبير ــ الواجهة الشرقية.

منها بدار الكتب المصرية رقم ٧١٦١م. بالإضافة إلى مصادر عديدة أتت على ذكره وترجمت له.

كان النابلسي كاتباً وشاعراً غزير الإنتاج، فقد ترك عدا عن ديوان ضخم، عدداً كبيراً من المؤلفات تتناول مواضيع الدين والتصوف والأدب وأدب الرحلة بلغت كما يذكر بروكلمان، مئة وخمسين كتاباً. وأوصلها الخالدي إلى المائتين والخمسين كتاباً. بينما يقول الغزّي صاحب الورد الأنسي الذي مرّ ذكره أن عدد مؤلفاته بلغ ثلاثمائة مؤلف بل أكثر من ذلك، ولكنه يعدد منها مائة وثمانين.

يقول لنا صلاح الدين المنجد[2]:

«هناك قوائم مختلفة سردت فيها أسماء مؤلفاته، كتبت فيما يبدو، في فترات متباعدة، لذلك اختلف عدد المؤلفات فيها.

وقد حاولنا أن نجمع من المصادر المختلفة قائمة واحدة لجميع مؤلفاته. معتمدين على الورد الأنسي، وإجازة النابلسي للكزبري، وسلك الدرر للمرادي وبروكلمان، وما وقع لنا من مخطوطات مؤلفاته، ورتبناها على حروف المعجم وسننشرها على حدة إن شاء الله».

ويحتل التصوف من مؤلفاته المكان الأول، وشهرته فيه تفوق شهرته في العلوم الأخرى. ومن التصوف اهتم النابلسي خاصة بمذهب «وحدة الوجود» الذي أخذه عن محيي الدين بن عربي، وألّف فيه، ودافع عنه، وشرح المقصود منه. فهو باعث هذا المذهب ومجدده.

أما الفنون الأخرى التي ألّف فيها فهي التفسير، والفقه، والعقائد، والمنطق، والقراءات، والأدب، وتعبير الرؤيا، وعلم الفلاحة، إلى جانب مشكلات كثيرة من مشكلات عصره بيّن رأيه فيها، كشرب الدخان مثلاً، وكان النابلسي ينظم الشعر وترك لنا أربعة دواوين شعرية، وكذلك اهتم بالرحلات، وترك لنا أربع رحلات.

رحلاته:

قام النابلسي في حياته بخمس رحلات هي:

الرحلة الأولى:

قام بها، كما ذكرنا، إلى دار الخلافة سنة ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م، يذكر بوسّه[٣] في (ص ١٥ من المقدمة):

«إن الآراء قد اختلفت حول مدلول «دار الخلافة» فالخالدي[٤] يرى أن المقصود بها استانبول ــ أما كارل بروكلمان[٥] فيرى أنها بغداد. والرحلة إلى بغداد أقرب إلى الاحتمال منها إلى استانبول».

بينما يرى الدكتور صلاح الدين المنجد[٦] أنها كانت إلى القسطنطينية وليس إلى بغداد. وهذه الرحلة لم تدم طويلاً فقد استغرقت ٢٥ يوماً. كما يقول المرادي[٧]. وهو لم يضع أي كتاب في وصف رحلته هذه. ثم يستطرد المنجد حول تفسير «دار الخلافة» بأنها استانبول، ويرد على بروكلمان وكراتشكوفسكي وبوسّه اللذين فسروها خطأ على أنها بغداد فيقول: «وذلك لأن هولاكو قضى على آخر خليفة عباسي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، عندما هاجم بغداد. ومنذ ذلك الحين لا نجد أحداً من المؤرخين يسمّي بغداد «دار الخلافة»، لأن الخلافة انتقلت منها إلى القاهرة في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م، وصارت مظهراً دينياً اسميّاً لا عمل لها في شؤون الدولة.

ثم لما فتح السلطان سليم العثماني مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م اجتمع بآخر خلفاء بني العباس محمد المتوكل على الله، الذي يقال إنه تنازل (أو أجبر على التنازل) عن الخلافة إلى السلطان سليم. وهكذا انتقلت الخلافة من بني العباس إلى آل عثمان وصارت استانبول دار الخلافة».

الرحلة الثانية:

التي قام بها سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م وقادته إلى سهل البقاع وجبل لبنان وهو في الخمسين من عمره وقد جمع أخبارها في كتاب سماه «رحلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز»[٨].

الرحلة الثالثة:

التي قام بها سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م، أي بعد رحلته الثانية بسنة، إلى بيت المقدس وبلدة إبراهيم الخليل وقد وصف لنا رحلته هذه في كتاب سمّاه «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»[٩].

الرحلة الرابعة:

قام بها سنة ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م زار فيها بعض مدن الشام ومصر والحجاز وهي أطول رحلة قام بها وكان القصد منها الحج إلى مكة المكرمة. ووصف لنا أخبارها في كتاب عنوانه: «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»[١٠] وقد دامت ٣٨٨ يوماً، وهذه الرحلة هامّة لمعرفة جغرافية شبه الجزيرة العربية. كما وصف فيها واحداً وثلاثين مركزاً من مراكز الحج المصري.

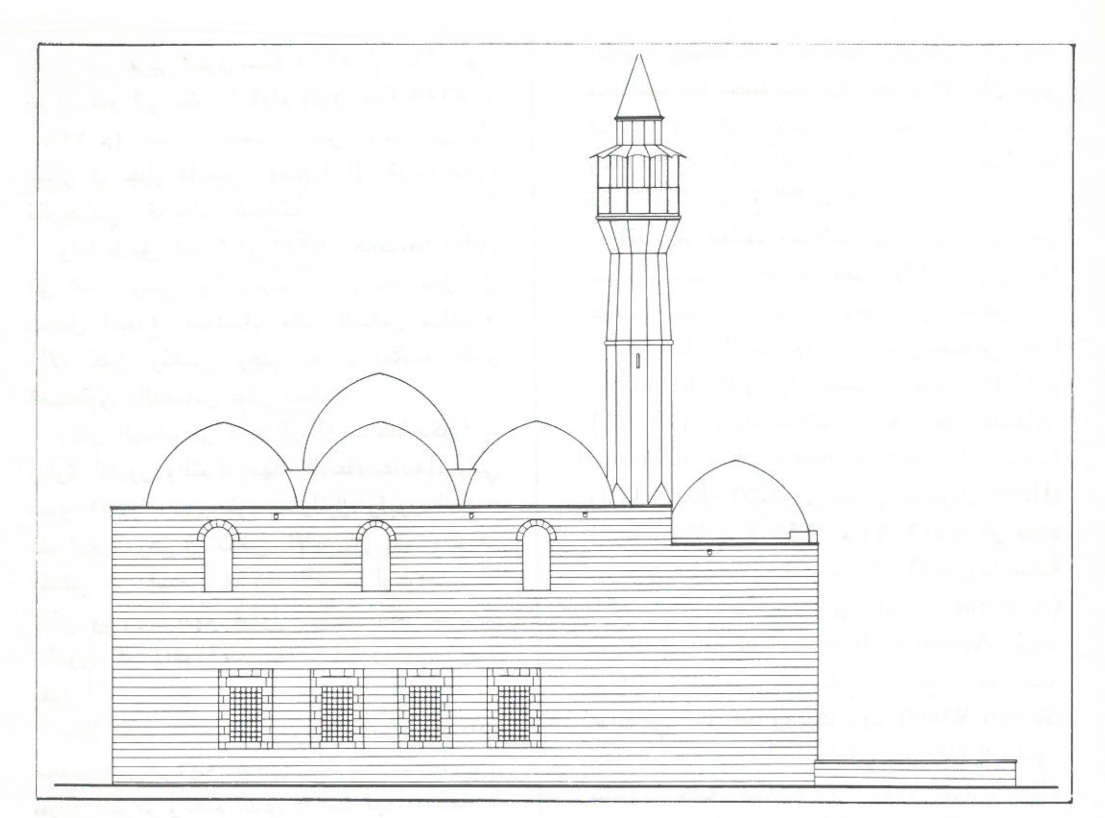
يقول الدكتور عمر عبد السلام التدمري[١١] في مقال له حول هذه الرحلة إنه لم يستطع الحصول على نسخة منها من دار الكتب المصرية لأنها مفقودة. ونحن سنعتمد على مقالين في مجلة «تاريخ العرب والعالم».

الرحلة الخامسة:

قام بها سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠ م وهو في الثانية والستين من عمره. ووصف لنا أخبارها في كتاب سماه «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية» التي حققها وقدّم لها المستشرق الألماني الأستاذ الدكتور هربرت بوسه Prof. Dr. Heribert Busse الأستاذ في جامعة كيل Kiel بألمانيا الاتحادية والتي سوف نتناولها في بحثنا لأنها كانت في لبنان. وهي آخر رحلة له.

لم يلق كتابه هذا اهتماماً كبيراً في المشرق العربي ولم يصلنا منه سوى ثلاث مخطوطات، وان السبب في عدم الاهتمام به يعود إلى أن لبنان ليس من مراكز الزيارات الاسلامية القديمة كالقدس والديار المقدسة في الجزيرة العربية.

والسبب الثاني هو أنه قد سبقه كتابان حول هذا الموضوع هما «المنازل الأنسية في الرحلة الطرابلسية» للحسن البوريني الدمشقي المتوفى في عام ١٠٢٤هـ / ١٦١٥ م. وكتاب «الرحلة إلى



□ جامع الأمير منصور عساف ــ الواجهة الشرقية.

طرابلس الشام» لرمضان بن موسى العطيفي المتوفى عام ١٠٩٥هـ / ١٦٨٤. وهي الرحلة التي حققها المستشرق الألماني الأستاذ الدكتور اسطفان فيلد Prof. Dr. Stefan Wild أستاذ الدراسات العربية والاسلامية في جامعة بون والتي نشرت تحت عنوان «رحلتان إلى لبنان» مع رحلة النابلسي «حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز» التي حققها الدكتور صلاح الدين المنجد كما ذكرنا.

مهنة النابلسي:

التدريس والتأليف، عمل عبد الغني النابلسي في التدريس وكان يدرّس في الجامع الأموي في الشام وفي المدرسة السلمية في صالحية دمشق. وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب من مناطق مختلفة يذكر لنا المنجد (ص ١٩ ــ ٢٤) ١٤٣ طالباً منهم من دمشق وحلب والكفير والبقاع (من قرية جب جنين) وبيروت وصيدا والكورة حيث ورد اسم أحد طلابه وهو مسيحي اسمه الياس بن إبراهيم الكوراني وكذلك من البترون وسواها.

رحلاته إلى لبنان:

الرحلة الأولى: إلى بعلبك والبقاع

أما الهدف من رحلته هذه ــ كما هو في سائر رحلاته ــ فهو يخبرنا عنه بنفسه فيقول إنه أراد الذهاب إلى بعلبك والبقاع العزيز من أجل زيارة قبور الأولياء والصالحين ورؤية الأصحاب.

وكان في رفقته في رحلته هذه جماعة من الكرام وذوي الشهامة يذكر لنا أسماء بعضهم في سياق وقائع الرحلة.

بدأت الرحلة من دمشق قبل طلوع الفجر من يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذي القعدة ١١٠٠هـ / ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٦٨٩ م. فبدأ بزيارة رأس النبي يحيى في الجامع الأموي بدمشق ثم توجه ومن معه، إلى باب البريد ليركبوا الخيل إلى الصالحية لزيارة قبر محيي

الدين بن عربي (توفي سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠ م). ثم إلى قبر أبي بكر بن قوام (توفي سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠ م). فمزار محمد الزعبي. ومنه إلى قبّة سيّار في جبل قاسيون ومنها إلى قرية دمّر، فالزبداني.. فالكرك.. فبعلبك..

وأما طريق العودة إلى دمشق فكانت من بعلبك إلى تمنين ونبي أيلا وكرك نوح وسعد نايل إلى سهل البقاع، فتعلبايا فقب الياس فالمرج والاسطبل وكفريا وجب جنين وكامد اللوز فميسلون والديماس حتى دمشق.

وكان الهدف من هذه الرحلة ــ كما ذكرنا ــ زيارة القبور والتبرك بها والدعاء عندها. وهي قبور الأنبياء من بني إسرائيل وقبور العلماء المسلمين، وهو في بعض الأحيان يقف موقف المدقق من أسماء هؤلاء الأنبياء أو رافض لما يذكر ويروى عنهم فيقول: والله أعلم بحقائق الأمور. أو والله أعلم بما كان ويكون. وهو يقول:[١٢]

«فلا قطع بتعيين قبر نبيّ أصلاً، إلا قبر نبينا محمد (ص)، فإنه مدفون بالمدينة المنورة، على طريق التواتر والعلم الذي لا شك فيه، استفاضة ونقلاً، فالزائر لقبر نبيّ من الأنبياء عليهم السلام محصّل للبركة، بالاستكمال، على حسب صدق نيته في الزيارة».

يضيف صلاح الدين المنجد (رحلتان إلى لبنان ص ٣٤). إنه يبني كلامه هذا على ما قاله الهروي في أن أكثر قبور الأنبياء قد اندرست وطمست لتقادم العهد وتغيّر الزمان.

وقد وصف لنا في رحلته هذه بعض المدن التي زارها مما أعطى رحلته قيمة تاريخية. فقد حاول ضبط أسماء كثيرة من القرى والمدن التي مرّ بها مستشهداً أحياناً بما ورد في كتب اللغة أو ما ذكره الجغرافيون عنها. ولقد تنبّه إلى أن أسماء بعضها تحرّفها العامة. كما يروي أحياناً أخرى أشعاراً قيلت في وصفها أو أنه ينظم هو شعراً في ذلك. كما يفعل في وصف قلعة بعلبك ورأس العين فيها وقلعة الأمير فخر الدين في قب الياس.

وإن أهميته تكمن في أنه يصف قلعة بعلبك بشيء من التفصيل لم يفقه فيه ممن سبقه ممن وصفوها من الرحالات العرب، فهو يتحدث عن ابوابها وساحاتها وأعمدتها وهياكلها وأبراجها وسلالها وما يحيط بها، وفي بعض الأحيان يذكر قياس الأحجار والأعمدة وارتفاعها وحجمها وعددها وما الى ذلك. كما يورد أخبارها كما ذكرت في المراجع التاريخية.

لقد زار بعلبك رحّالات أوروبيون منهم من سبقه ومنهم من جاء من بعده. ولكنهم لم يطلعوا على ما وضعه في وصفها. ومن الذين سبقوه:

الرحالة الفرنسي دي مونكوني (De Moncony) الذي زار بعلبك عام ١٦٤٧ م (١٠٧٦هـ) وترك ملاحظاته تحت عنوان: (Voyages de monsieur de Monocony). كما زارها الرّحالة الانكليزي هنري موندريل (Henry Maundrell) سنة ١٦٩٧ م (١١٠٩هـ)، أي بعده بسنوات، ونشر وصفه لها في أكسفورد سنة ١٧٤٠ م تحت عنوان: (A journey from Aleppo to Jerusalem at Easter 1697). وبعد حوالى نصف قرن من ذلك التاريخ زارها رحّالة بريطاني آخر هو روبرت وود (Robert Wood) سنة ١٧٥١ م (١١٦٦هـ) أي بعد وفاة النابلسي. نشرت رحلته عام ١٧٥٧ تحت عنوان: (The Ruins of Balbec. Otherwise Heliopolis in Coelesyria, London 1757).

وفي عام ١٩٠٠م (١٣١٨هـ) جاء إلى بعلبك العالم الأثري الالماني تيودور ويغاند (Theodor Wiegand) على رأس بعثة أثرية ألمانية دامت أعمالها أربع سنوات وقد نشرت نتائج الحفريات التي قام بها عام ١٩٢١ في برلين وليبزيغ (Theodor Wiegand; Baalbek, Berlin Liepzig 1921, vol 1, p -12). وفي عام ١٩٥٣ جاءت بعثة أرسلتها منظمة اليونيسكو إلى بعلبك كانت مؤلفة من الأمير موريس شهاب وبول كولار (Paul Collart) وأرمند ديلون (Armando Dillon) وضعت تقريرها عام ١٩٥٤ تحت عنوان:

(Livan, Aménagement de la ville de Tripoli et du site de Baalbek. Musées et Monuments VI, Unesco).

وقد أشار التقرير إلى ما كتبه الرّحالات الأجانب ولكنه لم يأت على ذكر ما كتبه الرحالة النابلسي.

□ جامع الأمير منذر التنوخي ــ الواجهة الشرقية.

أما ما تركه لنا عن وصف قلعة الأمير فخر الدين الثاني في قب الياس فهو أمر تفرّد به لأن من أرّخ للأمير المعني الذي قتل سنة ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣ م، أمثال الخالدي والمحبي والشدياق والمعلوف والبوريني لم يذكروا شيئاً عنها.

وما يظهر لنا من رحلته هو النفوذ الإسلامي في لبنان في القرن الثاني عشر الهجري / القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وشدة تمسك المسلمين بزيارة المزارات الدينية.

أسلوبه في هذه الرحلة، هو أسلوبه في سائر رحلاته، يميل إلى السجع أحياناً وهو الأسلوب الذي كان شائعاً في عصره. كما أنه يكثر من الشعر ويمزج الجد بالهزل في بعض الأحيان.

الرحلة الثانية:
التي يشمل قسم منها لبنان بدءاً من شماله وحتى جنوبه. وقد أمضى منها ٢٤ يوماً في لبنان.

الرحلة الثالثة:
إلى طرابلس الشام واسمها «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية»[١٣] وهي آخر رحلة قام بها النابلسي وأطول رحلة قام بها إلى لبنان. وبدأها انطلاقاً من دمشق في ٢٢ ربيع الأول ١٠١٢هـ ــ ٦ أيلول (سبتمبر) ١٧٠٠م، وقد استغرقت ٤١ يوماً قضى ١٥ يوماً منها في طرابلس التي وصلها عن طريق صيدا الساحلية وعاد إلى دمشق عن طريق بعلبك عبر سلسلة جبال لبنان.

أسلوب النابلسي

كتب النابلسي أخبار رحلته بأسلوبه المسجوع كعادته وذلك مجاراة لذوق عصره، وقد ضمنها مقطوعات شعرية بلغت المئة، ٤٨ منها من نظمه وقسم من نظم تلميذه ورفيقه في السفر «ابن عبد الرزاق». والباقي اقتباس عن شعراء بعضهم مشهور أمثال أبي نواس والمتنبي وبعضهم مجهولون.

ومهما يكن من أمر، فإن أسلوب الكاتب ما هو سوى دليل على مستوى الأسلوب الأدبي في القرن السابع عشر. والكتاب يمكن أن يعتبر من باب «الأدبي» أو «المذكرات اليومية» أكثر مما يمكن اعتباره من كتب الجغرافية والرحلات. وهو في الغالب لا يهتم إلا في وصف المدن فيعدد الجوامع والمساجد والزوايا والحمامات وأحياناً أبواب المدينة ويذكر العلماء ورجال الدين والمتصوفين ويذكر مذكراته ومساجلاته معهم وخاصة في بعض الأمور الفقهية، أو الأدبية، وهم من أصحاب المراكز كالقضاة ورجال الافتاء وأئمة المساجد وبعض رجال الدولة. ولا يهتم بالحياة الاقتصادية ولا بحياة عامة الناس ولا يأتي على ذكر النساء مطلقاً.

يقول بوسّه (ص ٣٦):

«وبالرغم من اقتصار النابلسي على ذلك فإن أخباره تعتبر مصدراً هاماً لمعرفة الاسلام في لبنان ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر». ثم يقارن (ص ٢٧) بين النابلسي والرحالة البريطاني(Henry ,Maundrell) الذي مرّ ذكره والذي قام برحلته من حلب إلى القدس سنة ١٦٩٧، أي في ذات الفترة التي قام بها النابلسي برحلته.

طريق الرحلة:

بدأت الرحلة يوم الاثنين في ٢٢ ربيع الأول ١٠١٢هـ / ٦ أيلول (سبتمبر) ١٧٠٠ م كما ذكرنا. فقد غادر دمشق إلى داريا متوجهاً إلى راشيا ومنها قاطعاً نهر اللاطاني (الليطاني) إلى مشغرة، وعبر طريق جبلية وعرة، وصل إلى صيدا، وهي الطريق الرئيسية بين صيدا ودمشق يوم ذاك. أمضى النابلسي في صيدا أكثر من أسبوع ثم غادرها إلى بيروت. ولكنه بدلاً من أن يتبع الطريق الساحلية، سار في طريق جبلية، في جبل الشوف، عبر عانوت حيث بات ليلته ومنها إلى دير القمر. ثم توجه ساحلاً نحو الدامور إلى بيروت حيث مكث يومين ــ مما يدل على أن بيروت في ذلك الحين لم تكن لها أهمية أدبية أو دينية مثل طرابلس أو صيدا ــ ومن بيروت أخذ الطريق الساحلية عبر جبيل والبترون والقلمون إلى طرابلس هدف الرحلة، في طرابلس مكث اسبوعين وعاد بعدها إلى دمشق عبر سلسلة جبال لبنان: اهدن ــ الأرز ــ فسهل البقاع ــ فبعلبك حيث مكث يومين ثم غادرها إلى الكرك فدمشق.

وهو يبلغنا أن الهدف من رحلته هذه هو زيارة الأصدقاء والخلان من أتباع طريقته الصوفية وزيارة القبور المقدسة والتبرك بها وكذلك تلبية دعوة ارسلان محمد باشا الوالي العثماني في طرابلس له. وهو يفيدنا بأن والي طرابلس قد رحّب به وأكرم وفادته بأن أرسل جماعة من رجاله لاستقباله في بيت فخم.

وفيما يلي نذكر ما ورد في رحلته عن بيروت ومشاهداته فيها، وذكره للشخصيات التي اجتمع بها ولبّى دعوتها، وكذلك المواقع والزوايا والحمامات التي زارها فيها.

بيروت

«وصلنا إلى مدينة بيروت وقت العصر، وزال عنا ما كنا قد لقيناه من التعب والحصر. ونزلنا في سراية حاكم البلدة وأميرها.. ولله هي من سراية رفيعة البنيان، مشيدة الأركان، بها أماكن كثيرة، ومياه غزيرة. وبها بركة ماء طولها ثلاثون ذراعاً، وعرضها عشرة أذرع بذراع الكرباس المعروف بين الناس. وفي خارج السراية أماكن متعددة مبنية كلها بالأحجار، تفوق بهجتها سنا الأقمار. وكل مكان منها مقدار هذه السراية. وهي الآن مهجورة ما عدا هذه السراية فإنها بالسكن معمورة، وأرجاؤها مشرقة بالحسن والبهاء. فلذا حاكم البلدة اختار السكن بها. وقد أخبرنا بأن هذه السراية عمارة الأمير عساف، والأماكن التي خارجها جميعاً قد عمرها بعده الأمير فخر الدين بن معن، وجعل بعضها لأجل العساكر والعدد، وبعضها لأجل الوحوش، فإنه كان عنده أنواع الوحوش كالفهد والنمر والأسد، كما هو مشهور عند أهل البلدة والجمهور.

«وقد رأينا في بلدة بيروت المحمية زوايا كثيرة، وجوامع، وحمامات. فلا بأس بذكر محاسنها السنية.

فمن الزوايا:

١ ــ زاوية مشرقة الأنوار تسمى بزاوية ابن القصار وهي نيرة، مرتفعة البنيان. يجتمع

فيها الحفاظ ما بين العشائين يتدارسون القرآن.

٢ ــ زاوية ابن الأحمر. يقام فيها الذكر والأوراد، وهي متسعة، بها ايوان به محراب كبير. وفيها بركة ماء بجانبها بئر يستخرج منه ماء غزير، ويصب في تلك البركة.

والجوامع التي بها أربعة:

الأول: الجامع الكبير، وهو يشتمل على اثنتي عشرة عضاضة، كل عضاضة يحوطها رجال وهي عظيمة العمارة. يقال انه كان في الأصل كنيسة. وفي جانبه بركة ماء طويلة كبيرة. وله بابان عظيمان بقسي عجيبه، كل منهما مقابل الآخر. ومقابل الباب الواحد زاوية ابن الأحمر المتقدم ذكرها.

الثاني: جامع الأمير منذر. وهو جامع عظيم البنيان، فيه منبر من الرخام الأبيض. وتكوينه عجيب، حيث سدة على يمين المحراب، وسدة أخرى على شماله، على اسلوب جامع السنانية بدمشق المحمية. يصعد إلى السدة التي على يمين المحراب من درج المنارة، والتي على شماله يصعد إليها من سدة أخرى في فناء الجامع. لها درج من خشب. وأمام المحراب فوق الباب الذي في داخل الجامع سدة ثالثة صغيرة أخفض من السدتين المذكورتين. وليس لها مصعد، بل يتوصل إليها من السدتين بدرجتين من الرخام الأبيض أحدهما على يمين المحراب، متصل بالسدة التي على اليسار. وفي فناء هذا الجامع بركة ماء عظيمة مثمنة. وفي دائر هذا الجامع رواقات بأقبية على عواميد عالية عظيمة.

الثالث: جامع الأمير عساف، وهو الذي عمر السراية المتقدم ذكرها. وبناؤه من العجائب. وهو مبنى على أربعة عواميد، وفوق ذلك قبة عظيمة، يحوط بها أربع قبب، وأربع اقبوة، كل ذلك مركب فوق هذه الأربع عواميد. وفي فناء هذا الجامع بركة ماء غزيرة. وله أيضاً بابان. وهو أصغر من الجامع الكبير بيسير، ويجتمع فيه اناس من الحفظة ما بين العشائين، يتلون القرآن ويتعبدون.

الرابع: جامع البحر. ويسمى جامع العمري لأنه كما هو مشهور عندهم من زمان عمر بن الخطاب. وهو أصغر من الجوامع التي في بيروت، وهو مرتفع، مطل على البحر، يصعد إلى فنائه بسلم حجر نحو خمس عشرة درجة، ثم يصعد إليه بدرج آخر ثماني درجات. وهذه الجوامع الأربعة كلها بمنابر تقام فيها الجمعة.

«وأما حمامات بيروت فأربعة:

الأول: حمام الأمير فخر الدين بن معن.

الثاني: حمام القيشاني.

الثالث: حمام الأوزاعي.

الرابع: حمام قديم لا يعرف له اسم.

وكلها مهجورة، ما عدا حمام الأمير فخر الدين. وسبب ذلك الظلم من الحكام. فإن هذا الحمام للميرة، يؤجره الحاكم في كل سنة هو وقهوة هناك بألف قرش ومائتي قرش. وهذا الحمام هو المستعمل الآن ــ الذي هو حمام فخر الدين ــ مبلط بالرخام الملون، ويشتمل على شاذروان في داخله. يحوط بجوانبه الأربعة أربعة ايوانات، كل ايوان بقبو وقوس. وفي مشلحه بركة ماء مثمنة، ويشتمل على قبة مرتفعة على أربعة عواميد. يحوط بتلك القبة أربع أقبوة على أسلوب جامع الأمير عساف المتقدم ذكره غير أن الجامع يزيد عليه بالقبب.

الحواشي

(١) رحلتان إلى لبنان، تحقيق صلاح الدين المنجد واسطفان فيلد، بيروت ١٩٧٩ (من سلسلة نصوص ودراسات يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت) رقم ٢١.

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٦ ــ ٢٧).

(٣) هريبرت بوسّه، «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية» بيروت ١٩٧١، (نصوص ودراسات سلسلة يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت) رقم ٤.

(٤) Encyclopedia of Islam 2nd ed Vol. 1

(٥) Carl Brockelmann Vol. II p. 345.

(٦) رحلتان إلى لبنان (ص ١٣).

(٧) محمد خليل المرادي، سلك الدرر ٣/٣٢.

(٨) وهي الرحلة الأولى من كتاب رحلتان إلى لبنان الذي مر ذكره.

(٩) طبعة القاهرة، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢ م.

(١٠) طبعت في دمشق سنة ١٢٩٩هـ، ثم القاهرة ١٣٢٤هـ.

(١١) مجلة تاريخ العرب والعالم الاعداد ٩٧ ــ ٩٨، أيلول / كانون الأول ١٩٨٦. والعددان ٩٩ ــ ١٠٠، كانون الثاني / شباط ١٩٨٧.

(١٢) رحلتان إلى لبنان (ص ٦٨ ــ ٦٩).

(١٣) انظر هامش رقم (٣).

مرفأ بيروت والأسواق التجارية في العهد العثماني

د. حسان حلاق

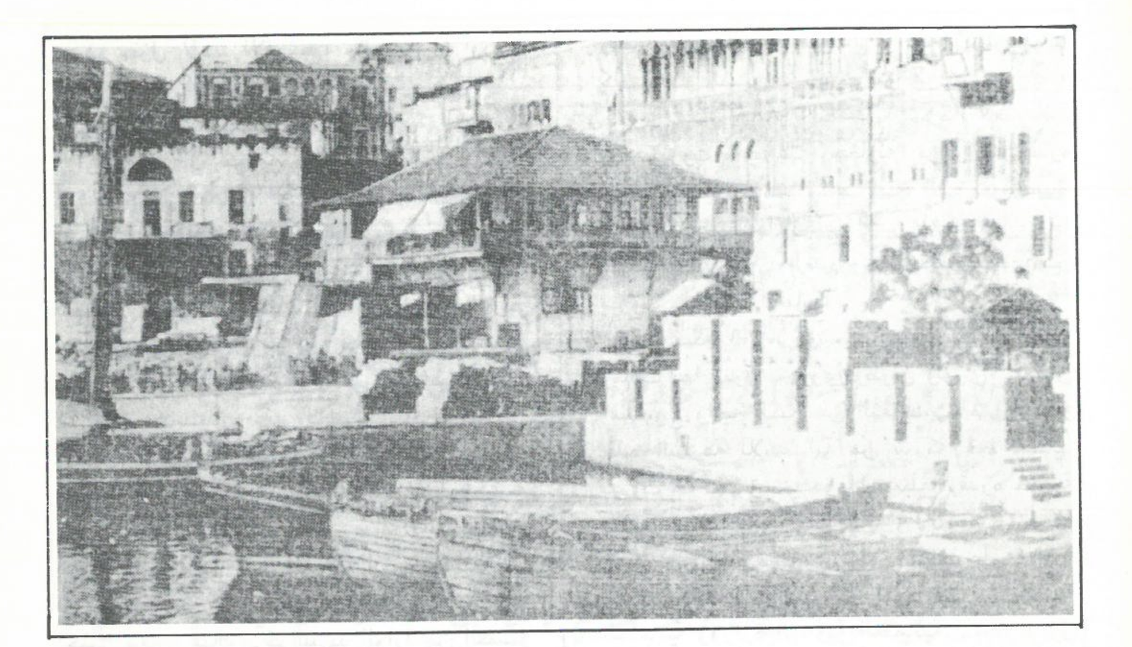
تميزت بيروت منذ العهد القديم بموقعها التجاري الهام بسبب مينائها. وقد عرفت بمينائها منذ العهد الفينيقي، ثم شهدت بيروت تطوراً ملحوظاً في عهد الحكم العربي الاسلامي، وبات ميناؤها مركزاً لصناعة السفن الاسلامية لا سيما في عهد معاوية بن أبي سفيان. ويذكر صالح بن يحيى في «تاريخ بيروت» «بأن بيروت دار صناعة دمشق وبها عمّر معاوية المراكب وجهز فيهم الجيش إلى قبرص ومعهم أم حرام...».

كان مرفأ بيروت من المراكز الاستراتيجية الهامة في بلاد الشام، ومن يستولي عليه كان يستطيع التقدم نحو المدينة، لأن أكثر العمليات العسكرية كانت تنفذ بواسطة البحر، وبعضها الآخر بواسطة البر. ولهذا عمد الافرنج في العصور الوسطى بعد سيطرتهم على بيروت ومدن الساحل، على الاهتمام بتحصين مرفأ بيروت بهدف الدفاع عن المدينة ضد المسلمين.

ولما حرر المسلمون بيروت ومدن الشام من الافرنج، حرص الأمير بيدمر الخوارزمي (المتوفى ١٣٨٧ م) على الاهتمام بمرفأ بيروت وتطويره، لا سيما وانه أمر باستخدامه لصناعة السفن الحربية، فأمر بقطع الأخشاب من حرج بيروت لصنع الشواني والسفن.

ولما سيطر العثمانيون على بيروت وبلاد الشام عام ١٥١٦ م، شعروا بأهمية مرفأ بيروت، كما شعرت الدول الأوروبية بأهمية هذا المرفأ سواء على الصعيد الاقتصادي أم على الصعيد الاستراتيجي، ولهذا بدأت أهمية بيروت كمدينة ناشئة تظهر بوضوح وبدأت بمنافسة بعض المدن الشامية. وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأت بيروت تحتل مكانة اقتصادية بارزة، وهذا ما دفع بالتجار الأجانب لا سيما الفرنسيين المقيمين في صيدا في خان الافرنج، الكتابة إلى حكومتهم في عام ١٧٥٣ م، طالبوها إرسال بعض التجار والصناع إلى بيروت وجوارها من بين الذين يفهمون في غزل القطن لتوجيه الصناعة والتجارة بأسلوب مناسب.

وكانت منازل الأجانب وبعض قناصل الدول الأجنبية، تقع في الجهة الجنوبية من ميناء بيروت. كما تركزت الكثير من الخانات (الفنادق) قرب المرفأ أو بمحاذاته، وذلك لإقامة التجار والوافدين من خارج بيروت. من بين هذه



□ منطقة مينائي الخشب والقمح في مرفأ بيروت، ويظهر فيها جامع المجيدية وخان أنطون بك ومقهى المرفأ المبني من طابقين من الخشب.

الخانات ـ الفنادق:

ـ خان انطون بك، الذي أقيم في غربي مرفأ بيروت حيث ميناء القمح.

ـ خان البربير، ومكانه بالقرب من جمرك بيروت بمحاذاة الميناء.

ـ خان الحرير، ويقع في سوق البازركان بالقرب من ميزان الحرير.

ـ خان حمزة وسلوم، وهو الخان الذي عمّره أحمد حمزة سنو وشريكه الياس سلوم بالقرب من جامع الدباغة في محلة ميناء بيروت.

ـ خان الدركه، خان سعيد آغا، خان الصاغة، الخان القديم، الخان الجديد، خان الملاحة، خان الوحوش، خان الأروام، خان الشونة، خان شيخ المكارية، خان سوق الطويلة، خان فخري بك، خان ثابت، خان الوسيقى، خان التوتة، الخان الصغير، خان الحلاج..

والواقع فإن هذه الخانات ومرفأ بيروت كانت ملتقى مختلف التجار من مختلف الجنسيات الذين كانوا يعملون في الاستيراد والتصدير. وقد زود تجار جبل لبنان تجار بيروت بـ (١٨٠٠) قنطار من الحرير، وقدر مجموع ما استوردته بيروت سنوياً في أوائل القرن التاسع عشر حوالي (٢٠٠) مئتي ألف قرش. ونتيجة لتطور التجارة في بيروت، فقد ظهرت مرافىء متخصصة في المرفأ ذاته حملت أسماء البضائع التي كانت تستوردها منها: ميناء الخشب، ميناء الأرز، ميناء البطيخ، ميناء القمح، ميناء البصل، وقد بات معدل السفن الانجليزية القادمة إلى مرفأ بيروت سنوياً (١٥٠) سفينة. وأشار الرحالة محمد بيرم التونسي في كتابه «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار» إلى مرفأ بيروت واصفاً إياه بقوله:

«فنزلت هناك، وكانت المرسى صعبة جداً، لبعد إرساء الباخرة عن الشط وركوبنا في زوارق مع هيجان البحر. وبعد أن خلصنا رحلنا إلى الكمرك الذي لم نر من أهله إلا خيراً. دخلنا إلى البلاد راجلين لقربها وعدم وجود ما يركب حول الكمرك. فدلني رجل من المتشبثين بخدمة المسافرين على منزل للمسافرين، قريب من جهة طريقنا، كاشف على البحر، فإذا

هو منزل لأحد الافرنج، مثل منازل أوروبا المتوسطة الحسن، وأخذت به بيتاً واسعاً ذات حجرة للنوم والصناديق وحجرة للجلوس، واغتسلت في حمامه وبتنا تلك الليلة والأكل فيه حسن..».

هذا وقد استأثير مرفأ بيروت بعدد من المؤسسات الرسمية والخاصة في العهد العثماني منها مبنى البنك العثماني ومبنى البريد ومحلات مؤسسة أوروزدي باك التي افتتحت عام ١٩٠٠ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تولي السلطان عبد الحميد الثاني العرش. وأشار الرحالة الروسي «كريمسكي» في كتابه «رسائل من لبنان ١٨٩٦ ــ ١٨٩٨» إلى مؤسسة البريد بقوله: «... من ينتظر رسالة يأتي بنفسه إلى مبنى البريد قرب المرفأ الذي ينقسم إلى مراكز يختص كل منها بالبريد الوارد من بلد أجنبي معين. هناك مركز للبريد الوارد من النمسا وآخر من فرنسا أو روسيا أو انكلتره..».

وبالاجمال، فقد بدأ الاهتمام يتزايد تباعاً بمرفأ بيروت. ففي سنة ١٨٦٣ تقدمت شركة «مساجيري ماريتيم» بمشروع مرفق بالخرائط لتحسين هذا المرفأ، وقدمته لأحمد قيصرلي باشا حاكم ولاية صيدا حيث كانت بيروت لا تزال تتبع لها، وقدرت نفقات المشروع بـ (٦,٣٧١,٣٠٠) فرنك (ستة ملايين وثلاثمائة وواحد وسبعين ألف وثلاثمائة فرنك)، غير ان هذا المشروع لم ينفذ ولم يوضع موضع التنفيذ إلا سنة ١٨٨٠ بعد ان فشلت بلدية بيروت سنة ١٨٧٩ في نيل امتيازه، وبعد ان فشلت أيضاً شركة طريق بيروت ــ دمشق من الحصول على امتياز هذا المشروع.

في ١٩ حزيران (يونيه) ١٨٨٧ صدرت إرادة سلطانية حميدية نال يوسف افندي المطران بموجبها امتياز مشروع تطوير وتحسين مرفأ بيروت لمدة ستين سنة تنتهي في ١٩ تموز (يوليه) ١٩٤٧. وقد اشترط على صاحب الامتياز المباشرة بالعمل بعد سنتين وانجازه في خمس سنوات على أن يكون طول الرصيف (١٢٠٠) متراً. واحتفظت الحكومة العثمانية بحق ابتياع هذا المشروع بعد ثلاثين سنة، واشترطت الارادة السلطانية على السفن الداخلة إلى المرفأ دفع رسوم الدخول والرصيف، أو دفع الرسوم إذا كانت هذه السفن لا تقترب من الرصيف.

وفي سنة ١٨٨٨ تألفت «الشركة العثمانية لمرفأ بيروت وأرصفته ومخازنه» برأس مال قدره خمسة ملايين فرنك. وكانت هذه الشركة فرنسية مما أثار حفيظة الانجليز الذين أشاعوا أن هذا المشروع غير مفيد لعدم وجود خط حديدي بين بيروت والمرافىء الشامية.

وفي سنة ١٨٨٩ بوشرت أعمال تحسين المرفأ وقامت بها شركة «موزي وطونن ولوزي» غير أن المشروع واجه الكثير من التعقيدات، مما اضطر هذه الشركة للاستدانة من شركة خط حديد بيروت ــ دمشق ــ حوران، مبلغاً وقدره خمسة ملايين فرنك لمتابعة أعمالها.

وبعد انتهاء مشروع تطوير المرفأ عام ١٨٩٤ وقعت خلافات بين شركة المرفأ وبين الحكومة العثمانية ووزارة البحرية العثمانية بسبب دخول البوارج الحربية العثمانية إلى المرفأ، وبسبب الخلافات بين شركة المرفأ وبين ادارة الجمارك بشأن رسم الحمالين والمخازن وتعيين حدود منطقة شركة المرفأ. كما وقع خلاف حول زيادة رسوم الدخول للمرفأ، مما أثر على حركة الصادرات والواردات حيث تحولت إلى بقية المرافىء الشامية القريبة، ولما سويت هذه الخلافات عاد مرفأ بيروت ينشط من جديد، وازدادت أحواضه وأرصفته بين رأس الشامية ورأس المدور. وبدأ المرفأ يستقبل سفناً أكثر وأكبر اتساعاً بما فيها قوافل الحجاج. غير أن امتداد مشروع سكة الحديد إلى محاذاة رصيف المرفأ في أوائل القرن العشرين في عهد السطان عبد الحميد الثاني، دعا الحجاج المسلمين للتوجه إلى الحج إلى الأراضي المقدسة عبر هذا الخط.

ومهما يكن من أمر، فقد شهد مرفأ بيروت قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها تطوراً ملموساً أثر تأثيراً مباشراً في الحياة الاقتصادية البيروتية واللبنانية والشامية.

الأسواق التجارية في بيروت العثمانية

كانت الأسواق التجارية في بيروت العثمانية تتكامل مع مرفأ بيروت الذي كان يمد هذه

□ وثيقة من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة تظهر منصب «بازارباشي» أي رئيس أو عمدة السوق الذي تولاه يوسف ابن الشيخ حسن الداعوق (السجل ١٢٥٩ هـ، ص ٣٧).

الأسواق بالمواد الأولية المستوردة من الخارج، كما كانت هذه الأسواق تصدر بعض الصناعات المتواضعة إلى الخارج بالاضافة الى سلع أخرى كانت تأتي من خارج بيروت. وكانت الأسواق التجارية في باطن بيروت في داخل سور المدينة بمجملها. وقليل منها خارج السور. وكانت ملتقى يومي لأبناء بيروت والمناطق اللبنانية وتجار الشام والتجار الأجانب. من بين هذه الأسواق:

١ ـ **سوق الحدادين**: كان هذا السوق يقع في باطن بيروت في الطريق المؤدي إلى أسلكة بيروت أي ميناء بيروت، وكان مركزاً لعمل الحدادين وكافة الأشغال المتعلقة بالحديد والصناعات الحديدية اللازمة للبيوت والمباني والدكاكين والعربات والخيول وسوى ذلك.

وكان أول السوق من مدخل سوق البياطرة، بينما يلتقي سوق الحدادين بالباب الشرقي للجامع العمري الكبير حتى أول سوق اللحامين عند مدخل كاتدرائية مارجرجس للروم الأرثوذكس. وكان يتصل أيضاً بزاروب ضيق يدعى زاروب سوق النجارين الواقع بينه وبين سوق سرسق شمالاً بشرق. ومن ملامح هذا السوق أنه كان يوجد في آخره «جرينة الحنطة» لطحن الحبوب، وكان يوجد بالقرب من السوق أيضاً حديقة حسين باشا.

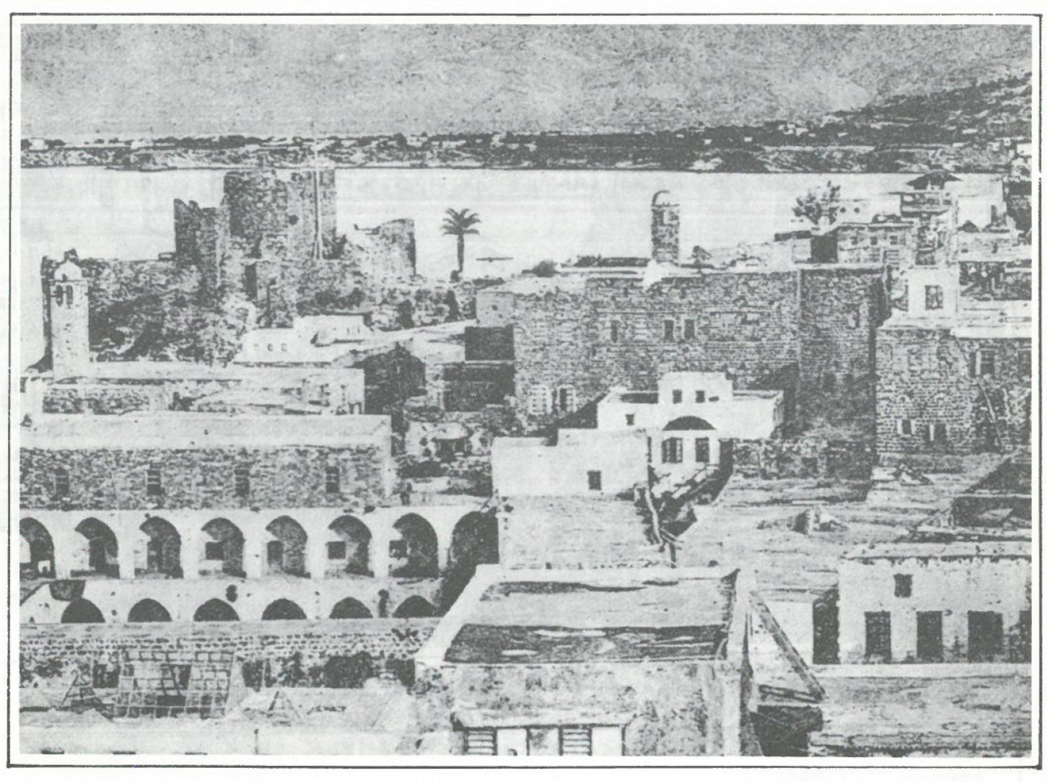
أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يقطنون فيه أو يشغلون حوانيته ودكاكينه فمنهم حسب سجلات المحكمة الشرعية في بيروت: دار الشيخ فرح، دور آل قباني، آل محفوظ، آل ياسين، سعيد يموت، آل الغلوطي الذين كانوا يملكون فرن الغلوطي في سوق الحدادين، عبد الغني سعادة، عبد الوهاب سعادة، أحمد بن الحاج حسين القباني وسواهم.

٢ ـ **سوق الأساكفة**: ويسمى أيضاً سوق السكافية أو «سوق الصرامي» وكان موقعه في باطن بيروت داخل السور قرب الجامع العمري الكبير بالقرب من دكان وقف «قفة الخبز» ومورست في هذا السوق صناعة الأحذية وتصليحها وتجديدها. وقد عرف صاحب هذه المهنة باسم «الكندرجي». كما تجمع في هذا السوق الجلود المستخدمة في هذه الصنعة بالاضافة إلى المسامير الخاصة والأصباغ ومواد لصق الجلود (الصمغ ومشتقاته) وأدوات المهنة. وكان يوجد في هذا السوق مقهى يلبي حاجة الاسكافية من الشاي والقهوة والنارجيلة وقد عرفت باسم «قهوة الاساكفة». هذا وقد ارتبط سوق الأساكفة بأسواق أخرى منها سوق النجارين التحتاني أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يسكنون هذا السوق أو بمحاذاته أو يشغلون دكاكينه، كما ورد في وثائق وسجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة منهم: بكري حلوم، آل الميقاتي، آل دسوم، آل المبسوط، محمد بن الحاج وهبه حامل الربعة الشريفة، آل قليلات، آل الرافعي، آل الغول، آل بيهم، محمد سويره، عبد الرحمن خدام الخضر، آل الجندي، آل الشيشي،. علي الجمال البيروتي وسواهم.

٣ ـ **سوق البازركان**: «البازار» تعني السوق باللغة الفارسية، ودخلت التركية بهذا المعنى. والبازركان أحد أهم الأسواق البيروتية (وكان لا يزال قائماً قبل الأحداث اللبنانية عام ١٩٧٥ وبعض عقاراته ملكاً لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت).

وكان يجتمع البيارتة فيه وسواهم من أبناء المناطق اللبنانية لشراء حاجياتهم لا سيما من الأقمشة وأدوات الخياطة. وكان موقع هذا السوق في باطن بيروت بمحاذاة الجدار الشرقي لجامع الأمير منذر المعروف باسم «جامع النوفرة»، كما كان يوجد بالقرب من هذا السوق «جامع شمس الدين».

كان سوق البازركان من الأسواق البيروتية المسقوفة في القرن التاسع عشر على غرار سوق الحميدية في دمشق رغم صغر مساحته. ويعرف السوق المسقوف باسم «قيسارية»، لذا كان يلاصق سوق البازركان «قيسارية الأمير منصور الشهابي» «وقيسارية الصاغة». ومن مميزات سوق البازركان أنه كان مؤلف من طبقتين، فالطابق الأرضي خصص لدكاكين الخياطين العربي وبيع الأقمشة الذين كانوا يصنعون القنباز والصداري والشروال والعباءات والجلابيات، أما الطابق العلوي فقد شغل كمكاتب للمؤسسات منها مكاتب لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت.



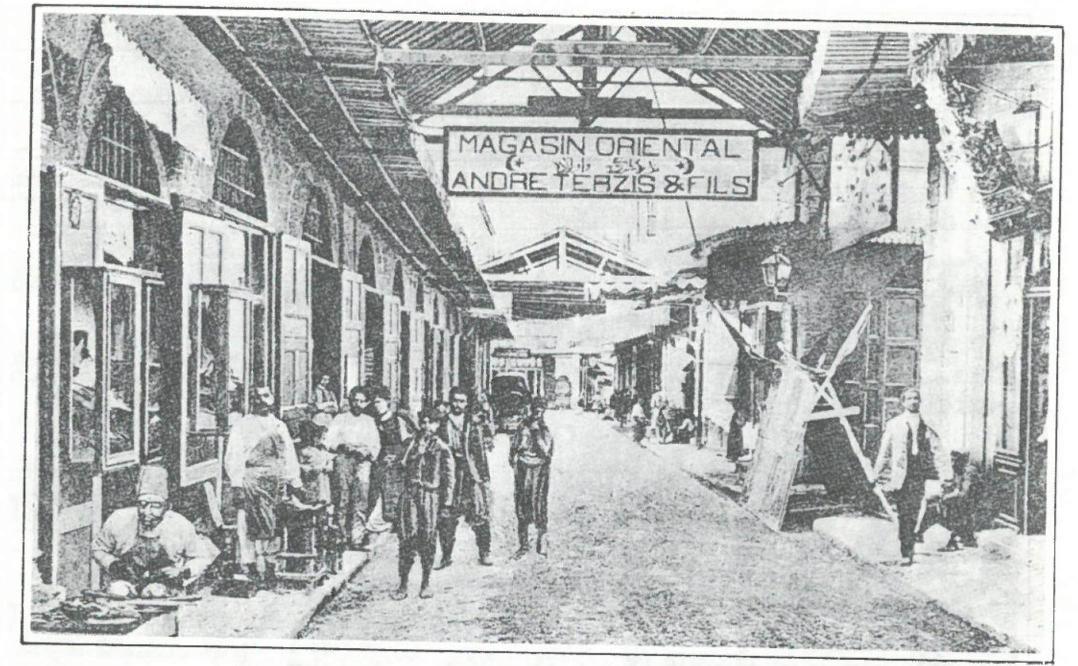
□ منطقة بيروت المطلة على البحر، ويبدو خان الملاحة وزاوية (مسجد) سيدي البدوي بالقرب من جمرك بيروت. بجانب خان البربير، وقلعة بيروت ومسجد الدباغة.

أما الطرابيش المكملة للبس العربي فكانت تصنع أو تكوى في أسواق أخرى أو تجلب من الخارج لا سيما من النمسا ومصر. وكان يوجد محل في ساحة الدباس كان لا يزال قبيل الأحداث اللبنانية لشخص من آل الكوى يقوم فيه بتنظيف وكي طرابيش أهل بيروت ممن كانوا لا يزالون يلبسونها.

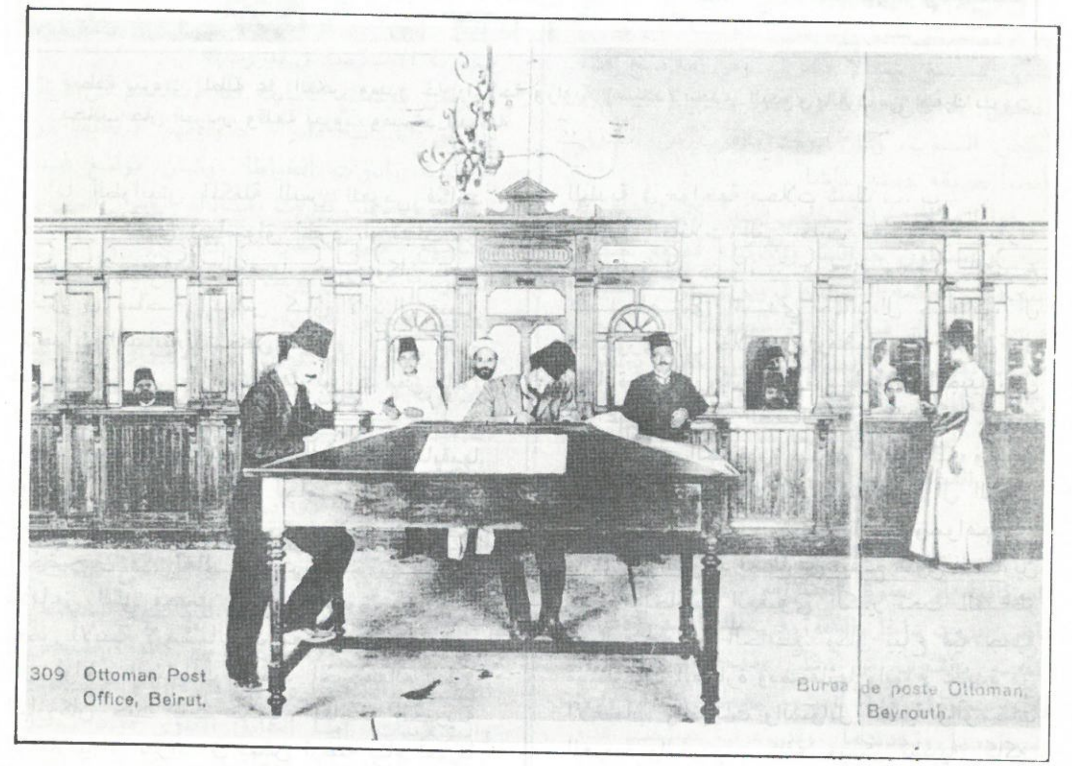
لقد استمرت دكاكين سوق البازركان بطابقيها بمحاذاة الجدار الشرقي لجامع النوفرة الى الثلاثينات من هذا القرن. ولا يزال بعض المخضرمين من أهالي بيروت يذكرون رؤيتهم للأفاعي التي وجدت في هذا السوق بعد هدم بعض الأبنية لا سيما قرب معمل يموت للزجاج. وفي أواخر الستينات هدمت آخر معالم سوق البازركان حيث بنت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت في بعض ارضه بناء تجاريا حديثا، وأقيم في مواجهته حديقة صغرى عامة للبلدية في مواجهة محلات شيك ب. ب.

أما العائلات التي كانت تقطن فيه وبقربه أو تشغل حوانيته منهم: دار الشيخ عبد الهادي أفندي خالد،آل خطاب، آل الفاخوري، آل حلاق، آل رمضان، آل بدران، آل حمادة، آل درويش، آل قريطم، آل الجبيلي، آل الداعوق، سعيد الصايغ، أبو زكور حمود، الحاج علي الحلاق، اسكندر عطا الله وسعيد عطا الله، حنا فليفل (أبو اسكندر) آل الزهار، وعلي سعيد الحلاق، وشقيقه أنيس وسواهم.

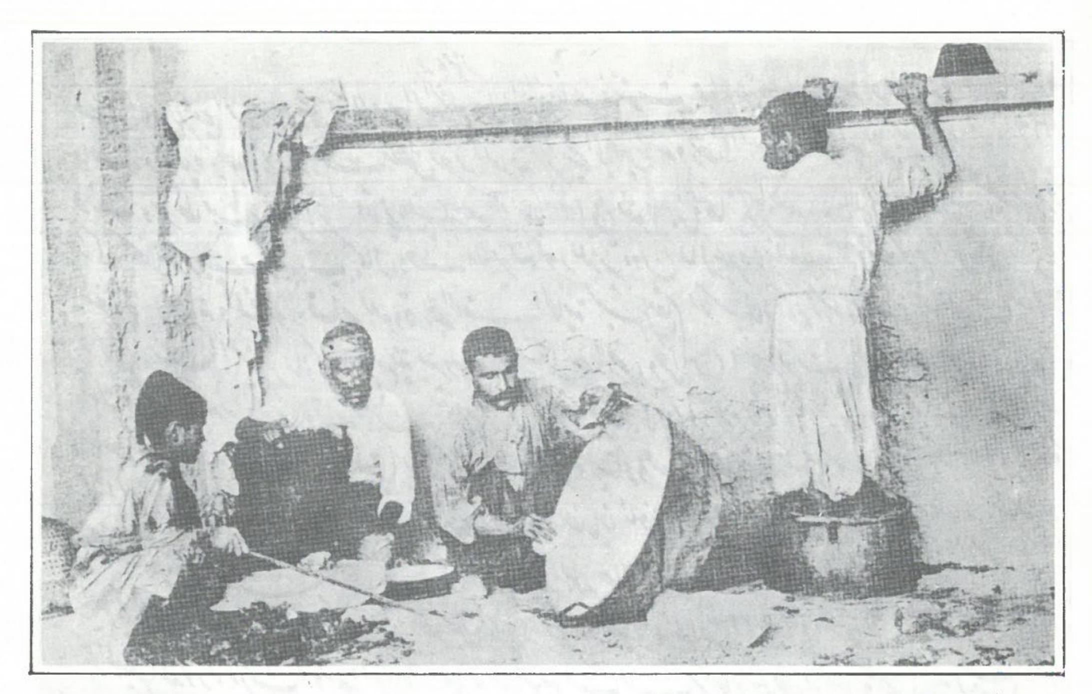
٤ ـ **سوق العطارين**: يقع سوق العطارين غربي الجامع العمري الكبير تحت القناطر الحالية لشارع الجامع. وكان يباع فيه جميع مستلزمات العطارة ومشتقاتها وأنواع عديدة من الأعشاب والنباتات والسوائل الطبية والوصفات العربية والخردوات كافة. ويمكن تشبيه دكاكين سوق العطارين بدكاكين «دبوس» اليوم المنتشرة



□ قيسارية سوق الجميل ويظهر فيه بعض الاسكافية.



□ أحد المكاتب الداخلية لمركز (البريد) البوسطة العثمانية في منطقة خان انطون بك.



□ المبيِّض مهنة من مهن بيروت العثمانية.



□ المنجد من المهن البيروتية القديمة.

□ وثيقة من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة تظهر منصب «عمدة التجار المعتبرين الاخوان الحاج خليل والسيد محمد البربير» في بيروت (السجل ١٢٥٩ هـ. ص ١٠٦).

في بيروت. وكان لسوق العطارين قيسارية خاصة تعرف باسم «قيسارية العطارين» التي بناها الشيخ عبد السلام العماد. كما كان يوجد أمام السوق قيسارية الشيخ شاهين تلحق الموجودة قرب الجامع العمري الكبير. ووجد بالقرب من سوق العطارين «سوق البوابجية». ومن مميزات وملامح سوق العطارين البركة الشهيرة والنوفرة. أما رأس سوق العطارين الجنوبي، فكان يقع تحديداً بالقرب من أرض بناية الوقف الماروني شرقي مجلس النواب في ساحة النجمة وبالقرب من باب الحدرة (الحضرة).

أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يسكنون في سوق العطارين أو بمحاذاته او يشغلون دكاكينه فمنهم: عبد الرحمن دياب، حسن شملي، أبو علي قدور البابا، محمد خرما، آل بلوز مشاقه، محمد المبسوط، آل العطار، آل الطيارة، أحمد دية، آل الكوسا، مصطفى قرانوح، مصطفى قرنفل، مصطفى قليلات، حسن الغول، آل الميقاتي، طالب شبقلو، علي شبقلو، يوسف قدورة، آل السلحوت، محمد فايد، عبد القادر قرنفل، حسن بكداش، محمد المكوك، الحاج أحمد الشامي، محمد سلام، الحاج عبد القادر العريس، الشيخ مصطفى نجا (مفتي بيروت فيما بعد).

٥ ـ **سوق القطن**: كان يقع سوق القطن ابتداء من موقع مخفر ميناء بيروت (حالياً)

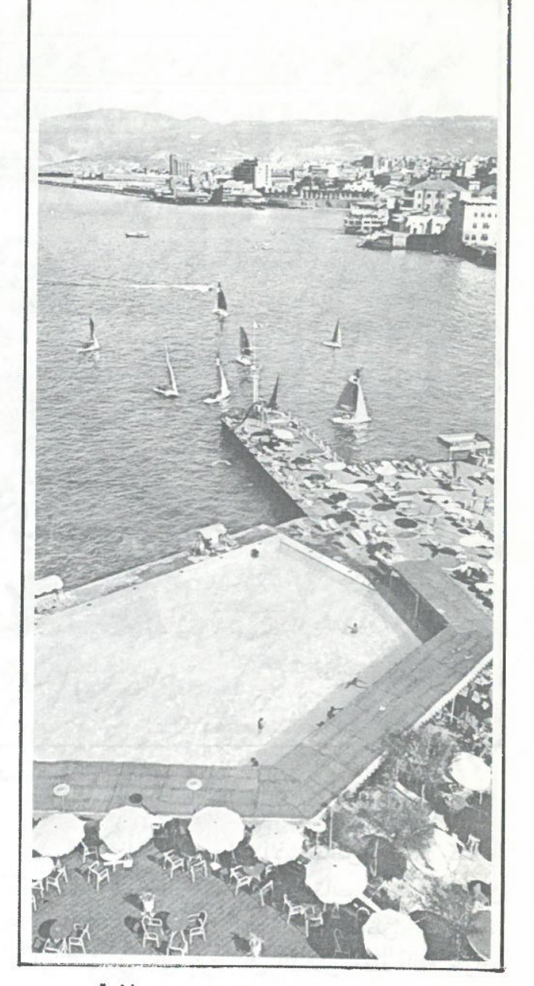


□ بائع البيض في ساحة البرج في نهاية القرن التاسع عشر.

صعودا على خط مستقيم بشارع فوش حتى بناية البلدية الثانية. وكان يتفرع من السوق ثلاثة ممرات: الأول عند مدخل جامع باب الدباغة الذي سمي فيما بعد جامع أبو بكر الصديق، والممران الآخران يبتدئان من بناية البلدية الثانية واحد للشرق ويدعى سوق الخمامير وزاروب سابا، وواحد للغرب يصل سوق القطن بسوق البياطرة. ومن ملامح سوق القطن الزاوية المعروفة بزاوية القطن وهي من جملة الأوقاف الاسلامية، سبق ان وقفها رجل من آل العريس لتكون مسجداً يؤدي فيها تجار سوق القطن صلواتهم. كما كان يوجد في السوق فرن سوق القطن، ومعصرة سيف الدهان لعصر السمسم وانتاج الطحينة، ومحلة تعرف باسم «محلة النصارى» في آخر سوق القطن، وكان المبيع في هذا السوق بأكثريته بالجملة، حيث يتمركز فيه تجار القطن. وقد اعتبر هذا السوق من أهم الأسواق البيروتية في العهد العثماني.

أما العائلات أو الأشخاص الذين كانوا يقطنون في هذا السوق أو يستأجرون أو يمتلكون حوانيته فمنهم: آل باسيلا، آل فياض، آل عفرة، آل الجبيلي، آل يارد، آل الدهان، عبد الله طراد، محمد المجذوب، محمد البواب، عبد اللطيف السبليني، الحاج محمد سوبرة، المعلم يوسف المالطي الخياط، آل سعادة، شاهين طراد، محمد آغا المورلي وسواهم.

٦ ـ **سوق النجارين**: كان موقع سوق النجارين تجاه جامع السرايا (جامع الأمير منصور عساف) قرب سوق سرسق. وكان يعتبر السوق المركزي للنجارين وما يرتبط بمهنتهم من أخشاب ومسامير وبقية أدوات ومعدات النجارة. وكان يقع بالقرب من هذا السوق سوق الأساكفة القريب من الجامع العمري الكبير. وهذا السوق غير سوق النجارين الذي كان قائماً بالقرب من ساحة الدباس عند مفرق سينما بيكال.



□ **مرفأ بيروت وعين المريسة وقسم من فندق السان جورج عام ١٩٧٠.**

من ملامح سوق النجارين معصرة بني السبليني لعصر السمسم، والبركة المعروفة باسم «بركة سوق النجارين» وقهوة السوق. ولا بد من الاشارة الى أن سوق النجارين كان ينقسم إلى سوقين: سوق النجارين التحتاني وسوق النجارين الفوقاني حسبما جاء في سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة.

أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يقطنون في السوق أو يعملون فيه فمنهم: الحاج بكري كشلي، آل يارد، آل الحلاج، الحاج درويش دية، أبو عبد الحي شهاب الدين، حسن الجبيلي، الشيخ علوان الغر (الأغر)، منصور الفليس، علي يموت، محمد بن مصطفى الكعكي، الحاج مصطفى الغزاوي، عبد الرحمن بيضون، عبيد الغر (الأغر)، الحاج حسن طبارة، أولاد مصطفى الحبوب، يوسف يونس، مصطفى منيمنة، علي العشي، الشيخ مصطفى شرنقة، الحاج محمد الدح، آل الملاط، بشارة العم، عباس نجا وسواهم.

٧ ــ **سوق الصاغة**: كان موقع هذا السوق في جانب من سوق البازركان، وكان له قيسارية خاصة تعرف باسم «قيسارية الصاغة» وقد تمركز في هذا السوق باعة الصاغة والمجوهرات، وكان مقصداً للبيروتين وبعض اللبنانيين. وهذا السوق هو غير سوق الصاغة الذي انشيء فيما بعد قريباً من سوق الخضار واللحوم والأسماك. وهو الذي كان يدخل إليه من ساحة الشهداء من بابه الشرقي في الطريق المؤدي إلى سينما كريستال وكان لهذا السوق باب حديدي يقفل ليلاً من جهتيه الشرقية والجنوبية.

ومن العائلات والأشخاص الذين أقاموا في سوق الصاغة الأول بالقرب من سوق البازركان حسبما جاء في الوثائق والسجلات الشرعية: آل العجوز، آل محرم، محمد الحلبي، عبد الله الجمل، وبعض العائلات والأشخاص القاطنين أو العاملين في سوق البازركان، باعتبار أن سوق الصاغة كان موقعه في سوق البازركان في القرن التاسع عشر.

٨ ــ **سوق الخضار**: كان موقع سوق الخضار أو سوق الخضرية مكان مقبرة الغربا قريباً من مقبرة الخارجة إزاء جامع وزاوية التوبة الواقعة في رأس سوق الخضار تقريباً قريباً من مرفأ بيروت. وكان هذا السوق مركزاً لتجمع الخضار الواردة من بيروت وضواحيها وأحياناً من المناطق اللبنانية. علماً أن سوق الخضار الآخر المستحدث فيما بعد عرف باسم «سوق النورية» الواقع بين المعرض وسوق الصاغة الجديد. ومن المقيمين في سوق الخضار: آل الغندور، حسين الغر (الأغر)، آل البواب، آل الداعوق، وبعض العائلات القاطنة قريباً من زاوية التوبة الواقعة في رأس سوق الخضرية.

٩ ــ **سوق الشبقجية**: كان موقع هذا السوق قريباً من سوق سرسق، وكان يختص بصنع الشبق وهو الغليون وما يرتبط به من صناعات لها علاقة بالتدخين والمدخنين. ومن مصنوعات السوق «نرابيج» الأراكيل، والعمل على دبغها بمختلف الألوان لا سيما اللون الأحمر. وكان يباع في هذا السوق أيضاً الأدوات الزجاجية والنحاسية المرتبطة بالأراكيل مثل زجاجة الأركيلة والسبع والصحن والملاقط. وكان صانع الشبق أو صاحبه يسمى «الشبقجي» بينما نافخ الغليون أو الأركيلة أو مدخنها يسمي شبقلو. أما متذوق الدخان في المعامل والمصانع فقد عرف باسم «خرمنجي». هذا وقد حملت بعض الأسر البيروتية اسماء هذه المهن أو الصفات. كما عرف سوق الشبقجية أيضاً باسم «سوق النرابيج».

١٠ ــ **أسواق أخرى**: عرفت بيروت العثمانية أسواق اقتصادية وتجارية عديدة أخرى كان لها دور أساسي في نهضة بيروت الاقتصادية والعمرانية. من بين هذه الأسواق:

سوق أبو النصر، سوق الأمير يونس، سوق البلد، سوق بوابة يعقوب، سوق الخمامير، سوق زاوية ومسجد التوبة، سوق الزبيبة، سوق الساحة، سوق ساحة الخبز، سوق سرسق، السوق الشرعي، سوق الشعارين، السوق الصغير، سوق الطويلة، السوق الفوقاني، سوق القزاز، سوق القهوة، سوق الكنيسة، سوق اللحامين، سوق النورية، سوق التجار، سوق البياطرة، سوق الفشخة، سوق الدلالين، سوق القطايف، سوق الأرمن، سوق الخياطين، سوق الخراطين، سوق الرصيف، سوق المنجدين، سوق الافرنج، سوق سيور، سوق الجميل، سوق اياس، سوق العقادين، سوق المغربلين، سوق المخللاتية، سوق الهال (الهول)، سوق النحاسين، سوق باب ادريس..

ولا بد من الاشارة إلى أن بيروت العثمانية شهدت بعض الأسواق والمهن خارج سور بيروت مثل مهنة الفاخوري الذي كان يصنع الأباريق والجرار الفخارية بالقرب من الحمام العسكري وبعض ضواحي بيروت. ومنها المهن المتنقلة مثل «المجلخ» الذي يجلخ ويشحذ السكاكين والمقصات، و«المبيّض» الذي كان يبيّض ويلمّع الأواني المنزلية، بالاضافة الى باعة البيض والسوس والمياه وسواها.

ومن الأهمية بمكان القول إلى أنه كان لكل سوق من أسواق بيروت العثمانية شيخه هو بمثابة نقيب لأصحاب المهنة، فعلى سبيل المثال كان عبد اللطيف بن عباس السبليني شيخ النجارين وكان الحاج أحمد الحوري شيخ العقادين عام ١٢٨٣هـ. في حين أشارت سجلات المحكمة الشرعية في بيروت إلى أنه كان لاسواق بيروت «بازارباشي» أي عمدة للسوق، فأشار السجل لعام ١٢٥٩هـ ــ ١٨٤٣ م إلى وجود عمدة للتجار وقد تولى هذا المنصب أشخاص من آل البربير وبيهم العيتاني والعريس والداعوق. فقد كان الحاج أحمد بكري العريس عمدة للتجار، كما كان عمر والحاج عبد الله بيهم العيتاني عمدة للتجار، في حين كان الحاج خليل وحسين ومحمد البربير من عمدة وافتخار التجار المعتبرين في بيروت العثمانية، وكان يوسف بن الشيخ حسن الداعوق بازارباشي.

وهكذا يلاحظ بأن الحياة الاقتصادية في بيروت العثمانية كانت تتمثل في مرفأ بيروت وفي الأسواق التجارية والمهن والصناعات القائمة وحركة الاستيراد والتصدير وحركة تجار بيروت والأجانب، في ظل الحرف والنقابات وشيوخ المهن وعمد التجار مما يدل على أن بيروت العثمانية شهدت تنظيمات نقابية ومهنية وتجارية طيلة العهد العثماني، مما هيأ الأجواء لأن تصبح بيروت من المدن العثمانية الهامة بل من أهم المدن العثمانية.



○ تراث قديم

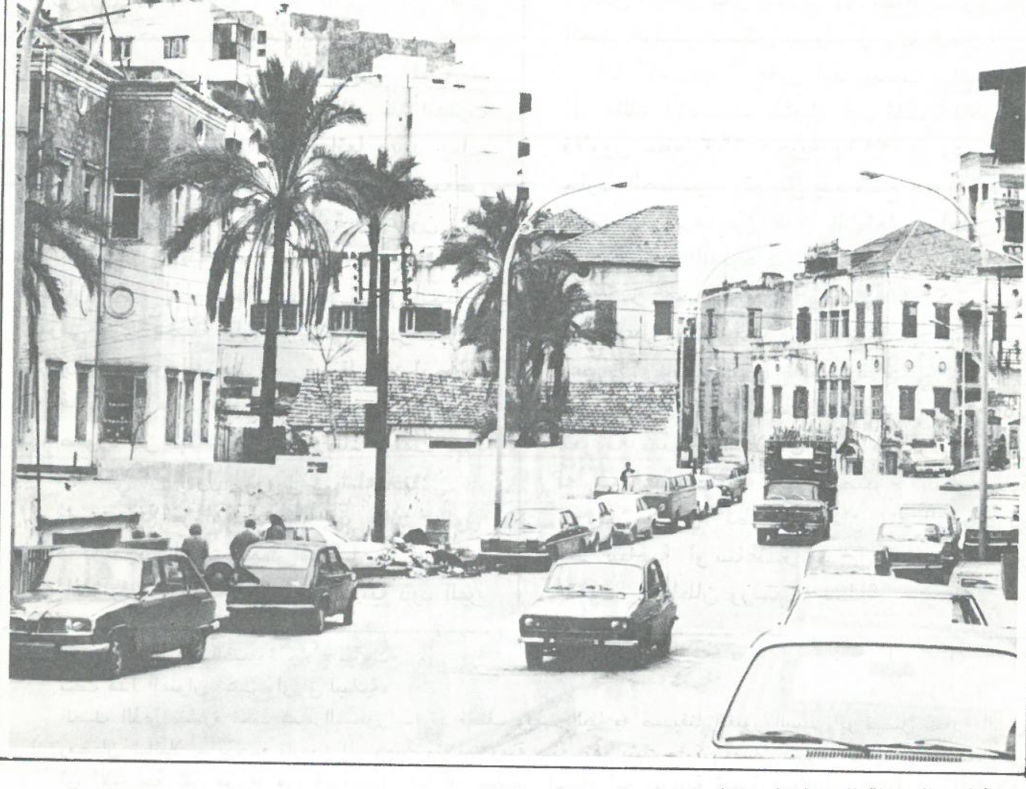
ضواحي بيروت القديمة هي أحياء بيروت اليوم*

شفيق طبارة

في مستهل القرن السابع عشر كانت الطرق تتفرع من أبوابها باتجاهات مختلفة بين البساتين وعبر التلال وفوقها، وكانت هذه الطرق ممرات ضيقة تكتنف جانبيها سياجات من الغزار والصبير، ولا تصلح سوى للمشي أو الركوب على الخيل والدواب. فكان الخارج من باب السراية يرى عن يمينه ساحة البرج روضة غنّاء تظلّلها أجشار باسقة، وكانت تعرف باسم بستان فخر الدين، نسبة إلى الأمير فخر الدين المعني (١٥٩٥ ــ ١٦٣٥م) وأقام الأمير له فيها جنينة متعددة لأشكال تجمع غرائب الحيوان. وزينها بعدد كبير من التماثيل التي جلبها معه من إيطاليا أيام جعل بيروت مقرّه المفضل. ووصف هذه الساحة يومئذ سائح إنكليزي بقوله «أحسن ما وقعت عيناي عليه بستان فخر الدين، وهو حديقة رحبة قسمت إلى ستة عشر قسماً، غرس فيها شجر البرتقال المثقلة غصونه بالثمر. وحول الأقسام مماش مفروشة بالصفائح الحجرية. تتخللها مجاري الماء لسقي الحديقة، وفي الجانب الشرقي منها ممران عاليان أحدهما فوق الآخر، لكل منهما درج مؤلف من اثني عشرة درجة، والممران يفضيان إلى ردهة فسيحة يظلّلها برج عرض جداره اثنتا عشرة قدماً وعلّوه ستون قدماً، وقد بناه الأمير للمراقبة».

سميت هذه الساحة بالبرج نسبة إلى برج الكشاف الذي كان قائماً في محل مقهى البارزيانا، في الزاوية الشمالية من شارع غورو ودب يومئذٍ الخراب في البرج ولم يكن منه غير بقايا سلاله الجميلة، وشوهدت عام ١٨٠٨م. وقد اختار هذا البرج في الزمن السالف الأمير فخر الدين فكان يجلس في منظرته المطلة على الأرض الخصبة على الشاطىء، تؤنسه مشاهد

(*) شفيق طبارة ــ مقال منشور في مجلة «أوراق لبنانية»، أعيد نشره في كتاب «بيروت وجبل لبنان على مشارف العشرين» للدكتور مسعود ضاهر، صفحات ٦٤ ــ ٦٩، إصدار دار الهدف للطباعة والنشر عام ١٩٧٥.



□ شارع البسطة التحتا عام ١٩٢٠.

البساتين الخضراء وزرقة البحر وبياض جبل صنين المكلل بالثلـج، تلك التي يبهـج مـرآها القلوب ويستهوي الألباب.

ثم أطلق على هذه الساحة يوم رابط فيها الجيش الفرنسي بعتاده سنة ١٨٦٠ اسم Place des Canons أي ساحة المدافـع، وتعرف في زماننا بساحة الشهداء لأن العثمانيين نصبوا فيها المشانق لبعض زعماء العرب السياسيين في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦.

ويرى الخارج من باب السراية عن يساره مقابر متلاصقة، وهي: مقبرة الغرباء، ومقبرة المصلى، ثم مقبرة الخارجة، على الهضبة المطلة على ميناء المدينة وقد اندثرت كلها سنة ١٩٢٠م. وكانت تمتد عـلى مساحـة تبتدىء من فنـدق ريجنت، فتشمـل سوق الخضـار إلى ما وراء سينما ريفولي الحالية. ويرى قلعة بيروت قائمة في مدخل الميناء وكانت مبنية بالحجارة الضخمة على قمة صخر ناشز ومجهزة من الداخل بالأدوات الحربية كالمنجانيق والمـواد النفطيـة المتفجرة. ولم يبق للقلعة أثر في يومنا هذا.

وتتمادى المسالك من شرق المدينة في ممار ضيقـة بـين البسـاتـين إلى المحجـر الصحي (الكرنتينا) الذي بناه سنة ١٨٣٤ هنري غيز قنصل فرنسة في بيروت يومئذ بإيعاز من إبراهيم باشا المصري وبالأشتراك مـع قناصل النمسة والدانمرك وإسبانية واليونان. وإلى هؤلاء يعود الفضل في بناء هذا المحجر الصحي الذي وقى المدينة وصانها من الطاعون وسواه من الأوبئة التي كانت تنتشر عاماً بعد عام فتفتك بألوف السكان.

وكان يلوح من هناك برج الخضر، وفي جانبه جامع الخضر القائم تحت قبة بيضاء وذكر مونكوز سنة ١٦٤٨م ودارفيو سنة ١٦٦٠م وجود مغارة وكنيسة باسم مار جرجس في هذه البقعة. وذكر هنرى غيز في كتابه: «ذكر ادريكـوبوس

المؤرخ أن هذه المغارة كانت مأوى للتنين الذي قتله مار جرجس وأنقذ ابنة الملك بعد أن أوشك أن يفترسها وقضى على الحيوان المخيف». وأضاف قائلاً: «إن كل تلك الآثار قد اندثرت بكاملها. فالكنيسة دكت أساساتها وسد باب المغارة بسبب الانهيارات». وما زال بعض المعمرين يدلون على موقع المغارة ويزعمون أنها عميقة وتصل إلى محلة الأشرفية.

وكان المرء إذا حول بصره نحو الجنوب الشرقي يرى هضبة مار متر التي سحر جمالها لامرتين الشاعر الفرنسي حين تنقل في أرجائها ووصفها وصفاً مهيباً يقول في ختامه: «وجملة أمرها أنها صورة عن جنة عدن التي طالما حلمت بها، وباستطاعتي أن أقول الآن: إني شاهدتها».

وعلى مسافة من هضبة مار متر كانت جلول مغطاة بأشجار التوت تمتد شرقاً حتى أعالي محله الأشرفية. وهناك اخصاص لتربية دود القز وبعض المعامل لحل الحرير لأن إنتاج الحرير كان العمل الرئيسي لسكان بيروت في ذلك الحين.

أما الأشرفية(*) فقيل أنها سميت بذلك نسبة إلى الملك الأشرف خليل أبن الملك المنصور قلاوون سنة ٦٩٣ هجرية (١٢٩١م) وهو الذي حارب الصليبيين وتم على يده فتح صور وصيدا وبيروت وغيرها من مدن الساحل، وأطلق على هذه الحروب الفتوحات الأشرفية.

ذكر صالح بن يحيى في كتابه: «إسماعيل بن هلال من الأشرفية، وكان من أعيان الناس وذوي اليسار، حكي عنه أن السلطان نزل على المسطبة (المسيطبة) التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الأشرفية، فعمل له إسماعيل ضيافة. فكان صبوح البكرة مائة خروف مشوي، فظن السلطان أنه السماط ثم بعد ساعة أو ساعتين حضر السماط الكبير فتعجب السلطان ورسم له بخلعة.

(*) «مزرعة الأشرفية الشهيرة خارج بيروت»

تحت هذا العنوان تكتب «أوراق لبنانية»

الصك الذي ننشره تحت هذه السطور ـــ وقد تلطف وبعث إلينا به صديقنا الغيور السيد أبو فيصل سعد الدين رمضان شاتيلا ـــ يرجع تاريخه إلى خمس وثلاثين ومئة سنة. وهو يثبت ما كتبناه عن بيروت القديمة وجوارها، وعن أن الأشرفية كان مزرعة من ضواحيها. كما أنه يتضمن أسماء أسر بيروتية قديمة ومعلومات طريفة عن المعاملات القضائية، وعن سعر النقد وثمن الأرض في تلك الأيام. وهذا نصه:

«**الحمد لله تعالى**

«سبب تحريره هو أنه بمجلس الشريعة المطهرة الغراء، بمدينة بيروت المحروسة، أجله الله تعالى،لدى متولّيه خلافة سيدنا ومولانا افتخار العلماء الأعلام، وقدوة الحكام الفخام، الحاكم الشرعي الواضع اسمه الكريم بخطه مع ختمه أعلاه زاد علاه.

حضر النصراني الذمي جرجس أبن باسيلي حنا سالم الوكيل الشرعي عن زوجته الذمية بدره بنت فرح [الغزوزي] الثابتة وكالته عنها في بيع المبيع الآتي، وقبض ثمنه الذي سيذكر الثبوت الشرعي بما هو نهجه شرعاً، بشهادة كل من الذميين طنوس بن ذيب المعوط وضاهر ابن مرقص الشويري، العارفين بها المعرفة الشرعية.

وباع الوكيل المزبور، بوكالته المقررة عنه، ما هو إلى موكلته، وفي يدها، ويسوغ لها بيعه شرعاً، وجار في ملكها، وتحت مطلق تصرفها النافذ الشرعي إلى حين صدورها، ومنتقل إليها بالشراء الشرعي إلى رافع هذا الصك الشرعي السيد أبي سعد الدين محمد أبن السيد مصطفى شاتيلا، وهو اشترى منه بماله لنفسه، دون غيره، وذلك المبيع جميع [الحصة] المعروفة بحصة أبيها فرح المزبور، المشتملة على أرض وغراس أشجار توت، وبري؛ وفواكه، وأصول زيتون، وأصل ليمون، وعمار: هو بيت، ويعلوه علية مسقوفاة بالجسور والأخشاب الكائنة في مزرعة الأشرفية الشهيرة، خارج المدينة المزبورة».

وبعد أن عرف الكاتب هذا البيع تعريفه القانوني قال أن ثمنه كله: «ألف قرش وستمائة قرش ١٦٠٠، فضة أسدية رايجة سلطانية عثمانية، يغلب التعامل بها يومئذٍ، كل قرش منها بأربعين مصرية».

أما تاريخ الصك فاليوم «الرابع من ربيع الثاني الواقع في سنة ١٢٣٦ ست وثلاثين ومائتين وألف» (يصاقبه ١٩ من كانون الثاني ١٨٢١).

وكان «شهود الحال»: السيد أحمد فخري، السيد الحاج صالح سربيه، السيد محمد أبن السيد محمد الدبس سعادة، السيد ذيب محرم، الشيخ علي الفاخوري، السيد محمد أبن السيد صادق خرما شقير، الشيخ عبد الله الرفاعي، حسن أبن عساف الراعي المحضر، وابنه لصلبه إبراهيم».



□ منطقة الأشرفية ١٩٢٠

ويلي الأشرفية، إلى الجنوب الغربي، سهل أخضر زاهر بديع يقع في آخره رأس النبع، وهو يومئذ قرية صغيرة على مسافة ربع ساعة من بيروت. وكان النبع يتغلغل في جوف الأرض إلى محلة الكراوية، ثم ينساب إلى المدينة في ساحة الدركة (الدركاه). وهناك يجري في أنبوب إلى حوض منحوت في الصخر يشرب منه الأهالي ويستقي الوارد والصادر. وقد انقطعت مياه النبع عن الحوض منذ ١٩٢٠ وانحصرت في محلة الكراوية إلى وقتنا الحاضر حيث تستعملها بلدية بيروت لغسل الطرقات وسقاية الحدائق واطفاء الحرائق.

ثم يبدو من هناك حرج بيروت، وفي منتهاه، إلى الجنوب، ميدان يعرف باسم المرمح في سهل بئر حسن، تقصده أفواج محبي الخيل ليتباروا اطراداً ورمياً بالرماح والجريد على الطريقة العربية القديمة. وللخيل في ذلك العصر عز ودلال، وكان أصحابها على سُنَة آبائهم يعنون بتزيين سروجها بقطع من الفضة ويحلون رؤوسها بتيجان وأكاليل من الريش. وأشاد لامارتين بألعاب الفروسية وجمال موقع الميدان، ووصفه وصفاً بديعاً. وقد اضطجع الشاعر المذكور على العشب الزاهر، في ظلال الصنوبر، في جو شائق صاف رقيق، واستمع إلى حفيف الغصون وتغريد الطيور، فأوحى إليه المشهد الجميل لذة التأمل والنجوى، وعده من أحسن أماكن الدنيا جاذبية وسحراً.

وغابة الصنوبر هذه (وتسميها العامة حرش بيروت)، قديمة ذكرها الشاعر نونوز في القرن الرابع للمسيح في إحدى قصائده، وذكرها الشريف الأدريسي في جغرافيته المعنونة بنزهة المشتاق في أخبار الآفاق، في أواسط القرن الثاني عشر فقال إن سعتها إثنا عشر ميلاً. وذكر غيره من المؤرخين أن الأمير فخر الدين المعني جددها ووسعها بعد أن كادت تبيد لما كان يقطع منها



□ ساحة الشهداء

لبناء السفن والمساكن وتجهيز الأساطيل وصنع المنجانيق وغير ذلك من الأدوات الحربية، إذ كان من عادة الأقدمين إذا حاصروا مدينة أن يقطعوا الأشجار في جوارها لبناء آلات الحصار وأسبابه. وجدد الغابة إبراهيم باشا المصري. وقيل أنها زرعت منعاً لتوسع الرمال التي تهاجم المدينة من غربها الجنوبي، وقيل أن القصد من زرعها انما كان لتنقية الهواء واستجلاب الأمطار.

وندع «حرش بيروت» إلى ناحية الغرب فنرى مزار الأوزاعي في قرية حنتوس على شاطىء البحر، وهو من آثار الطور العربي في شكله وطراز بنائه. ثم محلة الجناح على ساحل البحر، وسمي بذلك لأنه يشبه جناح الطائر وهو مرفرف. ويبدو من هناك دير مار الياس ومقبرة للروم الأرثوذكس ثم المقالع في محلة الزيدانية، تقطع منها الحجارة الكبيرة فتحمل على ظهور الجمال إلى حيث كان الأهلون يبنون بيوتهم. وقد استعمل هذه المقالع الفينيقيون والرومان من قديم الأزمان وأبانوا عما لحجرها الرملي من الميزات مما جعلهم يؤثرونه في البناء على سواه، وذلك لسهولة قطعه وثباته ومقاومته لحرارة الشمس والرطوبة.

أما المسيطبة فهي المسطبة وتحرف اسمها على توالي الأيام. ذكر صالح بن يحيى في كتابه ما نصه: «وعمر بيدمر الخوارزمي في ظاهر بيروت مسطبة وعرفت به إلى الآن (أي إلى عهد المؤلف في القرن التاسع للهجرة) وكانت المراكب تصنع فيها على بعد من البحر». إلى أن يقول: «وكان لمحلة المسطبة شأن بعد ذلك. فكان السلاطين والأمراء إذا قدموا بيروت، وهي على ما كانت عليه من ضيق المساحة وبساطة العمران، ينزلون مع أتباعهم وأجنادهم في محلة المسطبة ويخيمون فيها. وقد اختاروها على سواها لارتفاعها واعتدال هوائها. وتكرر نزولهم فيها حتى عرفت بمنزلة السلاطين».

وكان يعلو الروابي أبراج تقوم مقام القلاع المنيعة في حماية البلد، وكان الحراس يرقبون منها حركات العدو. وكان برج العريس غربي

البسطة التحتا وقيل إنه كان يتصل بمغارة نافذة إلى محلة المزرعة. وتبدو على خطوات منه إلى الشرق الشمالي مقبرة الباشورة.

وفي الباشوراء، عند مدخل بابها في الجهة الغربية الجنوبية، مصلى ينسب إلى الشيخ محمد المجذوب، كان يختلي فيه للتعبد ودفن فيه. وظل هذا المقام موضع رعاية أهل بيروت يقصدونه للزيارة والتبرك.

وكان على بعد خطوات من باب يعقوب ينبوع ماء عميق ينزل إليه في درج، ويستقي منه أبناء المحلة، ثم يليه مقبرة الأمريكان المتصلة بأملاك المرسلين بجانب الطريق المفضي إلى الباشوراء لناحية الغرب. ويبدو من هنالك البرج الجديد على ربوة ارتفاعها ٣١ متراً قبالة الكنيسة الإنجيلية وكانت المحلة التي نطلق عليها اليوم اسم السمطية معروفة في القرن الرابع عشر للميلاد بالصنبطية، ذكرها صالح بن يحيى في كتابه فقال: «فنزل الفرنج من الشواني إلى البر من مكان يسمى الصنبطية غربي البلد، في الرابعة من النهار،وتملكوا البلد ونهبوه وأحرقوا الدار الذي لنا على البحر والسوق الغربية من الميناء».

وإذا خرج المرء من باب السمطية ومال بنظره إلى اليسار شاهد مقبرة السمطية وعلى مسافة مقابر اللاتين والكاثوليك والموارنة، وهي متلاصقة يفصل بينها حيطان فتبدو من الخارج مقبرة واحدة. وما زالت هذه المقابر قائمة في منتهى جادة الفرنسيين وكانت أمواج البحر فيما مضى توشك أن تضرب جوانب الأضرحة وتتكسر عليها. وبلصقها ضريح أحد المرابطين الشيخ سعيد الجارح وهو عبد أسود، هدمه الوالي عزمي بك سنة ١٩١٦ وقربه سبيل ماء لأسرة المجذوب.

ثم يشاهد ميناء الحصن على مدى خطوات. وكان هناك في عصر الرومان ميدان فخم اشتهر بمعارك المتبارزين بالسيوف ومصارعة الحيوانات الضارية، بناه هيرودوس أغريبا الأول، حفيد هيرود الكبير، ويقدرون أن موقعه في خان الصاغة حيث يرى شيء من آثاره. ولعل هذا ما حداً ببلدية بيروت إلى تسمية الشارع هناك بشارع أغريبا.

ويلي ميناء الحصن عين المريسة، والأصح: «عين المرسي» وهي يومئذ ميناء صغير ترسو فيها الزوارق والمراكب الصغيرة. وسميت بهذا الاسم لوجود عين ماء على الشاطىء وهي معروفة إلى اليوم من أبناء المحلة ويستقي بعضهم منها. وإذا تقدم نحو الجنوب شاهد مزرعة القنطاري الشهيرة، المشتملة على أغراس الفاكهة والتوت. وإذا سار نحو الغرب شاهد كثبان الرمل يتقاذفها البحر ويلفظها على ضفاف اليابسة التي اصطلحوا على تسميتها برأس بيروت، وقد وصفها لامارتين بلغته الشعرية فقال: «هي قطعة من صحراء مصر مرمية على أقدام لبنان».

وفي جنوب مقهى الغلاييني على الشاطىء، مغارة كان أبناء المحلة وما زالوا يطلقون عليها اسم مغارة الوطواط ويقصدونها للتفرج عليها.

وكانت ضاحية رأس بيروت مكسوة بالأشجار آهلة بالسكان وعامرة بالحركة تقصدها العائلات للاصطياف ويقطنها بعض الدروز. وكانوا هناك يعنون بحرث الحقول العامرة بدوالي العنب والخضار والأشجار المثمرة وأشهرها التين.



أضواء على جمعية البر والاحسان مؤسسة جامعة بيروت العربية

إعداد: أ. علي حلاق

بدأت أعمال جمعية البر والإحسان البيروتية في الثلاثينات في منطقة الطريق الجديدة ببناء جامع الإمام علي (رضي الله عنه). وبعد تزايد نشاطها عمدت عام ١٩٣٨ للحصول على ترخيص رسمي من وزارة الداخلية بموجب العلم والخبر رقم (٢٤٦). أما الأعضاء المؤسسون فهم: جميل الرواس، إسماعيل الشافعي، سليم عويني، راشد حوري، علي العدو بكداش. وممن ساهم في إنشاء الجمعية آنذاك: عمر حوري، أحمد الرواس، محيي الدين البلعة، محمد الجمال، صالح المكوك، محمد صبرا، صلاح الجندي وسواهم.

لقد ركزت الجمعية أعمالها في البدء على توزيع الإعانات والمساعدات المالية والغذائية للفقراء والمحتاجين. كما سعت لدى الدولة بفتح مدرستين واحدة للذكور والثانية للإناث في منطقة الطريق الجديدة. وقد ساهم أعضاء من الجمعية بالتبرع ببيوتهم أو أراضيهم لتكون مكاناً للمدرستين، وقد التحق بهما يومذاك حوالي (٤٠٠) طفل وطفلة. غير أن المشروع الضخم الذي قامت به الجمعية عام ١٩٤٨ هو مشروع ثانوية البر والإحسان (ثانوية الطريق الجديدة)، وكانت «نخوة» رئيس الجمعية الحاج جميل الرواس دعته لتقديم الأرض بسعر متدنٍ جدا بل وعلى أقساط، في الوقت الذي عرضت عليه مبالغ طائلة، ولكنه رفض بسبب المشروع التربوي الكبير.

وكان صندوق الجمعية فارغاً إلا من بعض الدراهم، فما كان من أهل بيروت الغيارى، وأهل الطريق الجديدة إلا أن تنادوا للقيام بحملة تبرعات لبناء الثانوية. ومن يذكر غرف الثانوية في طوابقها الثلاثة يدرك تماماً أسماء المتبرعين الذين تبرعوا لبناء هذه الغرف. وقد تألف بناء الثانوية (قبل بناء الطابق الثالث) من (٣٥) غرفة تدريس وقاعة كبرى ومنتفعات وملاعب وجنائن.

لقد جرى تدشين هذه الثانوية عام ١٩٤٩ وهي أول ثانوية في بيروت، وذلك في حضور رئيس الجمهورية بشارة الخوري وحضور كبار الرسميين. وقد التحق في المدرسة حوالي (٢٠٠) طالب ثم ارتفع العدد إلى ألف طالب، ثم إلى ثلاثة آلاف طالب. وكان أول مدير لها الأستاذ عبد الحميد فايد ثم تولى الإدارة من بعده المرحوم الأستاذ محيي الدين البواب. وقد استمرت بتقديم خدماتها لبيروت وللبنان إلى أن قصفها الطيران الاسرائيلي ودمرها تماماً عام ١٩٨٢ ظناً منه أنها من المراكز العسكرية القائمة في بيروت.



□ جامعة بيروت العربية.

قلة من الناس يعلمون أن الرعيل الأول من النواب والوزراء والضباط والمهندسين والأطباء والمحامين والقضاة والأساتذة و... هم من خريجي ثانوية البر والإحسان، ولسنا هنا في معرض ذكر أسماء هؤلاء نظراً لكثرتهم وتعددهم.

هذا وقد أقامت جمعية البر والإحسان فيما بعد العديد من المدارس والثانويات في منطقة الطريق الجديدة، تبنها وتسلمها للدولة لا تبغي الربح ـااقاً، وإنما هدفها الوحيد تعليم من يود أن يتعلم بأقساط رسمية متدنية هي أقساط الدولة.

غير أن المفاجأة الكبرى التي قامت بها جمعية البر والإحسان البيروتية هي شراء أرض في منطقة الرمل قرب سجن الرمل (سابقاً) في الطريق الجديدة لإقامة جامعة عليها.

لم يكن يومذاك (أي عام ١٩٥٤) في صندوق الجمعية سوى (١٥) ألف ليرة، وكان ثمن الأرض يقارب (١٥٠)ألف ليرة. لقد بذلت الجمعية مساعيها الخيّرة مع أهل الخير من أبناء بيروت الميامين العاملين من أجل بيروت وأبنائها إلى أن تم جمع الأموال، وبدىء تسديد ثمن الأرض ولكن على أقساط امتدت إلى (١٨) قسطاً.

وبعد اتصالات مع سفير مصر في لبنان السيد عبد الحميد غالب ومع المسؤولين المصريين، وافقت مصر على مساعدة المشروع لإنشاء جامعة عربية تكسر احتكار التعليم في لبنان وفي العالم العربي. ولقد سافر رئيس جمعية البر والإحسان جميل الرواس وبعض أعضاء الجمعية إلى القاهرة، وقابلوا هناك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وأطلعوه على المشروع والغاية من إنشائه ونشاط الجمعية في ميادين الخير والعلم والتربية، فأثنى على جهودهم ووعد بدعم المشروع وقد وفى بوعده حيث قدمت مصر يومذاك الدعم العلمي والمالي للمشروع. وفي أثناء الاجتماع اقترح أعضاء الجمعية أن تسمى الجامعة باسم «جامعة جمال عبد الناصر» فرفض

□ معرض مشاريع طلبة كلية الهندسة المعمارية.

عبد الناصر الفكرة وقال هذه جامعة للعرب، فأطلقوا عليها اسم «جامعة بيروت العربية». وهكذا كان.

وصل الأساتذة المصريون إلى بيروت، وافتتحت السنة الدراسية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠، وبعدد من الطلاب لم يتجاوز (١٢٨) طالباً، ثم أصبح العدد يتزايد فبلغ عام ١٩٧٠ حوالي (١٦٠٠٠) طالباً (ستة عشر ألف طالباً) ثم بلغ عدد طلابها عام ١٩٨٧ (٣٢٢٥٦) طالباً موزعين على كليات: الآداب، الحقوق، التجارة، الهندسة المعمارية، الهندسة المدنية والكهربائية، العلوم، الصيدلة. وبات مجموع خريجيها من لبنان ومن (٣٧) جنسية في العام ١٩٨٩ ــ ١٩٩٠ (٤٥٧٨٦) طالباً.

وجامعة بيروت العربية جامعة لبنانية وهي ترتبط مع جامعة الإسكندرية بعلاقة أكاديمية. وهي عضو مؤسس في اتحاد الجامعات العربية وقد توالى على رئاستها والتعليم فيها أساتذة كبار من الجامعات المصرية متعاونين مع أساتذة من الجامعات اللبنانية. ومن بين الذين توالوا التدريس فيها على سبيل المثال لا الحصر:

أ.د. عاطف صدقي: رئيس مجلس الوزراء في مصر.

أ.د. رفعت المحجوب: رئيس مجلس الشعب سابقاً.

أ.د. صوفي أبو طالب: رئيس مجلس الشعب الأسبق.

أ.د. كامل ليله: رئيس مجلس الشعب الأسبق.

أ.د. صبحي عبد الحكيم: رئيس مجلس الشورى السابق.

أ.د. شمس الدين الوكيل: وزير التعليم العالي (تولى رئاسة الجامعة).

أ.د. سلامة حماد: رئيس الجامعة ثم سفير مصر لدى اليونسكو.

أ.د. عاطف عبيد: وزير شؤون مجلس الوزراء.

أ.د. محمد صفي الدين أبو العز: وزير

الشباب السابق.

أ.د. حسن حميدة: وزير المواصلات والسكك الحديدية الأسبق.

أ.د. عادل عز: وزير البحث العلمي.

أ.د. محمد زكي الشافعي: وزير العلاقات الاقتصادية الخارجية الأسبق.

أ.د. عبد السلام عبد الغفار: وزير التربية والتعليم الأسبق.

أ.د. حلمي نمر: رئيس جامعة القاهرة السابق.

أ.د. محمود نجيب حسني: رئيس جامعة القاهرة.

أ.د. محمد علي عبد الرحيم: عضو مجلس الشورى السابق، ورئيس جامعة بيروت العربية منذ عام ١٩٨٦ حتى اليوم.

وسوى هؤلاء الكثير من الأساتذة المصريين ممن تولوا أرفع المناصب العلمية والاقتصادية والسياسية.

ومن الأساتذة اللبنانيين الذين تعاقدوا مع الجامعة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

د. زاهية قدورة.
د. إدمون رباط.
د. عمر فروخ.
د. صبحي المحمصاني.
د. زكي النقاش.
د. صبحي الصالح.
د. محمد المجذوب.
د. عبد الحميد نعنعي.
د. عفيف الترك.
د. علي ماضي.
د. حسان حلاق.
د. المهندس شفيق الترك.
د. حسن عواضة.
د. محمد رشيد قباني (قائمقام مفتي الجمهورية اللبنانية).
د. أحمد المعلم (القاضي).
د. حسين حمدان (القاضي).
د. محيي الدين القيسي.
د. فوزي أبو دياب.
د. عزت الأيوبي.



□ السفير عبد الحميد غالب

أ. حلمي عالم.
د. سعيد الجزائري.
د. يحيى عباس.
د. مازن فروخ.

والعديد من الأساتذة اللبنانيين الذين لا يسمح المجال بذكرهم جميعاً مع التأكيد على فعالية ما قدموه في خدمة الجامعة والمجتمع.

ولا بد من التأكيد إلى أن جمعية البر والإحسان التي أعلنت في ٢٦ كانون الأول ١٩٨٥ وقفاً إسلامياً تحت اسم «وقف البر والإحسان» فإنها وجامعة بيروت العربية تفخر بخريجيها في لبنان والعالم العربي الذين تولوا مناصب رفيعة، فمنهم الوزير والنائب والقاضي والمهندس والمحامي والصيدلي والأستاذ الجامعي و... كل هؤلاء يتفاعلون مع المجتمع لما فيه خير العالم العربي ولما فيه خدمته وتطوره ورقيه. ●



بيروت.. صور وذكريات

عدلي فخري

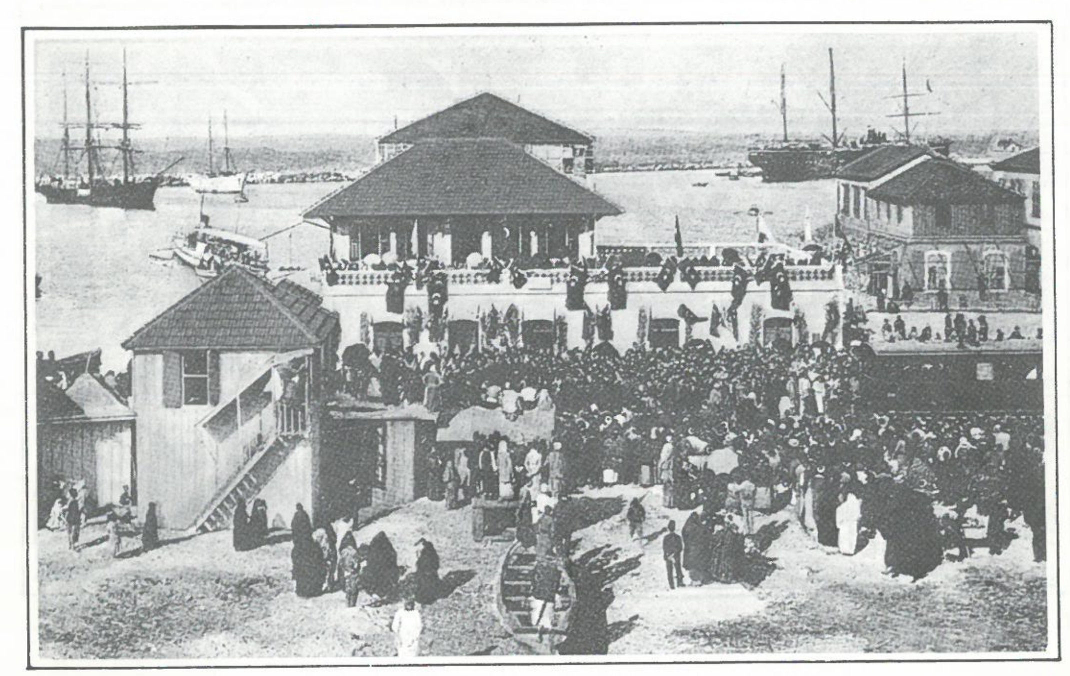
يقول المثل العربي العامي ـــ وهو مثل يوجد في أغلب البلدان العربية يقول «تعرف فلان؟. قال ايوه. قاله عاشرته؟. قال لا. قال: يبقى ما تعرفوش» و «العشرة» بكسر العين ـــ تعني الدخول في التعامل مع الانسان في لحظاته العادية الهادئة. وفي أوقاته الصعبة المضنية. معرفة الانسان في صفائه.. وفي ضيقه.. في هدوئه.. وفي ثورته.. عندما يكون في ظروف عادية وفي ظروف صعبة.. وفي تناقض هذه الحالات يظهر المعدن الحقيقي للإنسان.

ووقت المواقف، وقت رفع رايات المبادىء التي تعبر عن ضمير المواطن، ووقت الحرب.. هو وقت الظهور العلني الحقيقي.. هو وقت كشف الخفايا والمواقف وظهورها بشكل جلي. فهناك من كان يظهر بمظهر البطولة والقوة والصمود. لكنه بعد الحرب تجده يتهاوى ويسقط أو يهرب. يهرب من بيروت، أو يبقى لكن يهرب داخل ذاته ويتقوقع تقوقعاً مميتاً. وهناك من كان لا يظهر بتلك المظاهر البطولية الادعائية. لكنه في الحرب أصبح قوة رائعة. ونواة للصمود. أصبح أغنية للصلابة والروح النضالية العالية. وبيروت، بيروت التي كان لا يعرفها الناس في العالم العربي... يعرفها بصورة مختلفة عن حقيقتها فقد عرفوها «غانية» تفتح أحضانها لكل من «هب ودب» من أصحاب الدولارات والفرنكات. بيروت التي قيل فيها «زورا» كلام كثير. والتي كان يجري إليها مدعو الفن.. أو أصحاب تلك الفنون الرخيصة الذين يسمون أنفسهم موسيقيين ومغنيين وممثلين. والذين كانوا يروجون أنها هي ـــ أي بيروت ـــ التي تناديهم وترحب بهم.

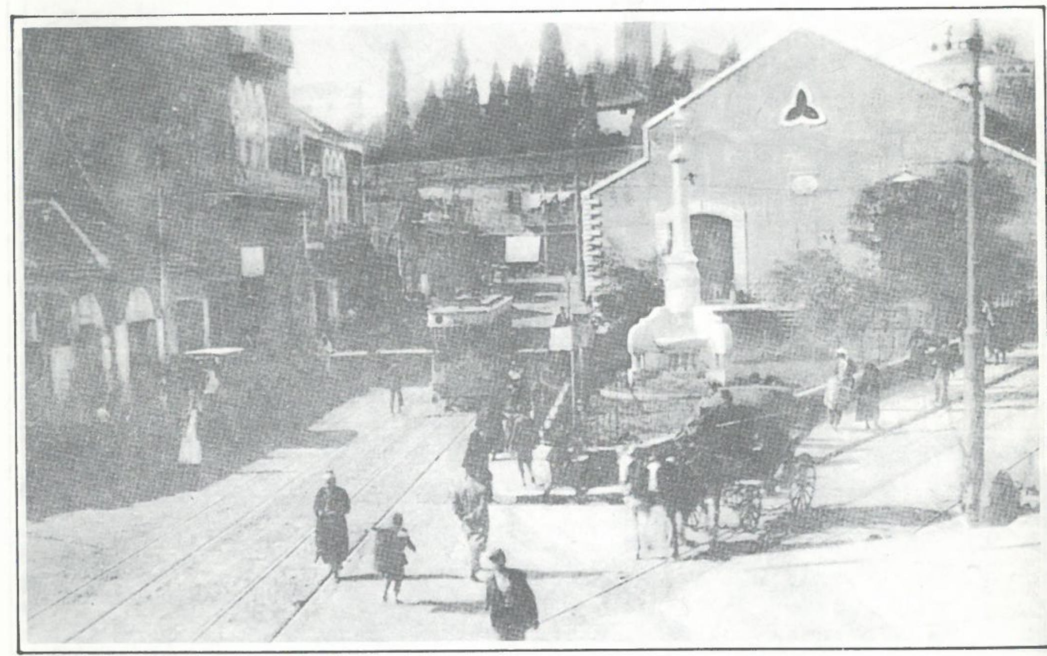
وفي الحقيقة لم تكن بيروت كذلك لأنها كانت مغلوبة على أمرها حيث كانت تغتصب يوميا من أجل أن تكون غانية العرب. وأشيع عنها ما أشيع، وكما الإنسان، ظهرت حقيقة بيروت وقت الشدة. ظهرت بوجهها الحقيقي.. وجه القديسة المناضلة. قديسة العواصم العربية وظهرت بيروت الصامدة.. الرافضة للابتزاز.. الرافضة للتهديد.*

فيما يلي مجموعة من الصور القديمة، بعضها يرجع إلى أعوام ١٩١٠ و١٩٢٠، تعبّر أصدق تعبير عن بيروت.. بيروت «قديسة» العواصم العربية.

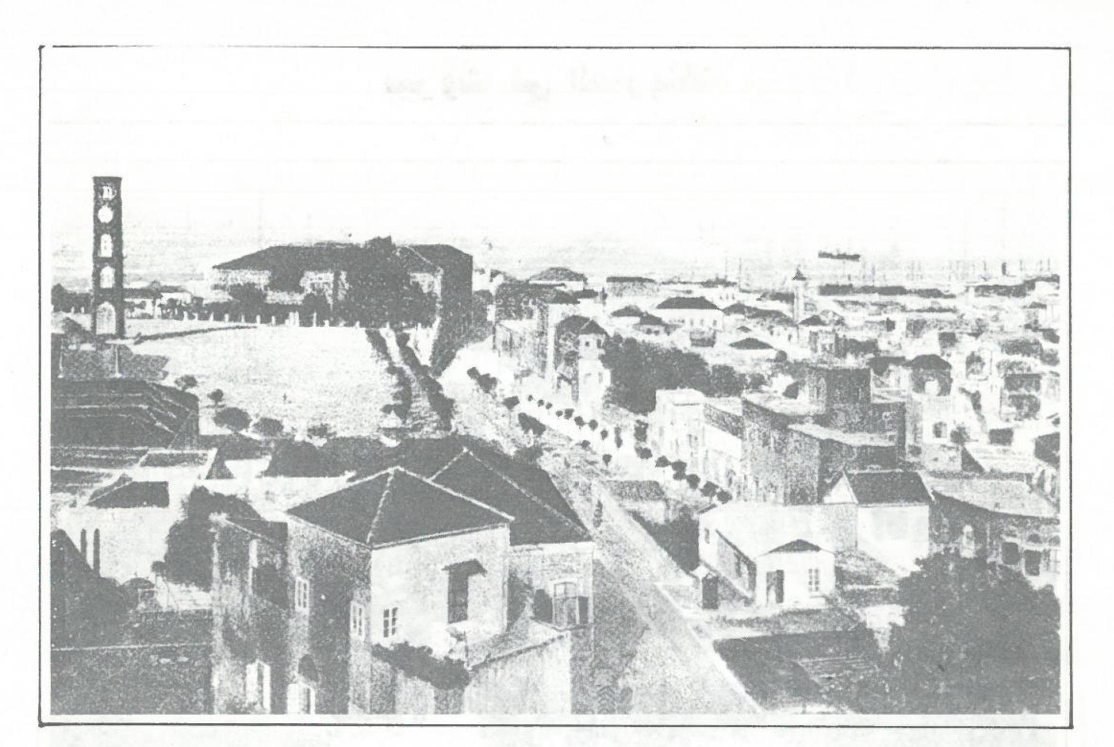
(*) من كتاب «بيروت ١٩٨٢ وعي الذات» للدكتور أحمد أبو مطر.



□ محطة المرفا عام ١٩٢٠



□ ساحة «الهال» عام ١٩٢٠



□ باب ادرس مشهد اخذ من السراي عام ١٩٢٠

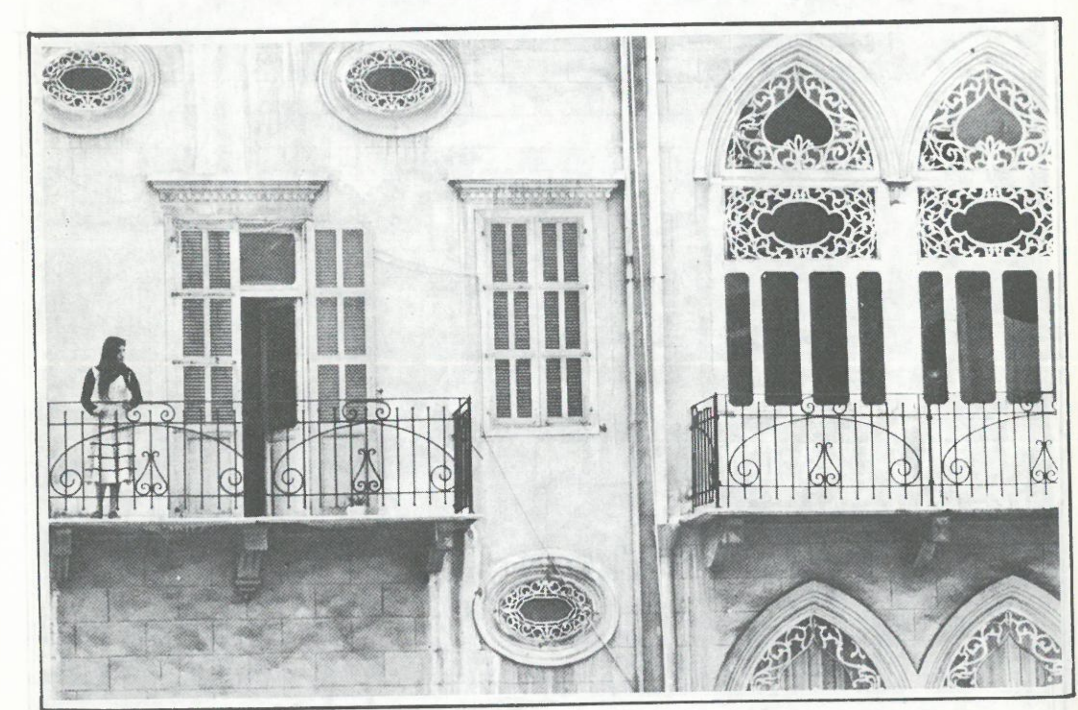


□ منطقة الزيتونة (جادة الافرنسيين) عام ١٩٢٠

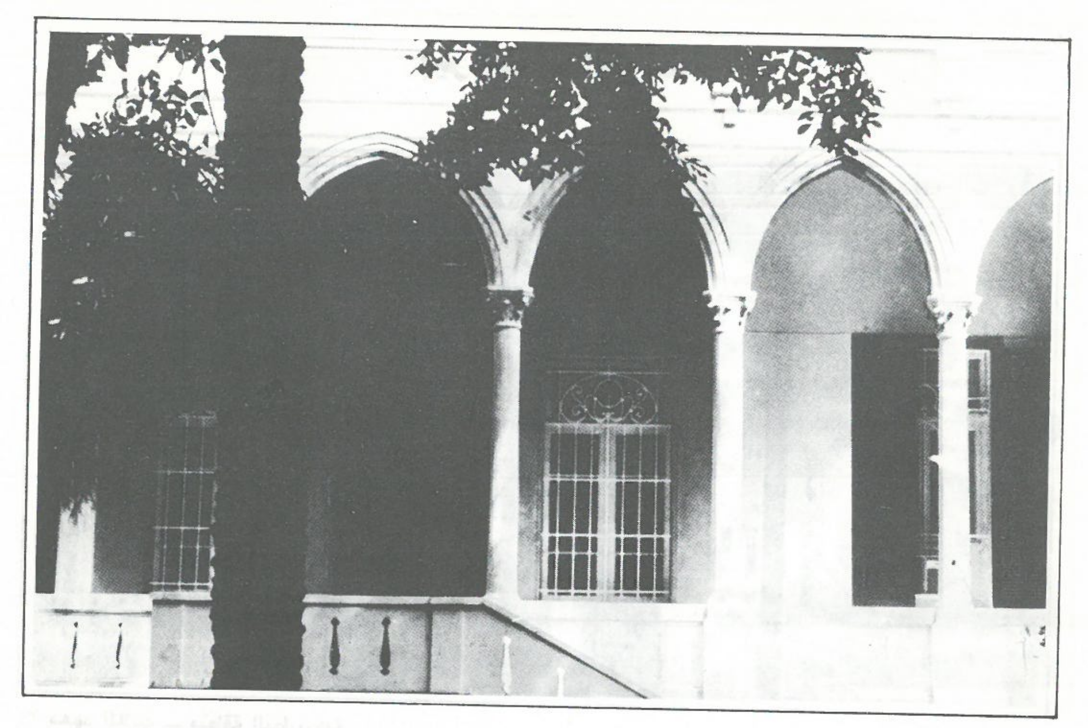
بيروت ــ التراث



□ معهد اللايك ــ منطقة البطريركية



□ منزل قديم ــ منطقة الصنائع

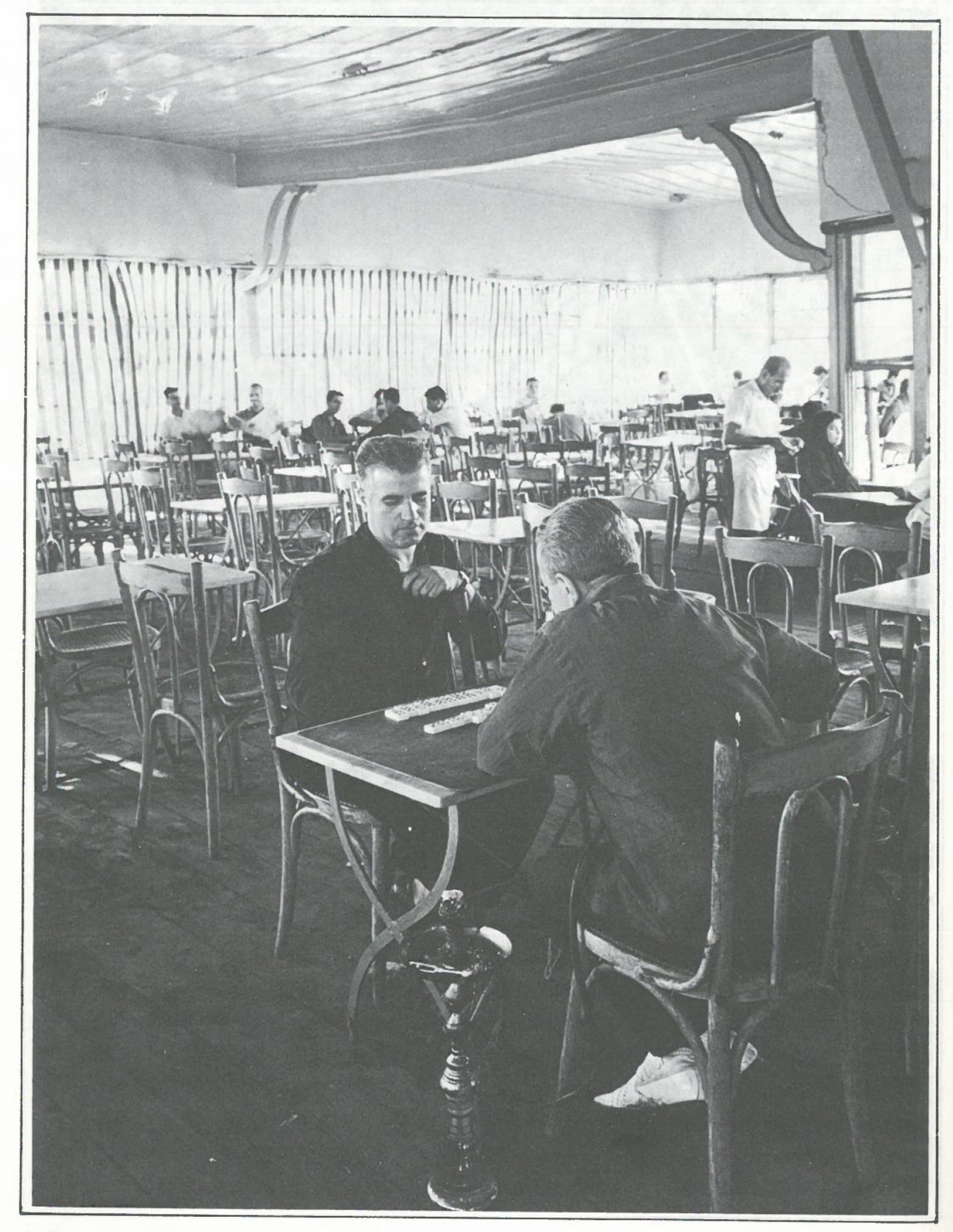


□ معهد هايكازيان ــ منطقة القنطاري

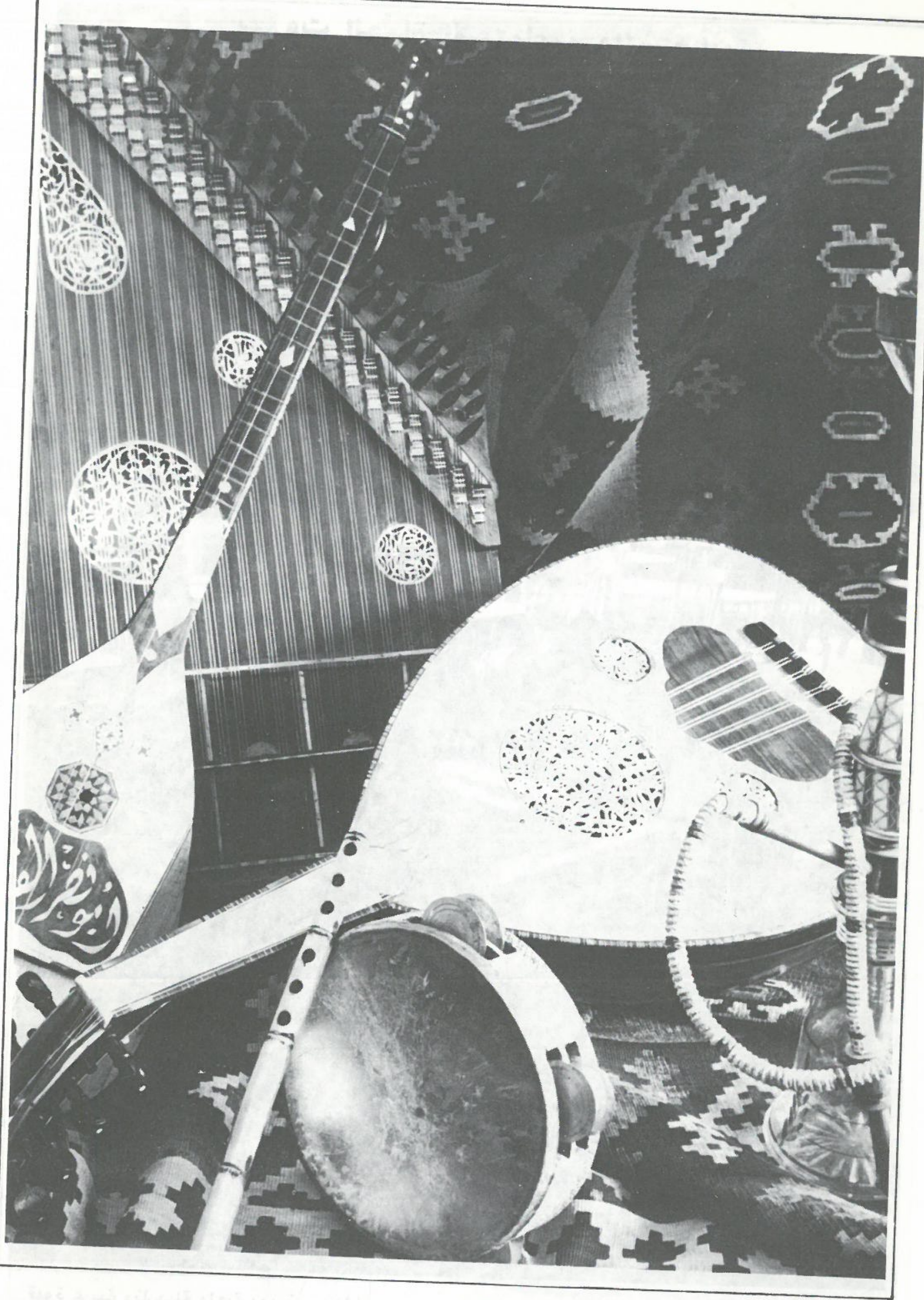
□ القهوة التركية في ساحة البرج ــ عام ١٩٢٠



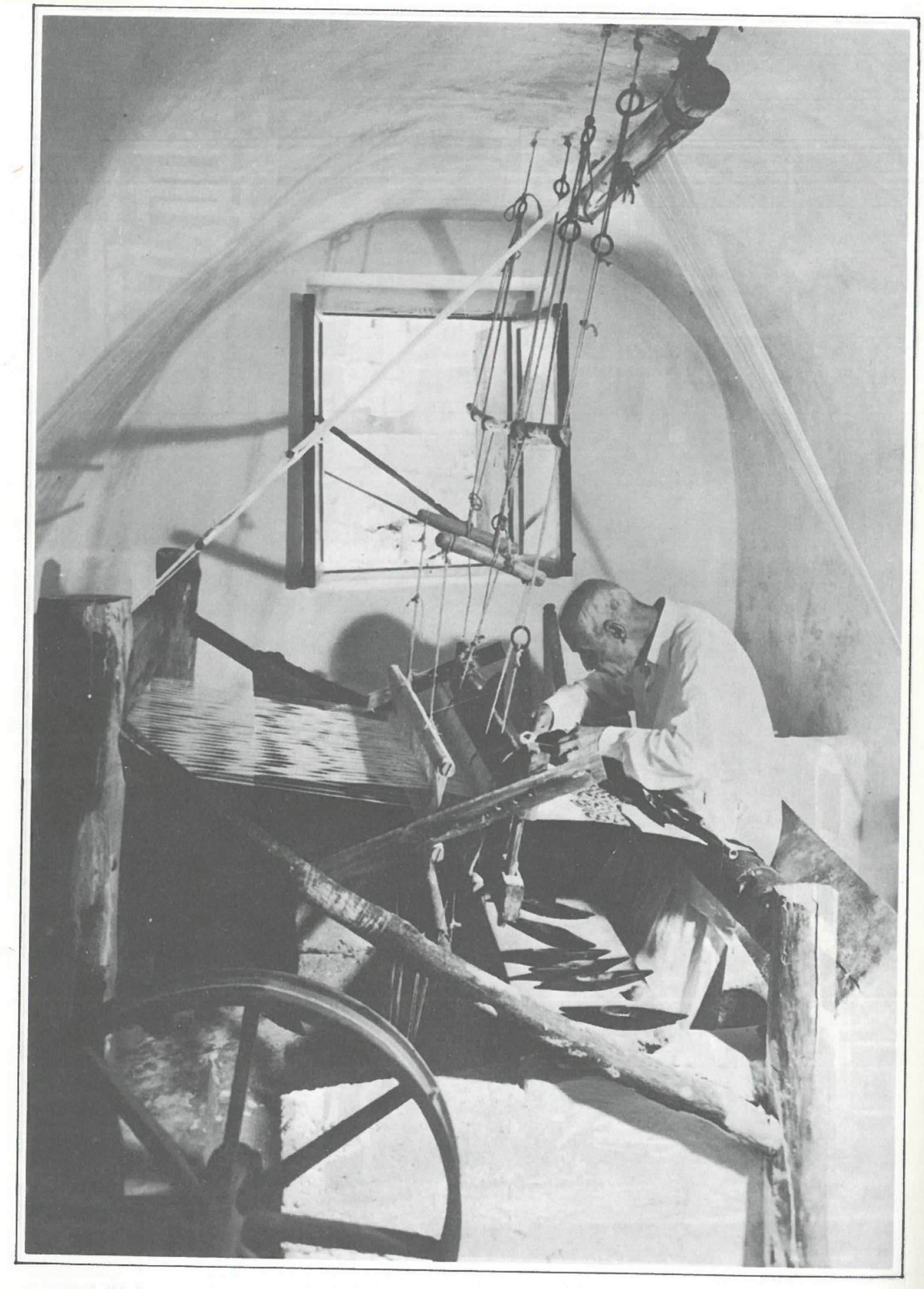
بيروت الحياة الاجتماعية والاقتصادية



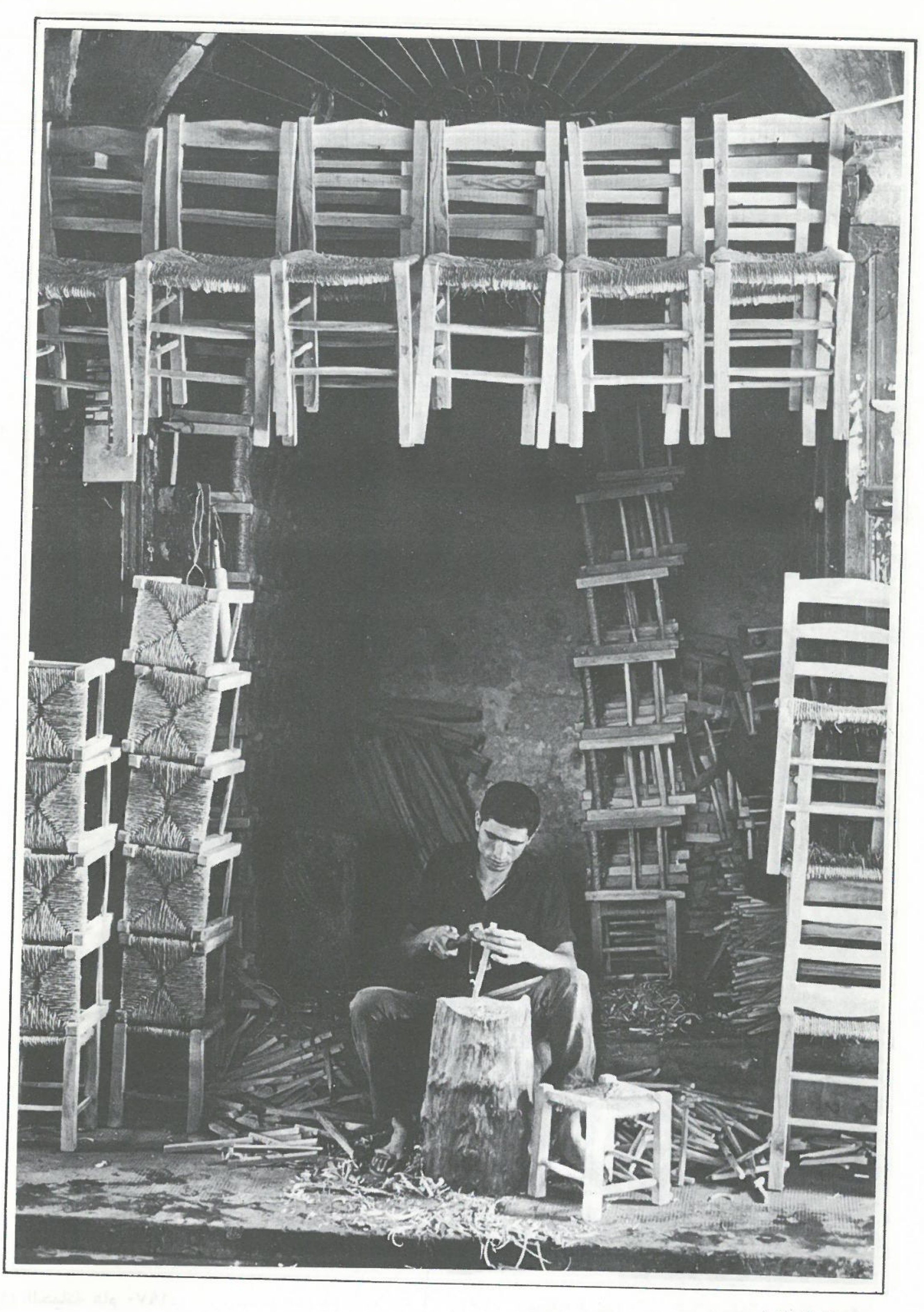
□ قهوة عربية ونارجيلة ولعبة دومينو، ١٩٧٠



□ العود، البزق، الدف والناي والنارجيلة العديمة، ١٩٧٠



□ الحياكة عام ١٩٧٠.



□ صناعة الكراسي



□ سوق الفرنج، بائعي الزهور، ١٩٧٠

الامام الأوزاعي عالم مدينة بيروت

محمد حسين الملاح*

غلب اسم الأوزاعي على قرية حنتوس احدى القرى اللبنانية التي تقع على باب بيروت الجنوبي وعرفت تلك القرية بعد دفن الامام الأوزاعي في مسجدها باسم محلة الأوزاعي.

فقد رحل الامام الأوزاعي عن مدينة دمشق، وأقام على الثغور مرابطاً في سبيل الله، على عادة الصحابة والتابعين، ونزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده. ويتحدث الامام الأوزاعي عن ذلك فيقول:

«جئت إلى بيروت أرابط فيها فلقيت سوداء عند القبر، فقلت لها: يا سوداء أين العمارة؟ فقالت لي: أنت في العمارة، وان أردت الخراب فبين يديك! فقلت هذه سوداء تقول هذا لأقيمن بها فأقمت ببيروت».

ولد الامام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي في مدينة بعلبك سنة ٨٨ هجرية. وإن كان المؤرخون يتفقون في نسب الامام الأوزاعي إلا أنهم يختلفون في معنى كلمة الأوزاع، وذهبوا في ذلك إلى أن:

الأوزاع اسم بطن من بطون العرب، أو أن الأوزاع اسم موضع مشهور بدمشق، سكنته في صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى.

تعهدت الأوزاعي أمه بالتربية والرعاية، فقد عاش يتيماً إذ توفي والده كما يقول صغيراً «مات أبي وأنا صغير». وانتقلت به أمه إلى الكرك ــ إحدى قرى البقاع ــ حيث نشأ فيها. ثم أخذت أمه تنتقل به من بلد إلى آخر طلباً للعلم. وكان لوالدته اليد الطولى في توجيهه وحثه على العلم والفضيلة، فنشأ عابداً زاهداً عالماً تقياً ورعاً حتى قال فيه العلماء: «عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه في نفسه».

أقام الامام الأوزاعي في مدينة دمشق واستطاع بذكائه الحاد وذاكرته الواعية الحافظة ونباهته العالية أن يحفظ كتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة وهو لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره. وبعد أن أخذ العلم عن علماء دمشق وخاصة مكحول الشامي، رحل ــ على عادة العلماء ــ في طلب العلم في الأمصار والمدن الاسلامية، فقد رحل إلى اليمامة والبصرة والقدس فسمع من كبار التابعين وكتب عنهم علمهم، ثم إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة مركز العلم وملتقى العلماء والفقهاء خاصة في موسم الحج، فسمع من العلماء، وأخذ عن علماء العالم الاسلامي، كما ناظر كبار العلماء والفقهاء، فقد

(*) ناقش حسين ... الملاح رسالة ماجستير بعنوان «الإمام الأوزاعي محدثاً محافظاً» من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، في المركز الثقافي الإسلامي. لجنة المناقشة الدكاترة: نور الدين العتر رئيساً ومشرفاً، أحمد الجي الكردي وكامل موسى عضوين.

ناظر الامام سفيان الثوري، والامام أبا حنيفة. حتى قال عنه الامام الشافعي: ما رأيت رجلاً أشبه فقهه بحديثه من الامام الأوزاعي.

عاد الامام الأوزاعي إلى مدينة دمشق بعد رحلة علمية طويلة استغرقت حوالي العشر سنوات لينشر العلم الذي تلقاه، وكانت له في المسجد الأموي حلقة علمية عرفت بحلقة الأوزاعي واشتهر بين الناس بتقواه فقد كان إذا خرج لصلاة الفجر اعتكف في المسجد حتى شروق الشمس، وكان يرى في قيام الليل الاستعداد ليوم الحساب، ويردد أمام تلاميذه: من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة.

كما عرف بتواضعه حيث يقول أبو إسحاق الفزاري «ما رأيت أحداً كان أشد تواضعاً من الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منه، وإن كان الرجل ليناديه فيقول: لبيك، وكان أفضل أهل زمانه.

هذه المكانة العلمية الرفيعة التي اشتهر بها الامام الأوزاعي بين الناس مكنته من أن يجلس مجلس كبار العلماء ويتصدر للفتوى وهو ابن خمس وعشرين سنة. وانتشر علم ومذهب الامام الأوزاعي في بلاد الشام. كما ساد مذهب الامام الأوزاعي في بلاد الأندلس، التي هي امتداد للدولة الأموية. وظل المذهب الأوزاعي يعمل به في بلاد الأندلس حتى ساد مذهب الامام مالك بن أنس، كما عمل بمذهب الامام الأوزاعي في بلاد الشام نحواً من مائتين وعشرين سنة، إلى أن انكمش أمام مذهب الامام الشافعي، وكان آخر قضاة المذهب الأوزاعي في بلاد الشام قاضي دمشق أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٣٤٧ هجرية.

عاش الامام الأوزاعي زاهداً ورعاً لا يخشى في الله لومة لائم، فحين ثار نصارى لبنان ــ وشكوا عامل خراج بعلبك ــ وهاجموا قرى في البقاع، وجه الأمير صالح بن علي من قتل مقاتليهم وردهم إلى قراهم، فيهب الامام الأوزاعي ليعطي رأي الشرع الاسلامي في ذلك فيكتب إلى الأمير صالح بن العلي العباسي قائلاً: وقد كان إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان، ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت، فكيف تأخذ عامة بذنوب خاصة حتى يُخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى: «ان لا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى».

ويقضي العباسيون على دولة بني أمية ويسعى قادة الدولة العباسية إلى نيل تأييد العلماء وصبغ عملهم بالقضاء على الدولة الأموية بالصبغة الشرعية، ويُطلب الامام الأوزاعي لتأييد الموقف العباسي وتبيان الأدلة الشرعية التي تؤيد عمل العباسيين في ذبح وقتل المسلمين من بني أمية. وها هو يقف بين يدي عبد الله بن علي ــ عم السفاح ــ في دمشق، ويصور الامام الأوزاعي الموقف الرهيب فيقول:

دخلت عليه وهو على سرير، وفي يده خيزرانه والمُسْوَدَّة ــ الحرس العباسي ــ عن يمينه وشماله معهم السيوف مصلتة، فسلمت عليه فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال: يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أولئك الظلمة من العباد والبلاد، أجهاداً ورباطاً هو؟ ويجيب الأوزاعي عبد الله بن علي، وهو لا يخشى ما يحيط به من أسباب الموت: «أيها الأمير، سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول، سمعت محمد بن إبراهيم التَّيْمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله (ص) يقول: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

ويضيف الأوزاعي فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم، ثم قال: يا أوزاعي، ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رسول الله : «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة» فنكت بالخيزرانة أشد من ذلك ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحلّ لك إلا بطريق شرعي.

فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤوني به من الاحسان. فقال كأنك تحب الانصراف ويضيف الأوزاعي: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي، فأمرني بالانصراف.

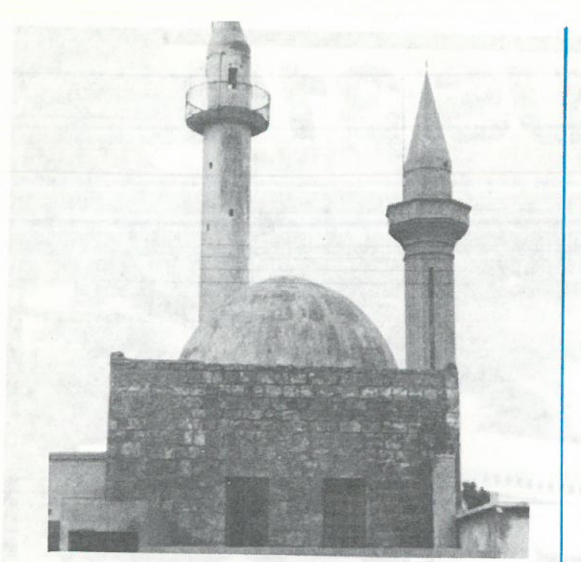
لقد نطق الأوزاعي بالحق، لوجه الحق، بلا خوف من مخلوق، أو لومة لائم أو سطوة ظالم. ولنتصور صعوبة الموقف الذي وقفه الامام الأوزاعي نعرض ما قاله الامام الذهبي عن عبد الله بن علي فيقول: «لقد كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً سفاكاً للدماء، صعب المراس. ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى. لا كخَلْق من علماء السوء الذين يحسّنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقاً ــ قاتلهم الله ــ أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق».

ويرفع إلى الخليفة أبي جعفر المنصور أن الامام الأوزاعي لا يلبس السواد ــ شعار بني العباس وكان شعار بني أمية البياض ــ ويُحرمه فيطلب من عامله «ادع هذا الشيخ، فسله عما عنده من تحريم السواد.

فأحضره عامل بني العباس وقال له: يا شيخ إنه رفع إلى أمير المؤمنين أنك تحرم السواد، فما عندك فيه؟

فيجيب الأوزاعي اجابة تنم عن ذكاء وفطنة قائلاً: لا أحرمه ولكني أكرهه، فقال وما الذي تكره منه فقال الأوزاعي لم أر محرماً أحرم فيه، ولا عروساً جُلِيتْ فيه، ولا ميتاً كفن فيه، فمن ها هنا أكرهه».

هذه المواقف الجريئة والشجاعة جعلت من الأوزاعي عالم أهل زمانه فما أن أطل العام الأربعون بعد المئة من الهجرة حتى أطلق على الأوزاعي لقب «عالم الأمة» كان يحض على التمسك بالسنّة الشريفة قولاً وعملاً فيقول: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل كما قالوا، وكف عما كفوا عنه. واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم ولا يستقيم الايمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الايمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة. وكان ينصح الحكام على التمسك بتقوى الله، وها هو ينصح الخليفة أبا جعفر المنصور ويأمر له بمال يستعين به فلم يقبله وقال: «ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من أعراض الدنيا كلها».



□ جامع الامام الأوزاعي ــ الواجهة الغربية.

تزوج الأوزاعي من أيّم تدعى جويرية وولد له منها ابنه محمد وثلاث بنات إحداهن تدعى رواحة.

وتوفي الأوزاعي ولم يترك لأهله سوى سبعة دنانير، وما كان له أرض ولا دار وله من العمر سبعون سنة.

وتتفق المصادر على أن الأوزاعي قضى في الحمام، فقد دخل الحمام في بيته وأدخلت معه زوجته كانوناً فيه فحم ليدفأ به وأغلقت عليه الباب غير متعمدة، فهاج الفحم فمات.

وكانت وفاة الامام الأوزاعي «يوم الأحد أول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومئة» في آخر خلافة أبي جعفر المنصور. ويوم وفاته عم الأسى الجميع، المسلمين وغيرهم. ويقول سالم بن المنذر سمعت الضجة بوفاة الأوزاعي فخرجت، فأول من رأيت نصرانياً قد ذرّ على رأسه الرماد، وخرجنا في جنازته أربع أمم، فحمله المسلمون، وخرجت اليهود، والنصارى والقبط. ●



○ صحافة

أول تعطيل إداري للصحافة البيروتية عام ١٨٧١

من الأرشيف

في سنة ١٨٧١، والصحافة العربية لم تـزل في المهـد، حمـل القس لويس الصابونجي صاحب جريدة «النحلة»، في بيروت على زميليه المعلم بطرس البستاني ونجلة سليم صاحبي «الجنة» و «الجنان» اللتين كانتا تصدران في المدينة عينها. وكانت تلك الحملة عنيفة جداً ناء البستانيان تحت صواعقها فلاذا بمتصرف بيروت، وأصدر هذا أمره إلى الصابونجي بأن يرعوي فما أطاع، بل تابع حملته القاسية. ولجأ البستانيان مرة ثانية إلى الحكومة، فأوقفت هذه جريدة «النحلة» وكان هذا فاتحة «التعطيل» الإداري في تاريخ الصحافة البيروتية.

وجر وقف «النحلة» ذيولاً صحافية تقرأها في السطور التالية، وقد نقلناها عن «الجنان» الجزء الثالث ص ٧٧ الصادر في ١ شباط ١٨٧١ قال البستانيان تحت عنوان «ولاية سورية».

أننا قد نشرنا في عدد ٥٣ من «الجنة» أمراً من حضرة ملجأ الولاية الجليلة راشد باشا الأفخم إلى جانب متصرفية في ٥ شوال سنة ٨٧ كانون أول سنة ٨٦.

لواء بيروت البهية مآله منع مدير «النحلة» عن طبع فصول في جريدته ضد مؤلفي «الجنان» و «الجنة» وما يأتي هو صورة الأمر حرفاً بحرف.

إلى جانب متصرفية بيروت
سعادتلو أفندم

بلغنا أن مدير «النحلة» ابتدأ أن يحرر في جريدته التي تطبع في المطبعة العمومية فصولاً ضد «الجنان» و «الجنة» وضد مؤلفيهما عزتلو بطرس أفندي وسليم أفندي البستاني، والحال أن هذه الطريق التي اتخذها مدير «النحلة» المومأ إليه أنما هي طريق منفورة لدى الحكومة وينبغي منعها بالكلية فلذلك نرجو صرف الهمم العلية بإجراء التنبيهات المؤثرة على مدير «النحلة» بالاقتلاع عن مثل ذلك من الآن فصاعداً والتزام طريق الألفة وعدم التعرض لمثل هذا الخطب المنفورة، والتنبيه على مدير المطبعة العمومية بأن لا يطبع في مطبعته شيء (كذا) من ذلك فإنه مغاير للرضى وموجباً (كذا) لمزيد مسؤوليته، والإرادة لسعادتكم افندم.

محمد راشد

ولكن «النحلة» لم تصغ لهذه التنبيهات بل وزع مديرها الجزء ٣١ منها المملوء طعناً مخلاً وقذفاً، ولذلك أمر حضرة الوالي المشار إليه بإلغائها وابطال طباعتها. وما يأتي هو صورة الأمر الكريم الذي لحضرة متصرف لواء بيروت لجهة إلغاء «النحلة».

(*) مجلة الصحافة اللبنانية، تصدرها نقابة الصحافة اللبنانية عدد خاص بمناسبة ٦ أيار ١٩٨٦.

إلى جانب متصرفية بيروت البهية
سعادتلو أفندم

في شقتنا السابقة افدنا سعادتكم بإجراء التنبيه على مدير «النحلة» بعدم التعرض إلى القدح في «الجنان» و «الجنة» ومنشيئيهما ومباعدته عن القدح الشخصي هرباً من وقوع المسؤولية عليه، وقد عرفنا بأن سعادتكم اجريتم على المدير المرقوم التنبيهات المقتضية على وفاق أشعارنا السابق ولكن ما اصغى لتنبيهات الحكومة ونبذ اخطاراتها وطبع «نحلته» الأخيرة المشتملة على الثلم والمذمة في حق عزتلو بطرس أفندي البستاني. ونجله سليم أفندي، وسلك مسلكاً مغايراً للآداب فمست الحاجة لإجراء محاكمته على وفاق نظام المطبوعات بينه وبين المومأ إليهما. هذا بالنسبة إلى هذه المسألة. وأنا من حيث أن مدير «النحلة» سلك في طريق منابز تنبيه الحكومة، غير مكترث بما حملته عليه من المسؤولية، وشاكر لدى مخلصكم بأنه سيطرح بمثل هذه المخالفات، إذا سكتنا عن مخالفته السابقة المار ذكرها رخصة مخصوصة ومؤقتة من طرف الحكومة المحلية، وللآن لم تصدر الإرادة العلية بالإذن في نشرها على وفاق النظام، جاز لنا نقض الإذن المؤقت ونسخه. فبناء عليه نرجو صرف الهمم الوفية بتعطيل «النحلة» ومنع طباعتها من الآن فصاعداً إيجاباً لما ذكر والإرادة لسعادتكم أفندم.

وبناء على ذلك الغيت جريدة « النحلة» ولم تتوزع يوم السبت الاعتيادي فنسأل الله أن يهدينا أجمعين إلى الصراط المستقيم.

وبعد ذلك ببضع (كذا) أيام ظهرت جريدة أسمها «النجاح» ممضية باسم القس لويس الصابونجي ويوسف أفندي الشلفون، وذكر فيها أنها خلف للنحلة والزهرة، ولكن لما بلغ ذلك مسامع حضرة الوالي الأفخم ورأى أن القس لويس المذكور قد احيا النشرة الملغاة قاطعاً النظر عن أوامر الحكومة السنية وامضاها باسمه، حال كونها قد منعته عن إنشاء الجرائد تحت مسؤوليته، اصدر أمراً إلى متصرفية لواء بيروت البهية وطلب إليها أن تلغي جريدة «النجاح» لأنها جُعلت خلفاً لجريدة «النحلة» ونشرت ممضية باسم مدير النحلة. وما يأتي هو ملخص الأمر العالي المشار إليه.

«إن جريدة «النحلة» تعطلت قبلا بناء على سلوكها في طريق منابذ تنبيهات الحكومة السنية. ثم أن منشئها القس لويس الصابونجي اعتذر عن المخالفة والتمس بواسطة عزتلو خليل أفندي الخوري مدير المطبوعات أن يؤذن بطبع غازته جريدة تسمى «النجاح» تحت امضاء الخواجه يوسف الشلفون فتجاوب بأنه يقتضي بأول الأمر أن الخواجا يوسف الشلفون المرقوم يقدم للحكومة عرض حال حسب الأصول لينظر بعده بالايجاب، فالمرقوم الخواجا يوسف الشلفون بمجرد رأيه الخصوصي طبع النشرة الأولى من الجريدة المبحوث عنها تحت اسمه واسم القس المومأ إليه بدون رخصة ولا استئذان، مع عدم رعاية الأصول في النظام والجواب المعطى من طرفنا، مع أن نشر هذه الجريدة وإخراجها كان موقوفاً على إعطاء الرخصة للنظام والتنبيهات الواقعة من مخلصكم فليلزم أولاً أن تبادروا بتعطيل الجريدة المذكورة ومنع طبعها ثانية أن تجروا محاكمة الخواجا يوسف الشلفون المرقوم نظراً لمخالفاته، وذلك عند سعادتكم بحضور خليل أفندي الخوري المومأ إليه.

في ٣١ كانون الأول سنة ٨٦ و ٣٠ شوال سنة ٨٧ وبناء على ذلك قد تعطلت جريدة النجاح وابطل طبعها.





برنامج محاضرات مكثف لمركز دراسات الوحدة العربية يشترك فيه قادة رأي بارزون

ينظّم مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت برنامج محاضرات مكثفاً تتناول مواضيعه مختلف القضايا الرئيسية والساخنة في الحياة العربية العامة. ويشترك في هذا البرنامج، ويحضر شخصياً لإلقاء محاضرته في بيروت، مجموعة من قادة الرأي وأهل الاختصاص البارزين في العالم العربي، وذلك بمعدل محاضرتين شهرياً اعتباراً من ٢٣ كانون الأول ١٩٩١ ولغاية ١٥ حزيران ١٩٩٢، على النحو التالي:

التاريخ	المحاضر	الموضوع
الاثنين ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١	د. محمد عابد الجابري	آفاق المستقبل العربي
الخميس ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١	د. محمد عابد الجابري	المسألة الديمقراطية والواقع العربي الراهن
الاثنين ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٩٢	د. إبراهيم سعد الدين	التنمية المستقلة والتغيرات العالمية
الاثنين ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٩٢	أ. محمد البصري	مستقبل الديمقراطية في المغرب العربي الكبير
الخميس ٦ شباط/فبراير ١٩٩٢	أ. عطاء الله مهاجراني	مستقبل العلاقات العربية ــ الإيرانية
الخميس ٢٠ شباط/فبراير ١٩٩٢	أ. جميل مطر	مستقبل النظام الإقليمي العربي
الأربعاء ١١ آذار/مارس ١٩٩٢	د. غسان سلامة	أي نظام دولي جديد؟
الخميس ١٩ آذار/مارس ١٩٩٢	د. إسماعيل صبري عبد الله	نحو نهضة عربية جديدة
الاثنين ٢ نيسان/أبريل ١٩٩٢	د. أنطوان زحلان	هجرة الكفاءات العربية والمستقبل العربي
الاثنين ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٩٢	د. خلدون النقيب	مستقبل الديمقراطية والحياة السياسية في الخليج العربي
الخميس ٢٨ أيار/مايو ١٩٩٢	أ. جاسم السعدون	المستقبل الاقتصادي للخليج العربي
الخميس ٤ حزيران/يونيو ١٩٩٢	د. أحمد يوسف أحمد	مستقبل العلاقات العربية ــ العربية
الاثنين ١٥ حزيران/يونيو ١٩٩٢	د. عبد العزيز الدوري	إعادة كتابة التاريخ العربي

ملاحظات:

ستلقى جميع المحاضرات (ما عدا محاضرة الدكتور الجابري الثانية يوم ٢٦ كانون الأول ١٩٩١) في دار الندوة ــ شارع بعلبك ــ خلف قصر البيكاديلي ــ الحمراء، وتلقى محاضرة الدكتور الجابري الثانية المشار إليها أعلاه في النادي الثقافي العربي، شارع عبد العزيز ــ الحمراء. وسيكون موعد المحاضرات في الساعة الخامسة بعد الظهر لمدة لا تزيد عن الساعة تتبعها مناقشة عامة لمدة ساعة والدعوة عامة.

موازنة شرطة بلدية بيروت سنة ١٨٩٢

● (منقولة عن الجدول الأصيل المحفوظ بين أوراق الحاج عبد الرزاق حمادة).
«دفتر معاشات مفتش وجاويشية البلدية عن شهر مارث سنة ٣٠٨».

	غرش
معاش لمفتش حمد أفندي رمضان	٦٠٠
معاش الجاويش محمد أفندي فائد	٣٠٠
معاش الجاويش أمين آغا قسطموني	٣٠٠
معاش الجاويش متري أفندي شويري	٣٠٠
معاض الجاويش نجيب أفندي فيعاتي	٣٠٠
معاش الجاويش عبد الرحيم أفندي عانوتي	٣٠٠
معاش الجاويش نخلة أفندي سلامة	٣٠٠
معاش الجاويش سعيد أفندي الأغر	٣٠٠
معاش الجاويش بشارة أفندي الزند	٣٠٠
معاش الجاويش سعيد أفندي نعماني	٣٠٠
معاش الجاويش أحمد أفندي العرب	٣٠٠
معاش الجاويش أسعد أفندي عقل	٣٠٠
معاش الجاويش الحاج خليل آغا منيمنة	٣٠٠
فقط أربعة آلاف ومايتين غرش لا غير	٤٢٠٠

«المبلغ المرقوم أعلاه وقدره أربعة آلاف ومايتين غرش وصلنا من صندوق بلدية بيروت وذلك قيمة معاشنا عن شهر مارث ٣٠٨ وللبيان حرر هذا الشرح في ٣١ مارث سنة ٣٨٠».

ملحوظات: لم يوقـع أصحاب العلاقة على هذه المعاملة بامضاءاتهم، وإنما مهروها بخواتمهم، وقد كتب بالخط فوق مهر كل خاتمة كلمة «بنده» التركية، وترجمتها: العبد.

وبعض هذه الأختام محفور عليها الاسم الأول فقط، أي اسم شخص دون اسم الأسرة منها: بشارة (بشارة الزند) ونجيب (نجيب فيعاني).

والصق بالسند طابع قدره ٣ قروش، وصدق عليه الكاتب وكاتب المحاسبة بتاريخ ٣١ مارث وكتب في آخر الصفحة: يصرف محيي الدين.

ومحيي الدين هو المرحوم محيي الدين حمادة رئيس بلدية بيروت في ذلك الزمان، وقد وقـع على الأمر بصرف المرتبات.

عبد الله العلايلي والنقد...

«من ينقد عليك، هو كمن يؤلف معك.. خطة درج عليها كل من أخذ قضية الفكر من أنحائه، بقداسة. وفي القداسة كما تعلم، تجرد وسمو فوق مسافِ الأعصاب، وفيها الى هذا كله، تبتل لعله العبادة، فيكون من يبحث كمن يصلي، كلاهما يستهدف الجوهر الحق، متخطياً إليه ما اعترض من هوائل الأشياء.

أما الذين يأخذون القول تحتناً، وينتفضون تنفض العصب الهائـج المضطرب، فهؤلاء لا يعنون بموضوع وان زعموا، وإنما يعنون بأشخاصهم في الموضوع، فهم لذلك أنانيون من الخير ان نكلفهم الى اضطراب أعصابهم».

رياش المجلس ما يزال جديداً...

كان في بيروت أسرة يهودية معروفة باسم «بيت المنجد» نزحت إليه من دير القمر.

وبعد اعلان الدستور العثماني أحب أفراد الأسرة أن يسترجعوا الجنسية، كي لا يؤدوا الخدمة العسكرية الاجبارية المفروضة على أبناء بيروت وأبناء الولايات، فرفعوا عريضة الى يوسف فرانكو باشا متصرف الجبل يبسطون له فيها أصلهم وفصلهم ويلتمسون منحهم تذاكر نفوس لبنانية.

وكان يوسف باشا يحفظ بضـع كلمات عربية عن أبيه نصري فرانكو باشا الحلبي الأصل، فقرأ العريضة ولم يفهم مضمونها. ثم قرأ في أسفلها التواقيـع: موسى المنجد، اسحاق المنجد، حاييم المنجد، الياهو المنجد، بنيامين المنجد الخ..

فتناول المتصرف القلم الأحمر وشرح على العريضة:

«إلى المسترحمين، لاعلامهم ان رياش المجلس ما يزال جديداً، لا يحتاج إلى تنجيد»!

خزقته للرغيف خزقة معلم

بلـغ الشيخ رشيد الخازن أن نسيباً لزوجته من المشايـخ الحبشيين اكول نهم «يمعط» وحده خروفاً. فدعاه إلى مائدته ليتفرج على أكله!.

وغارت الزوجة على كرامة نسيبها فهمست في أذنه الحقيقة، ونبهته بقولها: «لا تأكل مـع رشيد إلا قليلاً، ووالله العظيم، أني لأمد لك بعد انصرافه سفره عامرة بالدجاج والمحشي والكبة وأشهر الحلويات»..

وعمل الحبيشي بنصـح النسيبة. فنظرت هذه إلى زوجها تعاتبه: «شفت المسكين! أكل أقل منك، وبدك تضحك عليه!..».

وابتسم الشيـخ رشيد قائلاً: صحيـح، بس خزقتو للرغيف خزقة معلم!

ماذا يريد نسيب بك من الست؟

كان المغفور له نسيب بك جنبلاط مشهوراً بموالته للحكومة الانجليزية موالاة عمياء وكان خصوم الجنبلاطيين يوالون السياسة الفرنسية وعلى العمياء أيضاً.

ولما عين المرحوم سير «درموندهاي» قنصلاً جديداً لانجلترا في بيروت زاره نسيب بك الزيارة التقليدية للتعارف. وبعد المصافحة وتبادل التحية، سأله السؤال المتداول عند اللبنانيين: كيف حال سعادتكم؟ كيف حال الست، والمحروسين؟ العسي مبسوطين؟..

وترجم المرحوم اسبر افندي شقير سؤال نسيب بك عن صحة الست فبلعه القنصل، ولم يجب..

وزار نسيب بك القنصل في مناسبة ثانية وكرر السؤال عن صحة الست والمحروسين. ثم زاره مرة ثالثة وألقى السؤال عينه.. وكان سير «درموندهاي» لا يزال يجهل المجاملات التي يتبادلها أهل البلاد، فغضب من «تدخل» زائره في شؤون يراها عائلية بحت، وقال للترجمان:

ـــ لماذا يسأل نسيب بك عن الست دائماً؟ ماذا يريد منها؟



فرحتان

معن بشور

حين أبلغني الصديق والزميل العزيز الأستاذ فاروق البربير أن مجلة «تاريخ العرب والعالم» ستعاود الصدور فرحت مرتين..

فرحت أولاً لقارىء كان ينتظر مطلع كل شهر ليلتقف مع كل فرد من أفراد عائلته هذه المجلة المميّزة التي تضع التاريخ العربي والعالمي بين يديه وبأسلوب مشوق وهادف، نشعر معه بالفائدة والمتعة في آن معاً، خاصة وأن التاريخ كما تتناوله صفحات هذه المجلة ليس من أجل التاريخ فحسب، بل من أجل الحاضر والمستقبل معاً..

فعروبة فاروق البربير الأصيلة لا تطل عليك عبر مجلته عروبة واعظة، أو جامدة أو سلفية، بل عروبة حيّة تختلط بالتاريخ ويختلط بها، تدرسه بأمانة وتستخرج منه الدروس والعبر بوضوح وإخلاص..

كما أن أسلوب الصحافيّ الراقي يتيح له أن لا يسقط مجلته في برودة أكاديمية تبعدها عن القارىء العادي، بل تضع الوثيقة والواقعة التاريخية في إطار محبب ومشوق تجعل العالم، كما الطالب، يرى فيها ما يشده إلى التاريخ..

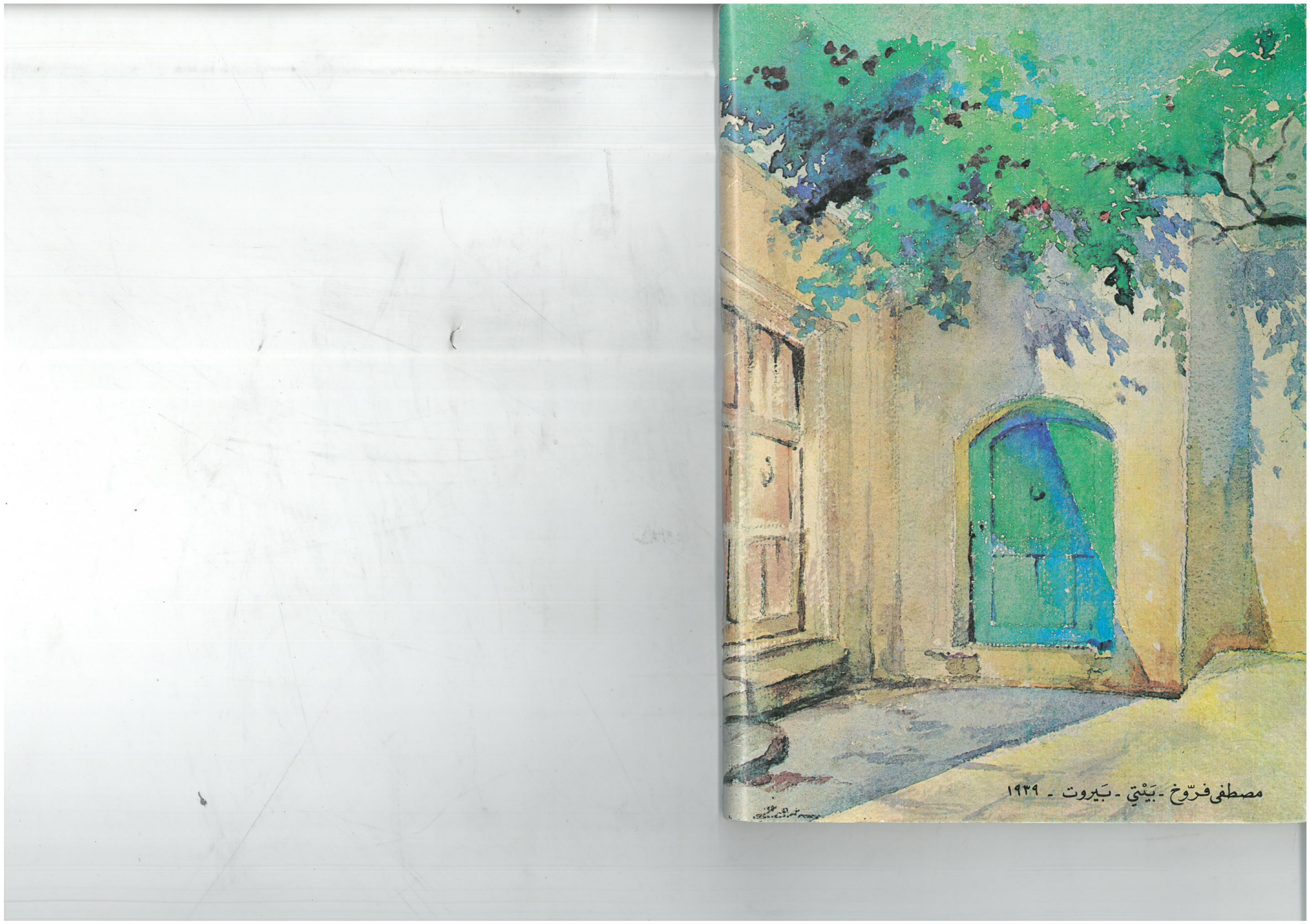
ويكتسب مثل هذا الأسلوب أهميّة مميّزة في بلد كلبنان يقرأ فيه الطالب تاريخ بلده وأمته على مقاعد الدراسة بطريقة جافة ومعلّبة ومبسترة في كثير من الأحيان، بينما يتاح له أن يتعرف إلى تاريخ أوروبا وأمريكا مثلاً بأحدث الوسائل العلمية، وبأكثرها استفاضة وحيوية..

وفرحت ثانياً كزميل، أتيح له من خلال موقعه كرئيس لتحرير مجلة ثقافية شهرية (المنابر)، أن يدرك كم هو صعب، إذا لم يكن مستحيلاً، أن تستمر مجلة كمجلة «تاريخ العرب والعالم» في الصدور وهي مصرة أن لا تكون مرتهنة إلا للحقيقة والقارىء.. فلا يستدرجها الابتذال الطاغي في العديد من مطبوعاتنا، كما لا تستسهل لارتماء بين أصحاب النفوذ والمال ممن يستهويهم أسلوب اذلال الكلمة وكاتبها، وممن لا يطيقون مجلة لا تتصدر أغلفتها صورهم واخبارهم، ولا تكون مادتها ترداداً ممجوجاً لمعلقات المدح في إنجازات وهميّة يدعونها...

ولعل الإصرار على إصدار مجلة «كتاريخ العرب والعالم» ومثيلاتها يحمل قدراً كبيراً من الأمانة لبيروت — والزميل فاروق من أبنائها الأوفياء — كعاصمة للثقافة والنشر والابداع العربي في وقت بات فيه واضحاً أن أحد أبرز عناوين المؤامرة على لبنان وأهدافها يكمن في السعي لشطب هذا الدور أو تزويره...

وإذا كان تاريخ العرب والعالم المعاصر مشدوداً في الكثير من محطاته الهامة في العقدين الأخيرين إلى ما جرى ويجري في لبنان، فإن عودة المجلة التي تحمل هذا الاسم وتسعى إلى تجسيده — ومن بيروت بالذات — هو انتصار عزيز للبنان والعرب في وقت نفتقد فيه الانتصارات العزيزة...

فهنيئاً لمجلتنا القديمة الجديدة وهي تعود إلى الصدور متجاوزة، كما اللبناني العادي، كل الحواجز والسدود التي اقامتها الحرب في وجهه، وبينه وبين أخيه اللبناني.. والعربي.. وهنيئاً لنا، كقراء وكزملاء، بهذه الشمعة المضيئة نستعين بها، وبمادتها التاريخية الشيقة، على الظلام الذي يلف حاضرنا، ويحاول أن يغتال مستقبلنا..


مصطفى فرّوخ - بَيْتي - بَيروت - ١٩٣٩